الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض . المملكة العربية السعودية

ج ١ و ٢ س ١٦ — رجب وشعبان سنة ١٤٠١هـ أيار – حزيران (مايو/يونيو) ١٩٨١م

من أصداء الذكريات

علماء عرفتهم فافتقدتهم



— ١ —

يَسْتَعْذِبُ المَرْءُ تَذَكُّرَ الماضِي في بعض الأوقات الَّتي تَعْتَرِيه فيها حالةٌ من حالات الضَّعْف . فَيُخَيَّلُ إِلَيْه أَنَّ ماضِيَهُ خَيْرٌ من حاضره . وقد يَصِحُّ هذا التَّخَيُّلُ بَعْضَ الأَحْيان .

ولكن مما لا مِرْيَةَ فيه أَنَّ النفوس تَسْتَرِوحُ بذكريات الماضي أَيًّا كان .

وما سَأَقُصَّهُ على القارىء هو نوع من ذلك الاسترواح ، لصلتي ببعض من عرفته من العلماء الذين غابوا عن هذا العالم ، فرأيت من الوفاء لهم استعادة بعض جوانب الذكريات المتعلقة بهم ، وهي جوانب لا تُضِيفُ جَديداً إلى ما عُرِفَ عنهم ، فقد أَوْجَزْتُ الحديثَ ، وامتثلت السير على الأثر : «اذكروا محاسن أمواتكم» .

ولهم من آثارهم الباقية وما عرف عنهم من الصّفات الحميدة ما يغني عن الإطراء .

محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ
(١٢٨٢ — ١٣٦٧ هـ)

هو الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمهم الله — ولد في مدينة الرياض سنة ١٢٨٢ هـ وتلقى العلم عن علمائها ومن أبرزهم أخوه الشيخ عبدالله والشيخ محمد بن محمود.

وتولى قضاء الوشم، وبعثه الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٩ إلى بلاد عسير وغامد وزهران لنشر الدعوة السلفية. وتولى القضاء في الرياض فترة.

وكان جمّاعاً للكتب، فخلف مكتبة حافلة بالمخطوطات، تفرقت بعد وفاته. وقد توفي في جمادي الآخرة سنة ١٣٦٧ وترجمه ترجمة مفصلة حفيد أخيه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتاب «علماء الدعوة» ترجمة وافية.

ولقد عرفته أثناء طلبي العلم في الرياض سنة ١٣٤٧ وتوطدت الصداقة بيني وبين أبنائه عبد الرحمن وعبدالله وابراهيم، فكنت أزورهم فأجتمع بالشيخ لِمَاماً، وكان قليل الخروج من بيته، فكان يأنس بي، ويحضر بعض المخطوطات لأقرأ عليه فيها. وحينما يستغلق قراءة بعض الكلمات في بعض الرسائل التي يكلف ناسخاً معروفاً في ذلك الوقت هو عبدالله بن إبراهيم الرَّبيعي يطلب مني الشيخ مساعدته في قراءتها، وكان الربيعي رحمه الله — يسكن في بيت بجوار (رباط الأخوان) الذي أسكن فيه في ذلك الوقت، وموقعه بقرب الباب الجنوبي لمدينة الرياض.

ثم لَـمَّا سافر إلى مصر للعلاج سنة ١٣٥٧ هـ كنت أكثر زيارته.

وكان رحمه الله على درجة من طيبة القلب وسماحة النفس والكرم، حافظاً للقرآن الكريم وأذكر حديثاً جرى بين بَدَوِيَّين لْلمُفَاضِلِةِ بينه وبين (مُطَوّع) طالب علم يدعي علي بن سَوْكر، كان من الوُعَّاظ، فوصف أحدهم الشيخ محمداً — رحمه الله — بأنّه في القراءة (مثل الْبرديَّة على الصَّمْد) أي أنه كان جهير الصوت قويّهُ، تتابع الكلمات في نطقه بسرعة، فَيُسْمَعُ صوته كصوت الْبُرَدِ عند تساقطِهِ بِقُوَّة وسُرْعَةٍ عَلَى الصَّمد — أي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد اللطيف الى جناب عالي الجناب الاخ المحب المكرم الشيخ الفاضل المقدم
محمد الحاسر سلمه الله تعالى وحفظه في خلواته وجلواته وبارك في ساعاته واوقاته آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وازكا واشرف تحياته ومن موجب الكتاب هو ابلاغ المحب
جزيل السلام الاسنى والتحيات المباركات الحسنى والفحص عما حول لكم من الكريمة لا زالت
احوالكم مهنية سليمة احوالنا على ما تحب والخط المكرم وصل وصلك الله بالرحمة ونعمه
في سائل اهل الفضل والتقى والخط المكرم وصل وما عرفت جنابك كان لديه محبة معلوم و
من طرف الانتصار لابي بطين والعلو لابن قدامه في مسألة التاويل هذا عندنا واما
رسالة الوالد الذي املا على ابنه ابو عبد الله تذكر انها كتب محمد ابا علم ومنقوص منه
... على البواقي فهذه ليست عندنا ان شاء الله نرسلها بعد التصحيح على الاهمل على
يد الشيخ محمد نصيف بجده كذلك سلمك الله ارسل الشيخ عبد الله القصيمي لقوس سلم له
الشيخ فوزان الحنيفي المصري التي من جهة الاشتراك في طبقات ابن سعد
ان كان استلمها والا فيا خذها من فوزان والبقية ثمن الاشتراك نرسله على
يد الشيخ محمد نصيف افندي بجده وما فرغ منه نرسله التابع الاول على يد
الشيخ محمد نصيف لانا كتبنا من جهته لفوزان وللشيخ والاجابة جواب و لا
ندري ما الشيء المانع المسؤول تبحث الشيخ عبد الله والخبر ما حال العجلة جزاك
الله عنا خيرا هذا ما لزم وبلغ سلامنا من لديكم من الاخوان والشيخ عبد الله
ابن علي والشيخ عبد الله ابو يابس ومحمد حامد الفقي ومن لديكم من الاخوان
السلفيين ولدينا المشايخ والاولاد والاخوان الكل بخير وينهون
السلام وانت في حفظ الله والسلام في ٢٤ ج ١٣٥٨

(كتاب من الشيخ محمد بن عبد اللطيف)
بخط الربيعي الناسخ المعروف

الأرض الصلبة ـــ أما الْمُفَضَّل لابن سَوْكَر فقال عنه : (يا وجه الله على مصحف يتحضّنه ابن زوكر ، ثم يهذّه هذّ ، ما تقول إلّا جِفْشرَ (... منتفخ) يقصد الكتاب الذي اعتاد أن يقرأ فيه أثناء وَعظِهْ ـــ وكان كتاب «مشكاة المصابيح» في طبعته الهِنْدِيَّة ذات القطع الكامل .

وقد نسخت للشيخ محمد ـــ رحمه الله ـــ كثيراً من الرسائل المخطوطة من (دار الكتب المصرية) (وهذه إحدى رسائل الشيخ إليَّ ، وهي بخط الرّبيعي) .

ـــ في ص ٣ ـــ

عبد الرحمن الناصر بن سِعْدِي

(١٣٠٧ ـــ ١٣٧٦ هـ)

ولد في مدينة عُنَيْزَة ، سنة سبع وثلاث مئة وألف ، وتلقّى العلم على علماء بَلدته وقضاتها والوافدين عليها .

وقد بلغ في العلم منزلة بَرَزَ بها على أقرانه من العلماء ، وألَّفَ المؤلفات الكثيرة ، (أنظر «العرب» س ٧ ص ٦٩٠) وتلقى عنه العلم كثير من الطلاب .

وبلغ من الشهرة وعلو الذكر ما قَلَّ أن بلغه أحد من أقرانه في زمانه . وحدث بينه وبين بعض العلماء خلاف في بعض المسائل ، والله يتغمد الجميع بواسع مغفرته .

ولقد عرفت الشيخ ـــ رحمه الله ـــ أول ما عرفته حين أصدرت صحيفة «اليمامة» مجلة في أول أمرها سنة ١٣٧٢ هـ فكتبت إليه أطلب منه الكتابة فيها ، فأنعم وبعث بمقالات نُشِرَ بَعضها .

ثم فوجئت بزيارته (مطابع الرياض) التي أنْشَأْتُهَا ، وكنت أتولى إدارتها وذلك في شهر ربيع سنة ١٣٧٣ ـــ فأدركت أثناء اجتماعي به جانباً مما يتحلّى به من التواضع والبساطة ، وغزارة العلم ، وسماحة النفس ، وقويت الصلة بيني وبينه حتى انتقل إلى الدار الآخرة ، في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ في مدينة عُنَيْزة ، إثْر مرض (ضغط الدم) وكان قد أُصيب به في السنوات الأخيرة من حياته ـــ رحمه الله ـــ

بسم الله الرحمن الرحيم من عنيزة ٢٣ صفر ١٣٧٣ الى الرياض

حضرة الاخ الفاضل الاستاذ الشيخ حمد الجاسر المحترم

حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في أسعد الساعات تلقيت كتابكم الكريم رقم ١٢ ع ر وسرني فيما ذكرتم له من تأسيس صحيفة اليمامة وهي أول صحيفة قامت في نجد لنشر المعارف المتنوعة والفنون الصحيحة وتثقيف الاخلاق بتغذيتها بالاخلاق الشرعية والاداب الدينية الديموقراطية التي هي أعلى الاخلاق وأرقى الاداب ونشر الافكار الصحيحة الحرة المهذبة فنهنيكم بهذه المنة العظمى والمنحة الكبرى ونرجو لها التوفيق والتقدم المستمر وان يجعل الله فيها بركة على هذا الجيل وما بعده وان تكون مواضيعها تدور على العلوم الدينية والمعارف الشرعية وعلى ما يؤيد ذلك من المعارف الديموقراطية والفوائد الادبية والتاريخ واصناف الفنون النافعة وان تكون مقاومة للجهل وفساد الاخلاق وفشو الالحاد وغيرها من الشرور طلبتم منا ضمن المؤازرة ببعث المقالات التي تناسب الحال فبعون الله وقوته نعتمد ذلك نتبع الفرصة والمناسبات ونشكركم على تذكيرنا لا زلتم موفقاً مسدداً هذا ما لزم واذا لزم الحاجة فيني به وتبلغون سلام جميع المحبين كما منا جميع الاخوان يخصونكم السلام والله يحفظكم برعايته ويتولاكم

محبكم عبد الرحمن الناصر

آل سعدي

(مثال لكتابة الشيخ ابن سعدي

بخط يده)

محمد بن عبد العزيز بن مانع
(١٣٠٠/١٣٨٥هـ)

وُلد الشيخ — رحمه الله — في مدينة عُنَيْزَة — من أسرة كريمة المحتد، تميمِيَّة النسب، بَرَّز عدد من أفرادها بالعلم. ودرس على مشاهير علماء نجد، وسافر إلى العراق والشام ومصر فازداد علماً، وألف مؤلفات في مختلف العلوم، وتولى كثيراً من الأعمال كالقضاء والتدريس وإدارة المعارف، ورئاسة المحاكم. وتوفي في بيروت في رجب عام ١٣٨٥ إثر جراحة أجريت له لعلاج مرض الغُدَد البولية — تغمده الله برحمته ورضوانه.

وقد عرفت الشيخ رحمه الله حين وُكِلَ إليه الإشراف على تدريس العلوم الدينية في مكة المكرمة، وكنت إذ ذاك أتولى تدريس الفقه والتوحيد في مدرستي (المعهد) و(تحضير البعثات).

فحدث بيننا ما يحدث بين المتعاصرين، وإن لم أُقاربْ شأوه بالعلم والمنزلة.

ثم عُيِّنْتُ سنة ١٣٦٧ مديراً للتعليم في نجد، بمشورة الشيخ محمد بن إبراهيم — رحمه الله — وكان الشيخ ابن مانع مديراً عاماً للمعارف، ولم يؤخذ رأيه في ذلك، فحدث بيني وبينه من الخلاف ما كنت أتغلّب عليه بسبب قربي من ولاة الأمور، وما كان أحدنا يحمل للآخر إلا كُلَّ خير حتى انتقل إلى الدار الآخرة.

وقد عاد الصفاء بيننا بعد انتقاله إلى قطر في آخر حياته، حتى انتقل إلى الدار الآخرة.

وإن بيني وبين أبنائه — وخاصة الأستاذ الجليل أحمد — من التصافي والتآخي والمحبَّة ما أزال كل أثر في نفسي لوالدهم، تغمده الله برضوانه.

محمد بن عبد العزيز المانع

قطر

العنوان البرقي (ابن مانع)

الدوحة

التاريخ ١٣/٣/١٣٨٤

جناب العالم الفاضل الاستاذ الشيخ حمد الجاسر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل إلي كتابكم فسر خاطري بشريف خطابكم ومطلوبكم الجزء الرابع من العصامي فقد بعثت الى جنابكم بنسخة كاملة اربعة أجزاء بواسطة الشيخ ابراهيم بن معمر بالاحساء واما الكتب الاخرى التي لمحمد احمد عيسى فسا[illegible] لكتابكم الرجوع مديرا للمكتبة العامة من السعودية الشيخ عبد البديع ونسعى بأخباركم للازم هذا ما لزم وسلامي على العزيز لديكم ومن لدينا يسلمون والسلام

محمد بن عبد العزيز

ابن مانع

اعتمدوا اننا مشتركون بجريدة اليمامة

(مثال لخط الشيخ محمد بن مانع)

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
(١٣١٩/١٣٩٢هـ)

ولد الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني في قرية البير إحدى قرى الْمِحْمَل ، التي تبعد عن الرياض نحو مئة كيل .

واشتغل بالفلاحة ، ثم اتجه لطلب العلم ، ولازم الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري ، فكان من أخصِّ تلاميذه ، واتجه في أول اشتغاله بطلب العلم لتدوين تاريخ لبلاد نجد ، ثم انصرف عن ذلك ، ويقال : إن سبب انصرافه ذكره لأنساب بعض الأسر المعروفة بحيث أثار حفيظة تلك الأسرة . وقد اطلعت على كتابه ، واستفدت منه ، ووصفته في مجلة «العرب» س ٥ ص ٩٧٩ ــ

وانصرف للتأليف في الحديث والفقه ، وجمع رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية في ٣٤ جزءاً .

وقد عرفت الشيخ عبد الرحمن حين عُيِّن مُشْرِفاً على ما يطبع في (مطبعة أم القرى) سنة ١٣٥٣ وما بعدها . وقد قام بطبع ما جمعه من رسائل علماء نجد ، وطبع غيرها .

وكان يستعين بي في تصحيح تجارب الطبع (البروفات) ويَكِلُ إليَّ عمله حين يَغيب .

وكان ــ رحمه الله ــ من أرَقِّ من عرفت من العلماء نَفساً ، وألطفهم خُلُقاً ، وأسخاهم يداً .

وقد توطدت الصداقة بيننا ، فكان يتعاهدني بالصِلة ــ بعد أن انفرد في مزرعته في وادي (العَمَّارية) فيبعث إليَّ من بواكير الرطب والفاكهة في الوقت الذي كنت فيه مَجْفُواً من عامّة الناس بعد فصلي من إدارة كليتي (العلوم الشرعية) و(اللغة العربية) .

وقد أصيب ــ رحمه الله ــ في آخر حياته ــ بألم في رأسه من جرَّاء صدمة سيارة أصيب بها سنة ١٣٤٩ ــ فأثر في الدورة الدموية في الرأس وتوفي في شعبان سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة وألف .

وهذه إحدى رسائله إلي (بتاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ وأنا في مدينة ينبع) .

يتحدث فيها عن عدم رغبته في ذهابي إلى مصر ، ويتمنى لو نقلت من (ينبع) إلى أحد أقطار (نجد) ويذكر بعض الكتب ، ومنها نبذة ذكر لي انها تحوي معلومات عن بعض المواضع في نجد لابن عيسى — ابراهيم بن صالح — يقول : إنه نقلها عن المسعودي ، وأنها موجودة عنده .

[illegible]

من عبد الرحمن بن قاسم الى حضرة الاديب الصديق الاخ الشفيق [illegible] هداه الله رشده وتقواه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible] على الدوام

[illegible]

(كتاب من الشيخ عبد الرحمن بن قاسم)

— بخط يده —

خير الدين الزركلي
(١٣١٠ — ١٣٩٦هـ)

تحدَّثتُ عن الزركلي — رحمه الله — في «العرب» س ١١ ص ٦٢٩ — وكنت عرفته عام ١٣٥٧ حين كنت في مصر، عند التحاقي بكلية الآداب، وكان مستشاراً في (المفوضية) وما كنت في ذلك الوقت أرتاح إليه لأنني في إحدى زيارتي له شاهدت منه من الجفاء ما صرفني عن تكرار الزيارة. حتى كان عام ١٣٧٦ — حيث اتصل بي الشيخ يوسف ياسين بواسطة الهاتف، وكنت أتولى إدارة (مطابع الرياض) وهي تطبع بعض الكتب على نفقة الملك سعود — رحمه الله — بإشراف يوسف ياسين — اتصل بي ودعاني للغداء في بيته، وهي الدعوة الأولى والأخيرة، فاستوضحت عن الغاية من ذلك، فقال: إنني دعوت صديقاً لك فشرط حضورك وأنه يحمل لك كتاباً مخطوطاً مصوراً، وكنت طلبت من الشيخ يوسف الفوزان تصوير مخطوطة «نوادر الهجري» من إحدى مكتبات الهند، فظننت أنه هو الكتاب.

وحين حضرت إلى بيت الشيخ يوسف وجدت الأستاذ الزركليّ، وكان يكاتبني قبل ذلك، فوجدته — هذه المرة — خلاف ما توهمت عنه من الجفاء، فكان أن قويت الصلة بيني وبينه حتى توفي — رحمه الله — وكنا أثناء إقامتي في بيروت نتزاور، وقد عرض عليّ جانباً كبيراً من كتابه «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» قبل طبعه.

وقد وصفت في «العرب» بعض نوادر المخطوطات في مكتبته.

ولو لم يكن للأستاذ الزركلي سوى كتابة «الأعلام» الذي جمع فيه خلاصة تراجم مشاهير الأمة والعلماء الذين عُنُوا بتراثها — لكفاه مأثرةً باقية ولكن مما يحزُّ في النفس أن الرجل انتقل إلى رحمة الله — قبل إضافة كل ما استدركه من التراجم، ودعاه «الإعلام بِمَنْ لَيس في الأعلام» وقد شرع في وضع تلك التراجم مَحلَّها من الكتاب، فعاجلته المنية قبل إكماله، ولهذا وقع في المطبوعة التي نشرت بعد وفاته خَلَلٌ سبب سقوط بعض التراجم من أصل الكتاب.

القاهرة ١٥ يناير ١٩٦٤

أخي الأستاذ الجاسر

تحيات ، تصلني أعداد اليمامة إلا العدد الثاني منها فلم أره ، وسامحني إذا ذكرت لك ما جال في خلدي حين رأيت الجزء الثالث ثم الرابع ، فالرابع على الخصوص خالٍ مما يُنتظر أن تكتب فيه أُنت ، من دراسة لكتاب أو نقد أو تعقيب ، أما الأخبار والمقالات في الشؤون العامة فلا يكتفي بها من يقرأ مجلة "الجاسر" التي أرجو أن تسد مسد "لغة العرب" التي كان يصدرها الأستاذ الكرملي ، وقد يكون عذرك توالي المؤازرين ، وهذا صحيح إلا أنه لا يعفيك من كتابة فصل في نصف صفحة أو أقل أو أكثر ، في كل عدد ، ولو وصفاً لإحدى المكتبات الخاصة في الرياض أو حديثاً عن جولة لك حول الرياض ، وليس في هذا ما يجشمك كبير عناء ، ولكن فيه لقرائك بعض الغناء .

تتجه همة بعض الأصدقاء الألمانيين إلى تجميع أجزاء الإكليل مع أمل السعي في طبعه ، وقد أخبرتهم بالجزء الأول الذي كنت بعثت إليّ بفهرسته ، وأخبرتهم بالجزأين الأول والثاني المطبوعين معاً بالتصوير في برلين . وأرجو أن تذكر لي عنوان المكتبة التي يطلب منها هذان الجزآن ، ولك الفضل .

(بقية الكتاب ص ١٢)

وأخبرني أخي خالد الفرج بأن ما يباع في الرياض من "تاريخ ابن غنام" طبعة الشنقيطي، في جزأين، و"تاريخ إبراهيم بن عيسى" يطلب من عبد الله الحاتم، في الرياض. فإن كان هذا صحيحاً فأرجو أن تأخذ قيمتها من أخي الشيخ يوسف ياسين وتتكرم بشرائها وتسليمها إلى أخي السيد رشدي ملحس ليتفضل بإرسالها إلي، بعد أن تتفضل بإبلاغهم تحياتي.

أرجو أن تكون راضياً عن قصيدتي في رثاء فقيدنا العظيم، وقد رأيت في بعض الصحف التي نشرتها كثيراً من التحريفات المطبعية، وعندي نسخة أظنها صحيحة كما نشرتها جريدة "القاهرة"، تجدها مع هذه الكلمة لتجعلها بين أوراقك إن أردت.

وتحية طيبة [illegible] والدعاء لكم [illegible]

خير الدين الزركلي

(نموذج خط الأستاذ الزركلي)

عبد العزيز الْمَيْمَنِيّ
(١٣٠٦/١٣٩٨)

عرفت الشيخ الميمني — رحمه الله — من خلال ما نشر من الكتب الأدبية الكثيرة ، وأُعجِبْتُ بغزارة علمه ، وسعة اطلاعه على نوادر المخطوطات ، ودأبه للبحث والتنقيب عنها .

ثم لما نشر الأستاذ محمد عبد السلام هارون رسالة عَرَّام بن الأصبغ عن «جبال تهامة وسكانها» أخذت عليه — فيما أخذت — عدم إشارته إلى أن الشيخ الميمني سبقه في نشرها ، مع أنه استفاد من تعليقاته عليها وذلك في مقال نشر في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» المجلد الثامن والعشرين ص ٥٩٣ وما بعدها .

ولما حجّ سنة ١٣٧٦ — كتبت كلمة في جريدة «اليمامة» (ع٨٧ تاريخ ٩ ذي الحجة سنة ١٣٧٦) مشيراً إلى ما يبذله من جُهْدٍ في سبيل التراث ، كما نشرت كلمة للملحق الثقافي في (السفارة الباكستانية) في الموضوع .

ونشرت في «العرب» س٨ ص ٣٩٢ — كلمة مفصلة عنه ، تحية له بمناسبة بلوغه التسعين من عمره ، تحدثت فيها عن اجتماعي به في (كراتشي) سنة ١٣٨١ هـ .

ومنذ سنتين طلب مني (المجمع العلمي الهندي) — كتابة كلمة تنشر في مجلة المجمع ، في عدد خاصٍّ عن الميمني ، فأجبت الطلب . والاستاذ الميمني من أعضاء (المجمع العلمي العربي) بدمشق ، وقد نشرت مجلة هذا المجمع له كثيراً من البحوث في وصف المخطوطات ، وفي الاستدراكات على بعض ما ينشر منها .

وقد كتب عنه الدكتور شاكر الفحَّام — وزير التعليم العالي في سورية — في مجلة المجمع المذكور — المجلد الـ٥٤ ص ٢٣٦ وما بعدها — ترجمة مفصلة وقد توفي — رحمه الله — في ذي القعدة سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨/١٠/٢٧م) .



EMBASSY OF PAKISTAN
JEDDA

سيدي الفاضل الجليل الاستاذ العلامة حمد الجاسر حفظه الله
تحية وسلاماً زاكياً
طالعت بالشكر نبأ أن داعيكم في اليمامة وكنت مغتبطاً
الاعتراف بمنتكم على فيها لكنتم بمجلة المجمع العلمي بدمشق بصدد
اسامة حبال تهامة فتفضلوا بمشاركة ... عاطر
وقد أخذت من حسد تعنا ضياء الحسن الرسولي هو الجزء
فبقيت كفه فارغة وارجو سيدي أن تعوضه بنسخة
من جزء اليمامة هذا وتحسبه ذمة منة أخرى مضافة
الى منتكم المتواصلة ودمتم للعلم

عبد العزيز الميمني جدة ١٧/١٢/٧٦هـ

تقبلوا سلامي ومالقه احترامي
ضياء الحسن الرسولي
(ل "نور الحسن الرسولي")

أبو الأعلى المودودي
(١٣٢١ — ١٣٩٩ هـ)

الداعية الإسلامي المعروف . ولد في مدينة (أورنك) آباد الدكن في ولاية حيدر آباد في الهند في ٢٥ شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣ م من أسرة تنتسب إلى الشيخ قطب الدين مودود جشتي ، مؤسس الطريقة الجشتية في الهند .

وتلقّى التعليم في بيت أبيه حتى الحادية عشرة من عمره ، ثم دخل المدرسة حتى أكمل الدراسة الثانوية ، حيث أُصيب والده بالشلل فانصرف إلى خدمته .

ثم لما توفي أبوه — وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة — انصرف للعمل وراء الرزق ، ولكن ذلك لم يصرفه عن مواصلة الاستزادة من العلم بالقراءة والكتابة . حتى بلغ ما بلغ من المكانة السامية بين علماء عصره .

وقد توفي – رحمه الله – في مدينة (نيويرك) في الولايات المتحدة في شهر شوال سنة ١٣٩٩ (سبتمبر سنة ١٩٧٩) بداء النقرس الذي أثر في كليتيه فأحدث تَسَمُّماً في الدم .

والحديث عن أعمال الشيخ المودودي ، وعن آثار تلك الأعمال ، وعن جهاده في سبيل نشر الإسلام ، وعن آرائه في قضايا العالم الإسلامي التي أوضحها في مؤلفاته الكثيرة قد أُلفت فيها المؤلفات .

وقد عرفت الشيخ المودودي أوّل ما عرفته بما طالعت من رسائله التي كانت تُعَرَّبُ ثم تنشر في مختلفة الأقطار الإسلامية .

ثم في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩ (يناير ١٩٦٠ م) قدم إلى مدينة الرياض ، فأكرمني بزيارتي في بيتي — وقال لي : إنَّه يُعنَى بدراسة الآثار الإسلامية ، وأنه عرف عني ما دفعه للاتصال بي .

ثم استمرّ يكرر زيارتي أيّاماً . ثم سافر بعد ذلك فكان يواصلني بالكتابة .
ولما زرت (باكستان) سنة ١٣٨١ — واجتمعت به أخبرني أنه ألّف كتاباً عن الآثار

(البقية ص ١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الأعلى المودودي

Ichhra - Lahore - Pakistan

بتاريخ ٧ / ٨ / ١٣٧٩هـ
٦ / ٣ / ١٩٦٠م

حضرة الاخ الكريم الاستاذ الجليل العلامة المحقق حمد الجاسر الموقر

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته . وبعد ، فنرجو ان تكونوا بكل خير وعافية
ولقد كتبنا اليكم رسالة من دمشق بعد رجوعنا اليها من القاهرة
عسى ان تكون قد وصلت اليكم وعسى ان تكون قد وصلت اليكم ايضا نسخة من كتاب
" فى ارض مدين " (المهداة لسيادتكم) كنا ارسلناها اليكم من القاهرة . عسى أن تتكرموا بافادتنا
بوصول هذا الكتاب اليكم .

كما رجعنا الى باكستان فى اوائل الشهر الماضى الا ان بعض اشغالنا حالت
دون القيام بواجب الكتابة اليكم حتى الآن ونرجو على ذلك منكم العفو
والمعذرة . وان قلوبنا مفعمة بعواطف الشكر و الامتنان على ما لقينا منكم
اثناء اقامتنا بالرياض من الحفاوة و الاكرام ونعد من اسعد ايام حياتنا تلك
الايام التى قضيناها فى الرياض بصحبتكم و استفدنا فيها بعلمكم الغزير
ومكتبتكم القيمة الذاخرة ، والله تعالى نسأل أن يجزيكم عنا وعن الاسلام خير
الجزاء واحسنه . ومن نيتى الآن أن اشرع فى كتابة كتاب مستقل عن الآثار والاماكن
التاريخية التى رأيناها فى هذه الرحلة وعسى ان لا يكون موعد صدور هذا
الكتاب باللغة العربية بعيدا وعندئذ سنرسل اليكم بنسخة منه ان شاء الله .

هذا ، ومن هنا يقرأ السلام عليكم الاستاذ غلام محمد والاخ محمد عاصم الحداد
– رفيقاى فى السفر – وسائر من عندنا هنا من اخواننا وزملائنا .

وفى الختام تقبلوا منا فائق التحيات و الاحترامات ادامكم الله ذخرا للاسلام
و المسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اولا وآخرا .

اخوكم

أبو الأعلى المودودي

أستاذنا الجليل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
لا نزال منتظرين تكرمكم بارسال "اليمامة" "العرب" منذ
مدة [illegible] ونحن مستعدون لاداء بدل اشتراكها ،
فاذا لم يتيسر من الممكن ارسالها الينا مجانا فعسى ان تأمروا ادارتها بارسال اشتراكها
بواسطة [illegible] ان كان فى هذا بعض الصعوبات ، اخوكم محمد عاصم الحداد

زيد الخيل "الخير"

مع معاصريه

إذا[1] استعرضنا ترجمة زيد الخير ، نجده قد عاش حياةً خصبة ، حافلة بالفروسية والكرم ، والحلم والعفو .. وتتجلّى هذه الصفات وأمثالها من خلال علاقاته بمعاصريه .. الذين حفظ لنا التاريخ شيئاً من أخباره معهم .. من مشاهير الرجال أو النساء .. ولمن شاء من القراء أن يلقي نظرة ، ولو خاطفة ، على ترجمته في «الأغاني» .. ليعرف أخباره مع بعض مشاهير عصره من أمثال : كعب بن زُهير ، وأخيه بُجَيْر .. ومع حاتم الطائيِّ .. وعامر بن الطُّفيل .. وعامر بن مالك .. وطُفَيل الغَنويّ ، والحُطَيْئَة وقيس بن عاصم المِنْقريِّ .. وسلامة بن جَنْدَلٍ ومَاوية بنت حُجْر بن النُّعمان .. وغير هؤلاء .. وقد مرّ بنا في قصة وفادته . ذكر صَحبه من وَفْد طيِّء ومَنْ اتَّصل بهم من الرجال خِلال رحلة وفَادته ..

مع بُجَيْر وكعب ابني زُهَير :

بُجَيْر وكعب شاعران ، أبوهما الشاعر الجاهلي الشهير (زُهَيْر بن أبي سُلْمَى) صاحب المعلقة المشهورة :

أمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْـنَةٌ لَـمْ تَـكَلَّمِ

→ الإسلامية ، باللغة الانجليزية ، وذكرني في مقدمته ، ولا أدري هل طبع كتابه هذا أم لم يطبع .

وأذكر أنني ذاكرته في استعمال كلمة (الأعلى) ولكنه ـــ رحمه الله ـــ لم يقنع برأيي ، واكتفى بأن ابتسم وقال (أنت دقيق الملاحظة ، ومعاني الكلمات نسبيّة) ولم أرِدْ إحراجه بإطالة الحديث ، مع أنني لم يتضح لي معنى كلامه .

الريـاض : حمد الجاسر

زيد الخيل "الخير"

مع معاصريه

إذا[1] استعرضنا ترجمة زيد الخير ، نجده قد عاش حياةً خصبة ، حافلة بالفروسية والكرم ، والحلم والعفو .. وتتجلّى هذه الصفات وأمثالها من خلال علاقاته بمعاصريه .. الذين حفظ لنا التاريخ شيئاً من أخباره معهم .. من مشاهير الرجال أو النساء .. ولمن شاء من القراء أن يلقي نظرة ، ولو خاطفة ، على ترجمته في « الأغاني » .. ليعرف أخباره مع بعض مشاهير عصره من أمثال : كعب بن زُهير ، وأخيه بُجَيْر .. ومع حاتم الطائيِّ .. وعامر بن الطُّفيل .. وعامر بن مالك .. وطُفَيل الغَنويّ ، والحُطَيْئَة وقيس بن عاصم المِنْقريِّ .. وسلامة بن جَنْدَلٍ ومَاوية بنت حُجْر بن النُّعمان .. وغير هؤلاء .. وقد مرّ بنا في قصة وفادته . ذكر صَحبه من وَفْد طيءٍ ومَنْ اتَّصل بهم من الرجال خِلال رحلة وفَادته ..

مع بُجَيْر وكعب ابني زُهَير :

بُجَيْر وكعب شاعران ، أبوهما الشاعر الجاهلي الشهير (زُهَيْر بن أبي سُلْمَى) صاحب المعلقة المشهورة :

أمِنْ أُمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ

← الإسلامية ، باللغة الانجليزية ، وذكرني في مقدمته ، ولا أدري هل طبع كتابه هذا أم لم يطبع .

وأذكر أنني ذاكرته في استعمال كلمة (الأعلى) ولكنه — رحمه الله — لم يقنع برأيي ، واكتفى بأن ابتسم وقال (أنت دقيق الملاحظة ، ومعاني الكلمات نسبيّة) ولم أرِدْ إحراجه بإطالة الحديث ، مع أنني لم يتضح لي معنى كلامه .

الريـاض : حمد الجاسر

وهما من أُسرة تَتوارَثُ الشِّعْر.

وكعب هو صاحب قصيدة (بانَت سعاد) التي مَدَح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَعفَا عما سلف من عِدَائِه للإسلام، وأجازَهُ بِبُردته.. في قصة معروفة مُستفيضَةٍ..

لِهَذَين الشاعرين، أعني بُجَيْراً وكعباً أخبارٌ مع زيد الخيل.. وقد تَختلفُ رواياتُ هذه الأخبار، ولكنها تدلُّ على اتّصال أمرهما به، وتتفِقُ على ما قيل في هذه الأخبار من أشعار.

تقول إحدى الروايات: إنَّ بُجَير بن زهير، والحُطَيْئة مع رجل من بني بَدْرٍ الفزاريّين، خرجوا يَقْتِصُون الوحش، وهم عُزْلٌ لا سلاح لهم، فلقيهم زَيْدُ الخَيل، بنُ مهلهل الطائي في عدة، فأخذهم وخلَّى سبيلَ الحُطَيْئة لفاقته وفقره، وافتدى بُجَير نَفْسَهُ بفرس كُمَيْتٍ، وافتدى البَدْرِيُّ نفسه بمئَةٍ من الإبل[٢]، وبلغ الخبر كعبا، وهو كما مَرَّ بنا أخو بُجَير، وكان نازلاً في بني مِلْقطٍ، فادَّعَى أنَّ الفرس له، وقال شعراً يُحَرِّضُ بني مِلْقط، على أخذ الكُميت من زيد[٣].

وتقول رواية أخرى[٤]: إنَّ بُجَيراً خرج مع غِلمةٍ يجتنون جنى الأرض، فانطلق الغِلْمة وتركوا بُجَيراً، فمرَّ به زيد الخيل فأخذه، ودار طَيِّءٍ مُجاورةٌ لدور بني عبدالله بن غطفان، فسأل الغلامَ: من أنْتَ؟ قال: أنا بُجَيرُ بن زهير، فحمله على ناقة وأرسل به إلى أبيه، فلما أتى الغلام أباه أخبره أنَّ زيداً أخذه، ثم خَلاَّهُ وحمله وكان لكعب بن زهير فرس من جياد خيل العرب، وكان كعب جسيماً، وكان زيد الخيل من أعظم الناس وأجسمهم، وكان لا يركب دَابَّةً إلاَّ أصابت إبهامُهُ الأرض، فقال زهير: ما أدري ما أُثيبُ به زيداً إلا فرس كَعْب (أي إنه فرسٌ فارهٌ يليق بجسامة زيد) فأرسل به إليه، وكعب غائب، فلما جاء كعبٌ سأل عن الفرس، فقيل له: قد أرسل به أبوك إلى زيد، فقال كعب لأبيه: كأنَّك أردتَ أنْ تُقوِّي زَيداً على قِتال غَطَفَان؟! فقال له زهير: هذه إبلي فَخُذ منها عن فرسك ما شِئْت، وكان بين بني زُهير، وبين بني مِلْقطٍ الطائيين إخاءٌ، وكان عمرو بن مِلْقَطٍ وفَّاداً إلى الملوك، وهو الذي أصاب بني تميم، مع

عمرو بن هِنْدٍ ، يوم أوارة[٥] ، فسأله فيهم فأطلقهم له ، فقال كعب شِعْراً ، يريد أن يلقي بين بني مِلْقط ، وبين رهط زَيد الخيل شرّاً ، فعرف زُهير حين سمع الشعر ما أراد به ، وعرف ذلك زيد الخيل ، وبنو مِلْقط ، فأرسلت إليه بنو مِلْقط بفرس نحو فرسه ، وكانَتْ عند كعب ، امرأةٌ من غطفان ، لها شرفٌ وحَسَبٌ ، فقالت له : أما استحييت من أبيك لشرفه وسنّه ، أن تُؤَنِّبه[٦] في هبته عن أخيك .. ولامَتْهُ ، وكان قبل ذلك قد نزل بكعب ضيفانٌ ، فنحر لهم بكراً كان لامراته (التي لامته) فقال لها : ما تلوميني إلا لمكان بَكْرِكِ الذي نَحَرْتُ لضيوفي ، فلك به بَكْرانِ ، وكان زهير كثير المال ، وكان كعب مجدوداً . فقال كعب :

ألا بَكَرَتْ عِرْسي بليلٍ تَلُومُني ... وأكثر أَحْلام النِّساء إلى الرَّدى

وذكر في قصيدته زيداً ، فقال زهير لابنه ، هجوت رجُلاً غير مفحمٍ ، وإنَّه خَلِيْقٌ أن يظهر عليك ..

فأجابه زيد بقصيدة...

أما قصيدة كعب ، فقد بدأها يُقَرِّعُ زوجتَهُ على موقفها منه .. حتى إذا فرغ من ذلك ، انطلق يُوجِّهُ القول الى بني مِلْقَطٍ ، الذي كان نزيلاً لديهم ، يُحرِّضهم على زيد الخيل وقومه ، وفي هذا المعنى يقول :

فَيَا راكباً، إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... بني مِلْقطٍ عنِّي، إذا قيل: مَن عنى؟
فَمَا خِلْتُكُم يا قوم، كنتم اذِلَّة ... وما خلتكم كنتم لِمُختلسٍ جَنَى!
لقد كنتُم بالسهل والحزن حيَّة ... اذا لدغَتْ، لم تشفِ لَدْغَتها الرُّقى
فإنْ تَغْضَبُوا.. أو تُدركوا لِي بذمةٍ ... لعمركم فَمِثْلُ سَعيكمُ.. كفى

فإذا بلغ هذه الإثارة.. مَضى يقصّ قصة فرسه مع زيد الخيل :

لَقَدْ نَالَ زَيدُ الخيل مالَ أخيكم
وأصبح زيدٌ — بعد فقر — قد اقتنى[٧]
وان الكُمَيت، عند زيد ذمامةٌ
وما بالكُميت من خفاء لمن رأى

يـبين لأفـيـال الـرجـال ومـثـلُـهُ
يبين، إذا ما قِيْدَ في الخيل أو جَرَى[8]

ويبدو من جواب زيد الخيل، انه استهول أن يكون كُلُّ هذا الغضب والاثارة، من أجل جواد عجوز، لا يقوى على النهوض فَضْلاً عن الجري، يُقام له هذا المأتم، كل عام، وكأنهم فقدوا عظيماً من رجالهم، ومن أجله يُحَرِّضون زعماء القبيلة ليغيروا عليه أو على إبله لينهبوها.. وليس الامر بهذا اليُسْر، فإنَّ وراءها رجالاً شُجْعاناً فوارس، يصيبون المقاتل، في الأَبْهَر والكُلَى.. لكني — في واقع الأمر — لا أُحِبُّ أن أُكدِّر نعْمةَ زهير، ولا صَنِيْعهُ، وإلا.. لشاتَمْتُ كَعباً طوال عمري. أما قولك يا كعب: قد انبعَثَتْ عرسي بِلَيْلٍ تلومني.. الخ.. فاعلم ان عطاء الله عليَّ كثير.. فأنّني أتموَّلُ من كل غارة.. فإني شُجاع.. أُقدِمُ إذا أخَذَت الرِّعْدَةُ الجُبَناء..

أفي كُـلِّ عـامٍ، مَـأْتَـمٌ تَـجْـمَعُونَهُ
على مُـحْـمِـرٍ نَوَّيتمُوهُ وما رَضِـى[9]
تُـحِـدُّون خـمشاً، بـعـد خـمش كأنـه
على فـاجـعٍ مـن خير قـومكم نَعَى[10]
تُحَضِّضُ (جَـبَّـاراً) عَـلَـيَّ ورهـطـه
وَمَـا صِـرمتي فيـهم لأولِ مَنْ سَعَى[11]
تَـرعَّى بِـأَذْنَـابِ الشِّـعَـاب، ودونها
رِجَـالٌ.. يَـصُـدُّونَ الظلوم عن الهَوَى[12]
ويـركب، يـوم الـروع فيهـا فوارسٌ
يـردّون طعنا في الأباهر والكُـلَى[13]
فـلولا زهير.. إن أُكَـدِّر نِـعْـمَـةً
لقاذَعْتُ كَعباً ما بَقِيْتُ وما بَقَى[14]
قـد انْـبـعَـثَـتْ عِـرْسي بـليـل تَلومني
وأقْـرَبُ أَحْلاَمَ الـنِّـسـاء إلى الـرَّدى[15]

تَـقُـول : أرى زيـداً ، وقـد كـان مُـقْتِراً
أراهُ لـعـمـري قـد تَـمَـوَّلَ واقـتـنـى
وَذَاكَ عـطـاءُ الله مـن كـل غَـارة
مُـشـمَّـرةٍ يـومـاً إذا قَـلَّص الـخُصَـى

وهناك رواية ثالثة ، تتَّصل بقصته مع عامر بن الطُّفيل ، فقد أغار هذا الأخير على بني فزارة ، واستاق نعماً لهم .. فاستعانوا بزيد الخيل ، الذي أدرك عامراً .. فتقاتلا .. واستسلم عامر .. فَجَزَّ زيد ناصيته (نكالاً له) وأخذ رمحه .. وردَّ النَّعَمَ الى بني بَدْرٍ الفزاريين .

وعندما عاد عامر إلى قومه .. عَزلوه عن رئاستهم ، وجعلوا علقمة بن عُلاثَة رئيساً لهم ، وخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زُهير .. وأرسل عامرٌ الى زَيد الخيل من يُخْبِرُهُ بخروجهم ، فجمع زيد قومه ، وتلاقوا بالمضيق ، فقاتلهم زيدٌ ، فأسر الحُطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ، فلما طال عليهم الأمر ، وطلبوا الفداء ، جعل أمرهم الى عامر بن الطفيل (ليُرَدَّ له اعتباره بين قومه) إلا الحطيئة وكعباً .. فأعطاه كعبٌ فرسه الكُميت .. ولم يكن لدى الحُطَيئة ما يفدي به نفسه فتركه زيد .

ومن هذه الرواية نعلم أن كعباً هو نفسه الذي افتدى من الأسر بفرسه الكميت .. ولكن هذه الرواية لا تنسجم كثيراً مع نقمة اللوم والتَّقريع اللتين تبدوان في قصيدة كعب .. ولو أنه هو الذي افتدى نفسه بفرسه ذاك لما أظهر كُلَّ هذا الجزع واللوم .. وإنَّني لأميل الى رواية تَصَرُّف أبيه زُهير في فداثه أو فداء أخيه بُجَيْر ، بذلك الفرس الفاره ، فقد اختار لزيد ما يجعله يَسْخو بفكاك ابنه . أيا كان منهما .. فهو يعلم أن زيداً يُحبُّ الخيل . كما يعلم أنه جسيم طويل ، لا يصلح له إلا فرس فاره .. فكان الكميت ..

مع الحطيئـة :

وقصة الحطيئة مع زيد الخيل ، تتلازم مع قصته مع بُجير وكعب ابني زهير بن أبي سُلْمَى على النَّحو الذي سبق أن سَرَدْتُهُ .. إلا أنَّ موقف زيد الخيل منهُ مُختلف ..

فالحطيئة شاعر فقير.. ولا مطمح من ورائه .. إلا الرغبة في شعره ، أو اتّقاء لسانه المُقذع .

وقد آثر زيد الخيل ، بحصافته أن يشتري حَمْدَه .

ويبدو من الروايات المختلفة ، أنَّ لزيد الخيل أكثر من موقف مع الحطيئة.. لاختلاف الأشعار بين موقف وآخر..

تقول إحدى الروايات أن زيداً غزا بني عامرٍ ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، فلقي جمعاً من غَني بن أعصر ، وإخواتهم الحارث وهم الطفاوة ، وانتصر زيدٌ وجماعته ، وأسر زيد الخَيْل يومئذ الحُطيئة فجزَّ ناصِيتَهُ وأطْلقهُ[١٦] .

ولكن بني عامر ، عادوا فخرجوا للقاء زيد الخيل وقومه.. ومعهم الحطيئة.. الذي أسر أيضاً . ولكنَّ زيداً ، يبدو أنه قد تشدَّدَ هذه المرة مع الحطيئة.. وطلب أن يفتَدي الحطيئة نَفْسَهُ بشيء.. ولا يَغْتر بكونه شاعراً.. ولكن الحطيئة لا يملك إلا الشعر.. فكان هذا الحوار الشعري الطريف.. الذي يقول فيه زيد :

أقول لِعَبْدي جَرْولٍ إذْ أسَرْتُهُ
أثِبْني ولا يَغْرُرك أنَّك شاعِرُ
أنا الفارسُ الحامي الحقيقة والذي
له المكرمات واللُّهى ، والمآثر[١٧]
وقومي رؤس الناس ، والرأسُ قائدٌ
إذا الحَرْب شَبَّتها الأكفُّ المساعر
فلستُ إذا ما الموتُ حُوذر وردُهُ
وأُتْرِعَ حوضَاه ، وحَمَّج ناظِرُ[١٨]
بِوقَّافةٍ يَخشَى الحُتوف تَهيُّباً
يباعدني عنها من القُبِّ ضامر[١٩]

ولـكـنّي أغشى الحتوف بِصَـعـدتي
مُـجـاهـرةً إنَّ الـكـريم يُـجـاهـر[٢٠]

وأُروي سَـنـاني من دمـاء عـزيـزة
على أهلـها، إذْ لا تُرجَّى الأياصر[٢١]

فيجيب الحطيئة، مُعرباً عن أسفه، فلا مال لَدَيه، ولكنه يستطيع أن يمتدحه بشعره.. لتقرير حقيقة مُهمة، فإنه لم يأسرهم غدراً، ولكنه التقى بهم في حرب سافرة.. كنت فيها بطلاً، تتفاداك الأبطال، كما تتوقّى الطيور الوادعة الصقر المُفترس، فلا عجب أن كان النَّصْرُ حليفك.. وان كنا أقصُد آل بَدْرٍ لم نجبُن.

إلا يـكـن مـالٌ يُـثـابُ.. فـإنَّـه
سيـأتي ثـنـائي زيداً.. ابن مُهَلـهل:

فما نِـلْـتـنـا غدراً.. ولـكـن صَبَحْتنا
غـداة الـتـقـيـنـا بـالمضـيـق بـأخـيـل

تَـفَادى كُماةُ الـخَـيـل من وقع رُمْحِهِ
تفادي خشاش الطير من وَقع أجدل[٢٢]

وأعـطـتك مـنّـا الـوُدَّ، يوم لَـقِـيْـتـنـا
ومن آل بَـدْر ــــ وقعـةٌ لم تُـهلل[٢٣]

وفيه قال الحطيئة أيضاً:

وَقَـعْـتَ بِـعَـبْس، ثم أنـعَـمْت فيهم
ومن آل بَـدْرٍ قـد أصَبت الأخـايرا

فإن يشكـروا، فالشكر أوفى الى التُّقَى
وإن يكفروا، لا أُلف يا زَيدُ ــــ كافرا

تَــرَكْتَ الميــاه، من تميم بلاقــعـاً
بما قد ترى منهم حلولاً كراكرا[٢٤]

وحيٌ سُـلَيمٍ قـد أثـرت شريـدهـم
ولا تَـنْس ما قَتَّلتَ يا زَيدُ عـامرا

وكان ان رضي زيد الخيل عن الحطيئة ، وعفى عنه.. سواء جزّ ناحيته .. كما هو دأب المنتصر.. أو لم يُجزَّها .. وإن لم يكن زيد في حاجة الى أن يَجُزَّ ناصية الحطيئة .. فما هو من زعماء القوم ولا سادتهم ولا فرسانهم المعدودين حتى يُنَكِّل به .. ولعل دمامة الحطيئة ، وما وُصف من قُبحه لم يكن في حاجة الى المزيد .

والمهمُّ في القصة أن الحطيئة التزم تماماً بذلك الوعد الذي قطعه على نفسه حينما قال :

فإن يشكروا ، فالشكر أدنى الى التقى
وإن يكفروا — لا أُلف يا زيد — كافرا

فقد وعد أن لا يُلفى مُنكراً لِيد زَيد عليه .. فقد عاد الى قومه ، من إساره ، وهو يثني على زيد ويشكر نِعْمته ..

وجاءتْ وقعةٌ جديدةٌ بين طيٍّء وبين بني بَدْر ، فطلبت فزارة وافناء قيس الى شعراء العرب أن يَهجوا بني لأمٍ وزيداً ، فتحامتهُم شعراءُ العرب ، وامتنعت من هجائهم ، فصاروا إلى الحطيئة ، فأبى عليهم وقال : اطلبوا غيري فقد حَقَن دمي ، واطلقني بغير فداء ، فلستُ بكافر نعمته ابداً ، قالوا : نُعطيك مئة ناقةٍ قال : والله لو جعلتموها ألفاً ما فَعَلتُ ذلك ! ! وقال :

كيف الهجاءُ وما تنفَكُّ صالحةً
من آل لأمٍ بظهر الغيب تأتينا
المنعمين أقام العزُّ وسطهُمُ
بِيضُ الوجوه ، وفي الهيجا مطاعينا(٢٥)

مع طُفَيْل الغَنَويّ :

ومما يتّصل بقصته مع الحطيئة — أو قصصه معه — حَرْبٌ لِغَنِيٍّ بن أعصر ، وإخوتهم الحارث ، وهم الطفاوة ، وفي غَنيٍّ فرسان وشعراء ، منهم الشاعر طفيل الغَنوي(٢٦) الذي كان بينه وبين زيد الخيل سجالٌ شعريٌّ .. فقد قال زيد الخيل :

وخيبة من تُسجيب على غَنيٌ
وبَاهلة بن أعصر والكلاب[٢٧]

فلما دارت الدائرة في وقعة تالِيَةٍ ، وانتصروا على طيّءٍ في أرضهم ، وغنموا وقتلوا ، وأدركوا ثأرَهُم ، فلم يَفُت طفيل الغَنَويٌّ أن يرُدَّ على أبيات زيد فقال قصيدته :

سمونا بالجِياد الى أعادٍ مغاورةٍ، بجدٌ واعتصَابِ
نَؤمُّهُم على رعب وشحْطٍ بِقُودٍ يَطَّلِعْنَ من النِّقَاب

ويقول أبو الفرج إنها طويلة ، يقول فيها :

أخذنا بالمخَطَّم من أتاهم من السُّود المزَنّمة الرغاب[٢٨]
وقتَّلْنَا سراتهم جِهاراً وجئنا بالسَّبايا والنِّهاب
سَبَايا طيّءٍ أبرزنَ قَسْراً وأُبْدلْنَ القصور من الشعاب
سَبَايا طَيّءٍ من كل حيٍّ بِمَن في الفَرع منها والنِّصاب
وما كانت بناتُهم سَبِيّاً ولا رغبا يُعَدُّ منَ الرّغاب
ولا كَانَتْ دماؤُهم وفاءً لنا فيما يُعَدُّ من العقَاب

مع عامر بن الطفيل :

تأتي قصته مع عامر بن الطُّفيل[٢٩] في قصَّة صديق زيد الخيل ذؤاب بن عبدالله ، وهو رجل من طيّءٍ ، قوم زيد ، خرج إلى صهر له من هَوازن ، وبين طيّءٍ وهوازن وقائع وحروبٌ ، فأُصيب ذؤاب ، وهو رجل شريف له رياسة في حيّه ، فغضب زيد ، وركب مع بني نبهان ، ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بني عامر ، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له : آلَك علمٌ بالطَّائي المقتُول ؟ فإن قال : نعم قتله . وإن قال : لا . خَلَّى سبيله ومَنَّ عليه .. وأصاب رجالاً .. ثم رجع . فقال له قومه : ما صَنَعْتَ ؟ قال : ما أصبْتُ بثأرِ ذُؤابٍ ، ولا يَبُوءُ به إلا عامر بن مالك مُلاَعب الأسِنَّة . فأما عامر بن الطفيل بلا يَبُوءُ به — كأنه يُقَلِّل من شأنه — وقال زيد الخَيل في هذه المناسبة :

لا أرى أنَّ بـالـقـتـيـل قـتـيلاً
عــامــريّــاً يفي بِـقَـتْـلِ ذُؤَاب
لَـيْس مَنْ لاَعَب الأسِـنَّـةَ في النَّـقْـ
ـع وسُـمّي مُلاعِـبـاً بـإراب
عــامــر لـيس عــامــر بن طـفـيـل
لــكن الـعـمــر رأس حيّ كلاب
ذاك إن أُلــفــه أنــال بــه الوتـ
ـر، وقـرَّتْ بـه عُـيُون الصِّـحَـاب
أو يَـفُـتْني، فـقـد سَـبَـقْتُ بِوتـرٍ
مَـنْـحِـجِيّ، وجـد قومي كِـتَـابِ
قَـدْ تَـقَـنَّصْتُ لِـلضـبـاب رجـالاً
وتَـكَـرَّمْتُ من دمـاء الضِّـبـابِ
وأَصَـبْـنَـا من الوَحـيـد رجـالاً
ونُـفَـيْـلٍ فما أسـاغوا شرابي

فلما بلغت هذه الأبيات، عامرَ بنَ الطُّفيل، وفيها تعريضٌ به، وتَقْليل لمكانته غَضِبَ وقال يُجيبه :

قُـلْ لزيد : قـد كُـنتَ تُؤثَرُ بالحِلْـ
ـمِ إذا سُـفِّـهَتْ حُـلُومُ الـرِّجَـال
لَـيْس هـذا الـقـتـيل من سَلَفِ الحـ
ـي ، كِلاَعٍ ، ويَـحْـصُـبٍ وكُلال(٣٠)
أو بني آكـل الـمُـرار، ولا صِـيـْ
ـد بَني جَـفْـنَـة الـمُـلُوك الـطِّوال(٣١)
وابن مـاء السَّـمـاء قـد عـلم الـنا
سُ، وَلاَ خَـيْـرَ في مـقـالـة غـالي(٣٢)

إنّ في قَـتْـل عـامـر بن طُـفَـيْـل
لَـبَـواءً لـطـيءٍ الأجْـبَـال[٣٣]

إنّي، والـذي يحج لـه الـنـا
سُ قَـلِـيْـلٌ في عـامـرٍ أمـثـالي

يوم لا مـال لـلـمـحارب في الحر
ب، سوى نَصْل أسْمرٍ عسَّال[٣٤]

ولجام في رأس أجـرد كـالـجـذ
ع، طَوالٍ، وأبـيـضٍ قصّـال[٣٥]

ودلاص، كـالـنِّـهي ذات فُضُول
ذاك في حَـلْـبـة الحوادث مـالي[٣٦]

ولـعـمي فَضْـلُ الـريـاسـة والسِّـ
نّ، وجَـدٌّ على هوازن عـالي

غير أني أولى هوازن في الحر
ب، بِضَـرْب الـمُـتوّج الـمُـخْـتـال

وبِـطَـعْن الكميّ في حَـمَس الـنَّـقْـ
ع، عَـلَى مَـتْن هَـيْـكَلٍ جَوَّال[٣٧]

وكما نرى، فإنَّ عامر بن الطُّفَيْل، يقول في قَصيدته لزيد الخيل: إنّي جديرٌ بتحدِّيك، لو فَعَلت، فإني الكُفءُ الذي أمثاله قليل، ولو أنّك قَتلتني فستَظلُّ طَيِّءٌ تَدْفَع ثَمَنَ هذه الفعلَة دَماً مُهْراقاً.. صحيح أن لعَمي عامر بن مالك مكانته.. فهو صاحب الرياسة في قومه.. وأكبر سنّاً.. لكنّني أولى منه بالتَّحدي.. والقصد في الحرب.. وكأنه يقول: إنني أكثر شجاعة.. وهو بذلك يرد على الأبيات الأولى من قصيدة زيد[٣٨].

ويسوق صاحب «الأغاني» قصةً أخرى لزيد مع عامر بن الطفيل، فيقول: خرج زيد الخيل يطلب نعماً له من بني بدر، وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة، فأخذ

امرأة يقال لها هند ، واسْتاق نعماً لهم ، فقالت بنو بَدْرٍ لزيد : ما كُنَّا قَطُّ الى نَعَمك أحوج منَّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى عامر.. فأدركه زيد الخيل ، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجماله ، وغشيه زيد ، فبرز له عامر : فقال : يا عامر : خلِّ سَبِيْل الظَّعينَة والنَّعم . فقال عامر : من أنت ؟ قال : فزاريٌّ أنا .. قال : والله ما أنْتَ من الفُلح أفْوَهاً ؟ فقال زيد : خَلِّ عنها . قال : لا أو تخبرني من أنت ؟ قال : أسديٌّ قال : لا والله ما أنت من المنكورين على ظهور الخيل . قال : خل سبيلها . قال : لا والله . أو تخبرني : فاصْدُقني : قال : أنا زيد الخيل . قال : صدقت .. فما تُريد من قتالي ، فوالله لئن قَتلتني لتطلبنَّك بنو عامر ، ولتَذْهَبَنَّ فزارة بالذكر . فقال له زيد : خَلِّ عنها . قال : تُخليٍّ عنّي وأدعك والظَّعينْة والنَّعَم .. قال : فاستَأْسِر : قال : أَفعَل[٣٩] فجزَّ ناصِيَتَهُ ، وأخذ رُمْحَهُ ، وأخذ هِنْداً والنعم فردَّها الى بني بَدْر ، وقال في ذلك :

إنَّـا لَـنُـكـثِـرُ في قَـيسٍ وقـائِـعَـنـا
وفي تَميمٍ ، وهـذا الحيِّ من أَسَـد
وعامِرُ بن طُفَيْلٍ ، قَدْ نحَوت له
صَدْرَ القَناةِ بمَاضِي الحَدّ مُطَّرِد[٤٠]
لـمَّـا أحسَّ بِـأَنَّ الوَرْدَ مُـدْرِكُـهُ
وصارماً ، ورَبيْطُ الْجاشِ ذا لُبَدِ[٤١]
نـادَى إليَّ بسَلمٍ بـعـدما أخـذت
مـنـه المنيَّـةُ ، بـالحيـزوم والـلُّـغَـد[٤٢]
ولـو تَصَـبَّـرلي حـتـى أخـالـطـهُ
أسْـعَـرتُـه طـعْـنـةً كـالـنَّـار بـالـزَّنَـد

قال : فانطلق عامر الى قومه مجزوزاً .. وأخبرهم الخبر.. وغَضِبُوا لذلك وقالوا : لا تَرَأَسُنا أبداً .. وتجهزوا ليغيروا على طيّءٍ ، ورأسُوا عليهم ، علقمة بنَ عُلاثَة .. فخرجوا ومعهم الحُطَيْئة وكعبُ بن زُهير فبعث عامر الى زيد الخيل ، دَسِيساً يُنْذره ، فجمع زيد قومه ، فَلَقِيَهم بالمضِيْق ، فقاتلهم ، فأسَرَ الحطيئة وكعبَ بن زهير ، وقوماً منهم ، فحبسهم .. فَلَمَّا طال عليهم الأسر ، قالوا : يا زيد فَادِنا .. قال : الأمر الى عامر بن

الطفَيْل (يريد أن يَرُدَّ اعتباره كما نُعَبر اليوم) فأبوا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر .. إلاَّ الحطيئة وكعبا .. فأعطاه كعب فرسه الكُمَيْتَ ، وشكا اليه الحطيئة الحاجةُ فَمَنَّ عليه .

وهكذا نعلم أن العلاقات التي كانَتْ مُتوتِّرَةً بين الرجلين البطلين : زيد ، وعامر بن الطفيل عادت الى الهُدْنة .. والصفاء .. ولكن يبدو أنّ ذلك الى حين .. فقد كان زيد الخيل ، إلى يوم وفاته يخشى ثارات قَيْس .. ويطلب من أصحابه أنْ يُجنِّبوهُ دِيَار قَيْس ، عند قُفُوله الى دياره ، بعد وفادته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

مع الحارث بن ظالم :

وهذا مُعاصر آخر شهير من معاصري زيد الخيل .. هو الحارث بن ظالم المُرِّيُّ .. (توفي نحو ٦٠٠ م) ، وهو أبو ليلى ، أشهر فُتَّاك العرب كثير الحوادث ، تتحامى أحياءُ العرب شَرَّهُ ، وكان سبباً في نشوب معارك كثيرة[٤٣] .

يخبرنا صاحب « الأغاني » في ترجمة زيد ، أنه لما بلغه ما كان من الحارث بن ظالم ، وعَمْرو بن الإطنابة الخَزرجي[٤٤] ، وهجائه إيَّاه ، غضب ، فأغار على بني مُرَّة بن غَطَفَان ، فأسر الحارثَ بن ظالم ، وامرأتَهُ في غارته ، ثم مَنَّ عليهما وقال يذكر ذلك :

ألا .. هـل أتى غَوثـاً ورُومـانَ أنّـنـا
صَـبَـحْـنَـا بني ذُبْيَان إحدى العظائم
وسُـقْـنـا نِسَـاء الـحَـيِّ مُـرَّة ، بِـالقَـنا
وبالخيـل تَرْدي قد حَوَينا ابنَ ظالم[٤٥]
جَـنَـبْـنَـا لأعضَـادِ الـنَّـواجِي يَـقُـدْنَـهُ
على تَـعَـبٍ .. بين النّواجي الرواسم[٤٦]
يقول : اقبلوا منّي الفِداء وانْعموا
عـلـيَّ ، وجُـزُّوني مـكـان الـقـوادم[٤٧]
وقَـدْ مَسَّ حَـدُّ الـرُّمح قوارة (...)
فصـارت كَشِـدقِ الأعـلم المتضاجم[٤٨]

وسائِل بنَا جار ابْن عوف فقد رأى
حَـلِـيْـلَـتُـهُ جَـالَتْ عـليهـا مـقـاسمي
تُلاعب وحـدان العضاريط بعدنـا
جَلاها بسهميه لقيطُ بنُ حَازم(٤٩)
أغَرَّكَ أنْ قِيْل ، ابن عوف ولا أرى
عـزيمك إلا واهـيـاً في الـعـزائم
غـداة سبينـا من خفاجة سبيَهَا
ومـرّت لهم مـنـا نُـحُوسُ الأشـائم
فَـمَنْ مُـبْـلـغٌ عـنى الخزارج غَـارَةً
على حيٍّ عوف، موجفاً غير نائم(٥٠)

مع حاتم الطائي :

وعاصر زيد الخيل ، حاتماً الطائيّ ، الذي يضرب به المثلُ في الكرم ، فنجده يذكره في أبياتٍ ثلاثة ، مُعَيِّراً إيَّاه ، لأنه خرج ، من طيءٍ ، يوم حرب الفَسَاد الى بني بَدْرٍ :

وفَـرَّ منَ الحرب الـعوانِ ولم يـكـن
بها ــ حاتِمٌ ــ طَبًّا ولا مُتَطبّباً
ورَبَّبَ حِضْـنـاً، بـعـد أن كان آبياً
أُبوةَ حضْن ، فـاسْـتَـفـالَ واعـتـبا
أقِـمْ في بني بَـدْرِ ولا مـا يَـهُـمُّنا
إذا مـا تَقضَّتْ حَرْبُنا أن تُطَرَّبا(١)

ويأتي اسم زيد الخيل في سياق قصة خطبة ماوية بنت حجر بن النعمان ، التي كانت تقيم في دمشق ، وكان يتنافس على خطبتها زعماء العرب ومشاهير رجالهم ، وقد وردت القصة موجزة في تهذيب تاريخ ابن عساكر ، في ترجمة أوس بن حارثة الطائي ، واقْتَرَن اسم زيد الخيل فيها بحاتم الطائيِّ ، بالإضافة الى أوس ، فقد جاء ثلاثتهم يخطبونها ..

فَسأَلَتْ عن أكبرهم ، ثم من يليه فمن يليه ، فكان أوس أكبرهم ، ويليه زيد ، ثم حاتم(٥٢)

وقد تختلف الروايات في قصة ماوية ، وهل أبوها حُجْرٌ أوْ عَفْزَرُ ، فإنَّ كل ذلك محله تاريخ حاتم لا زيد .. ويكفي من هذه القصة ، أن نعرف — في حالة صحة ما أوردته منها — أنَّ زيداً كان يعاصر حاتماً ، وإن كان حاتم أصْغَرَ سنّاً منه(٥٣) ..

ونجد في خبر وفادة زيد على مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أنه في محاورة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يَصِفُ حاتماً ، فيقول : الجواد بلا مُجارٍ ، والسمح بلا مُبارٍ ، والليثُ الضرغامة ، قِراع كُلّ هامةٍ ، جوده في الناس علامة(٥٤) :

وفي رواية أخرى يقول له عمر بن الخطاب : — يا زيد .. ما أظنُّ في طيء أفْضَل منك قال :

— بلى والله : : إنَّ فينا حاتماً ، القَاري للأضياف ، والطويل العفاف(٥٥) .

مع قيس بن عاصم والمكشر العجلي :

ومما جاء في معاركه ، أنه حينما وقَعَتْ حرب بين أخلاط من طَيِّءٍ ، خرج عن قومه مُغْضَباً ، وجاور بني تميم ، نازلاً لدى قَيْس بن عاصم .. وحينما التحمت بنو تميم مع بكر بن وائل في معركة ، وعلى رأس تميم قيس بن عاصم ، وقف زيد مع صديقه قيس ، وانتصرت تميم ، وكان لاشتراك زيد دَوْرٌ في النصر ، فلما رجع قيس بالغنائم ، تطلَّع زيد الى نصيبه منها ولكن قيساً تجاهل الأمر .. فَغَضِبَ زيد وقال :

ألا هل أتاها ، والأحاديثُ جَمَّةٌ
مُغَلْغَلةٌ ، أنباءُ جَيْشِ اللَّهازم
فَلَسْتُ بوقّافٍ إذا الخَيْلُ أحجمت
ولستُ بكذَّاب كقيس بن عاصم
تُخَبِّرُ مَن لاقَيْتَ أن قد هزمْتَهُم
ولم تَدْرِ ، ما سِيماهُمُ والعَمائمُ


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) أنظر «العرب» س ١٢/٤٩٧ وس ١٣/٢١٤ وس ١٤/١٤٢ .
(٢) قرر (مجمع اللغة العربية) كتابة كلمة (مئة) دون ألف لئلّا تشتبه بكلمة (مائه) وأمثالها (العرب) .
(٣) القصة في «الأغاني» ترجمة زيد .
(٤) هذه الرواية في ذيل الأمالي والنوادر ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) أوارة آكام بقرب مدينة الكويت ، انظر قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ويسمى الآن (وارة) على طريقة العامة في حذف الهمزة (العرب) .
(٦) أي تحقره .
(٧) من الواضح ان كعبا لا يعني ما يقول ، وإلا كيف يرمي زيد الخيل بالفقر ، ويعيّره أنه لاجتيازه الكميت قد اقتنى ، بينما هو يناديه في صدر البيت بزيد الخيل .. وهو لقبه الذي أطلق عليه لكثرة خيله ، أو لعناية بطرادها وتضميرها .. وهذا يعني على أيّ حالٍ ، أنه فيها غير فقير ..
(٨) أفيال الرجال ، أي البسطاء ، الذين لا يحتاجون إلى ذكاء كبير ليدركوا أن الكميت هو فرس كعب ، سواء أكان مقيّداً ، أو راكضاً نص الأبيات من ديوان كعب .
(٩) المحمر : الفرس الهجين الذي يشبه الحمار في جريه ، نويتموه : استنهضتموه . رضىً : بالألف الليّنة والأصل الياء ، ولكن لغة طيء ، إذا كانت الياء متحركة جعلوها ألفاً .
(١٠) تجدون خمشاً : أي تخمشون وجوهكم أو تلطمونها كأنكم فقدتم (فاجعاً) أي رجلاً عظيماً يفجعكم فقده .
(١١) تخضخض : تحض : تحرض (جباراً) اسم رجل ، رهطه : قومه أو جماعته ، والصرمة : المئة من الإبل ..
(١٢) هذه الإبل ترعى بأطراف الجبال ، وخلفها رجال يحمونها ..
(١٣) الأباهر . جمه أبهر .. والكلى : جمع كلية . وموضعها مقتلان .
الشرح مأخوذ من ديواني كعب وزيد الخيل .
(١٤) المقصود بزهير هنا هو زهير بن أبي سُلْمى والد كعب . ويبدو أن زيداً يحتفظ له بعلاقات جيدة معه .
(١٥) كأنه أورد قول كعب ليردّ عليه أو يسخر منه . ويلاحظ أن البيت الثاني يختلف صياغة ومعنى ، عن بيت كعب .. وكأنه يمهد به ليقول : إن غناه ليس لاقتنائه فرساً عجوزاً .. وإنّما هو غنيٌّ قبل ذلك لكثرة غاراته واحتيازه الكثير من المال من هذه الغارات . وهو ما يوضحه البيت الأخير .
(١٦) «الأغاني» ترجمة زيد الخيل .
(١٧) اللُّهى : الأموال ، أو العطايا ، أو أفضل العطايا .. يراجع «لسان العرب» .
(١٨) التَّحْميج : تحديد النظر ، أو النظر بشدة .. يراجع «لسان العرب» .
(١٩) القبُّ من الخيل جمع أقب .. وهو الضامر ، والمعنى لست بالجبان المحجم عن الموت ، ساعة الحرب ، فألتمس ما يبعدني عنها ، فراراً على فرس ضامر . سريع العدو .
(٢٠) الصعدة : نوع من الرماح مستقيمة .
(٢١) الأياصر : الأواصر : (الديوان ص ٥٦) .
(٢٢) الكماة : الفرسان المدجّجون بالسلاح .. وخشاش الطير : أي الطير التي لا تصيد . الأجدل : الصقر .
(٢٣) التّهليل هنا النكوص والفرار ، قال كعب بن زهير :
لا يقع الطعن إلا في نُحُورهم وما لهم عن حياض الموت تَهْلِيل

يراجع «لسان العرب». فلعل الحطيئة يريد أن يقول: إنّها وقفة حاسمة لا تراجع فيها ولا نكوص.
وهذا البيت الأخير لم يورده صاحب «الأغاني» وهو من ديوان الحطيئة.

(٢٤) الحلول: الذين يحلون أي المقيمون حول هذه المياه والكراكر: الجماعات. أي تركت المياه التي تحلُّها جماعات تميم بلاقعاً منهم، أي خالية... وللحطيئة نفسه يمدح بشر بن قُرط:

تَصُدُّ مناكبَ الأعداء عنه كَرَاكِرُ من أبي بكرٍ حلول

ديوان الحطيئة ص ٢٨ و٨٣.

(٢٥) النص من «الأغاني» ترجمة زيد، والمقصود بشعراء العرب — أي شعراء القبائل الموالية.
وفي «ديوان الحطيئة» ص ٨٥ و٨٦ رواية أخرى تدل على أن الممدوح أوس بن حارثة الطائي، أو ابنه زيد الخيل بن أوس بن حارثة الطائي، وهو من بني لأم.. كما تختلف رواية الأبيات.. ومهما يكن الأمر فإن الحطيئة قد امتنع عن هجاء طيّء.

(٢٦) طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، وهو أوصف العرب للخيل، وربّما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها، ويُسَمّى أيضاً المحبِّر، لتحسينه شعره توفي نحو ١٣ ق هـ. كان معاوية يقول: خلُّوا لي طفيلاً، وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء. «الأعلام».

(٢٧) لعله يقصد أن يقول: يا خيبة من يُغير على غنيّ وباهلة، وهما ابنا أعصر (أخوان).. فإنه لا يجد لديهم فداء. والقطعة في بيتين أوردهما صانع الديوان هكذا:

فخيبة من يُغير على غني وباهلة بن أعصر والركاب
وأدّى الغُنْمَ من أدّى قُشَيْراً ومن كانَتْ له أسرى كلاب

(٢٨) المخطم: السيف الحاد.

(٢٩) هو أبو علي، فهذه كنيته وإن لم يكن له ولد، فقد كان عقيماً، عمه عامر بن مالك. توفي في السنة العاشرة أو الحادية عشرة من الهجرة، وقد على النبي يريد الغدر به ولم يسلم، فقد مات بالطاعون في طريقه إلى بلده، كان من فتّاك العرب وسادتهم، وهو من بني عامر بن صعصعة، له ديوان شعر مطبوع. يراجع «الأعلام»، ومقدمة ديوانه طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٣٠) أي ليس هذا القتيل، الذي غضبت لأجله كل هذا الغَضَب، من سلالة الملوك الحميريين: ذي الكلاع ويحصب وعبد كُلال.

(٣١) ولا هو من ملوك كندة من بني آكل المرار، جدّ امرىء القيس الكنْدي الشاعر، ولا من بني جَفْنة: أي الملوك الغساسنة.

(٣٢) ولا هو أيضاً من ملوك الحيرة: من آل ابن ماء السماء.

(٣٣) أي إذا أرَدْتَ أن تقتلني، فتَبُوء بالجريرة طيء كلها.. أي ستنتقم قبيلتي منها.. وكأنه يشير إلى أنه يعدل قبيلته كلها. ويؤكد هذا بالأسباب التالية التي يُعدِّدُ فيها مفاخره ومآثره.

(٣٤) يريد بالأسمر العسّال: الرمح، الذي يشتهر باستعماله في الحروب.

(٣٥) يريد بالأجرد الطويل، الفرس الأصيل، كما يريد بالأبيض القصّال أو الصقال: السيف.

(٣٦) الدِّلاص: الدرع الملساء اللينة، والنِّهيُ: الغدير، أي درع تلمع كمياه الغدير.

(٣٧) الكمي: المحارب المستعدّ بسلاحه. حمس النقع اشتداد المعركة. هيكل — أي جواد فاره. جوال: أي كثير الجولان والحركة. مُدَرَّب على المعارك.

(٣٨) القصة من «الأغاني» ترجمة زيد الخيل، مع الاستعانة بديوان عامر بن الطفيل وشرحه.

(٣٩) لا أظن أن فارساً شُجاعاً مثل عامر بن الطفيل ليستأسر بهذه السهولة دونما حرب ولا نزال..! المصدر: «الأغاني» ترجمة زيد الخيل.

(٤٠) نَحَوت له: وجّهت إليه، ويقصد بقوله ماضِي الحد مطرد ـ السنان الحادّ النافذ، وهذا يُؤيّدُ أنّهُمَا تنازلا..

(٤١) الورد: أحد أفراس زيد المسمّاة المشهورة ولعلّه يقصد نفسه بقوله: رَبيط الجأش ذَا لُبَد..

(٤٢) أي نادى يَسْتَأْسر بعد أن أحسّ أن المنيَّة وصلت إلى الحيْزوم واللغد. والحيزوم: موضع الحزام واللغدة.. ما بين الحنك والعنق. أي أن الموت وصل إلى المقاتل أماكن الطعن.

(٤٣) «الاعلام» للزركلي ترجمته، و«بلوغ الأرب» للألوسي. فقد تحدث عنه في أوفياء العرب ج٢ ص ١٣٣ طبعة دار الكتاب العربي، وسرد صاحب «الأغاني» طرفاً من أخباره عند ذكر مقْتَل خالد بن جعفر بن كلاب ص ٩٤ من ج١١ طبعة دار الكتب، وبعده خبر ابن الإطنابة.

(٤٤) شاعر جاهلي فارسٌ، والإطنابة أمه، كانَتْ إقامته بالمدينة وهو صاحب الأبيات المشهورة:

أَبَتْ لي عِفَّتي وأَبَى إبَائي ... وأَخْذِي الحَمْدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيحِ

«الاعلام» ترجمته في (عمرو بن عامر).

(٤٥) يقول: سقنا نساء الحي من مُرَّة، بالقنا (الرماح) وبالخيل تردى (ردى الفرس إذا رجم الأرض رجماً بين العدو والمشي الشديد). وابن ظالِم هو الحارث وبنو مرة قومه.

(٤٦) الجنيب: الذي يقاد بجنْب الركائب إذْلالاً له. كأنه في عداد النواجي الرواسم، أي النوق الموسومة..

(٤٧) أي قيل أن تجزّ ناصيته، أي شعر مقدمة رأسه، وذلك عندهم سبّة، وعلاقة الهزيمة، والمقصود بالقوادم: النواصي.

(٤٨) الأعلم: المشقوق الشفة العليا، ويطلق على الجمل، والمتضاجم الذي مال شدقه، وهو في هذا يشبه الجرح الذي أصابه الرمح.

(٤٩) العضاريط: يراد بهم الخدم والاتباع..

(٥٠) الوجيف: سرعة السير، والايجاف: السير إلى الحرب قال تعالى (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) والخزارج: الخزرج: قوم عمرو بن الإطنابة.

الخبر والشعر من «الأغاني» ج١٧ ص ٢٦١ طبعة دار الكتب.

(٥١) النص من كتاب «الحيوان» ص ٣٢٩ ج١، والأبيات مثبتة في ديوانه.

(٥٢) الجزء ٣ ص ١٥٧ من تهذيب ابن عساكر طبع مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣١هـ.

(٥٣) لمعرفة المزيد من اخبار حاتم وماوية، يراجع ديوان حاتم، صنعة يحيي بن مدرك الطائي، رواية هشام بن الكلبي تحقيق د. عادل سليمان جمال ص ١١ وص ٣٣٢ وما بعدها و٣٣٥ وما بعدها.

(٥٤) «الأغاني» ص ٩٦ ج ١٦ ترجمة زيد.

(٥٥) «تهذيب ابن عساكر»: ترجمة زيد.

(٥٦) القسم بغير الله لا يجوز ولكن الرجل قال هذا قبل أن يُسْلم، والإسلام يَجُبُّ ما قبله.

(٥٧) ياقوت في معجم البلدان مادة (موقق).

(٥٨) الأبيات من الديوان

(البقية ص ٣٧) ←

نساء في القمة

— ٥ —

امرأة تقتل زوجها غضباً للمسلمين :

ما أشدَّ البَلْوَى التي نَزَلتْ ببلاد الشام أيَّام الصليبيين ، وما أعظم الدمار والخراب الذي لحق بمدُنِها وقراها ، لا من الصَّليبيين الغزاة الذين أرسلهم الله تعالى نقمةً على البلاد والعباد ، بل ومن أبناء البلاد المفسدين أيضاً .

حَدَّثْتُكَ في الحلقة السابقة عن مالك بن سالم العقيلي صاحب قلعة (جَعْبر) الذي كان يقطع الطريق على المسافرين بين الموصل وحلب ، والذي مشى مع رجاله اللصوص والحراميّة تحت لواء الصليبيين لحصار مدينة حلب ، طمعاً في مال قَدْ يناله بالنَّهْب والسلب ، إذا غُلِبَ المسلمون هناك ، واحْتُلَّتْ مدينتهم ، وفي هذه الحلقة سأحدثك عن لصٍّ كبير آخر كان أميراً على مدينة (حمص) ، فجمع حوله كثيراً من الحرامية الذين يقطعون الطريق بين دمشق وحلب ، وفي تلك الجهات كلها ، فلما اشتدَّت البلوى منه ، وازدادت الشكوى من أذى عصابته ، قصده جيش العباسيين فاحْتَلَّ مدينة حمص ، وطرده من هناك ، فلجأ إلى الفاطِميّين في مصر مُدّعِياً أنه من أتباعهم ، طمعاً في ولاية

---

(٥٩) الأبيات من الديوان ص ٦٢ و٦٣ . والمعنى : أن ابنا لشيماء ، ذكرنا بسوء ، وحضّ على قتالنا أعداءنا عامراً (من قيس) ، ولكننا سنحشد لهم ألفاً ، أو تزيد .. إنني لا أخشى الحاجة والفقر ، ما بقي على الأرض قيسي يسوق أباعره .. لأننا سنستولي عليها ، فان في بلادنا حول فردة وعناصر وكثلة ، حيا كراكرا أي غنياً بالخيل ، تملأ الجو في موقق ، بالرماح الخطبة والحوافر (الخيل) . وفردة سبق الكلام عليها ، وهي الموضع الذي مات به زيد الخيل ، في بلاد طيء ، أما عناصر فيقول عنها الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ، إنها بضم العين وهو موضع : (يظهر أنه قرب فردة ، وكذلك كثلة موضع يقول عنه : (يظهر أنه بقرب فردة غرب موقق) . أما موقق ، فقد جاء في الديوان مصحفاً إلى موفق بالفاء الموحدة وقال صانع الديوان إنه من بلاد عامر . والصحيح أنه بقافين . ضبطها صاحب المعجم الجغرافي (شمال المملكة) بالميم المفتوحة والواو الساكنة ، مع فتح القاف الأولى ، وقال إنها تقع في سفح أجا من الناحية الغربية غرب قفار ، وتبعد عن حائل ٧٥ كيلاً غرباً . أما شمجىٰ ، فهو شمجىٰ بن جَرم من طيء .

(٦٠) مجلة العرب ج٧ و٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ السنة التاسعة ، وفيه بيان مصادره .

(٦١) نفس المصدر ويراجع معجم البلدان مادة ا موقق) .

نساء في القمة

— ٥ —

امرأة تقتل زوجها غضباً للمسلمين :

ما أشدَّ البَلْوى التي نَزَلتْ ببلاد الشام أيّام الصليبيين ، وما أعظم الدمار والخراب الذي لحق بمدُنِها وقراها ، لا من الصَّليبيين الغزاة الذين أرسلهم الله تعالى نقمةً على البلاد والعباد ، بل ومن أبناء البلاد المفسدين أيضاً .

حَدَّثْتُك في الحلقة السابقة عن مالك بن سالم العقيلي صاحب قلعة (جَعْبَر) الذي كان يقطع الطريق على المسافرين بين الموصل وحلب ، والذي مشى مع رجاله اللصوص والحراميّة تحت لواء الصليبيين لحصار مدينة حلب ، طمعاً في مال قَدْ ينالهُ بالنَّهْب والسلب ، إذا غُلِبَ المسلمون هناك ، واحْتُلَّتْ مدينتهم ، وفي هذه الحلقة سأحدثك عن لصٍّ كبير آخر كان أميراً على مدينة (حمص) ، فجمع حوله كثيراً من الحرامية الذين يقطعون الطريق بين دمشق وحلب ، وفي تلك الجهات كلها ، فلما اشتدَّت البلوى منه ، وازدادت الشكوى من أذى عصابته ، قصده جيش العباسيين فاحْتَلَّ مدينة حمص ، وطرده من هناك ، فلجأ إلى الفاطميّين في مصر مُدّعِياً أنه من أتباعهم ، طمعاً في ولاية

---

(٥٩) الأبيات من الديوان ص ٦٢ و٦٣ . والمعنى : أن ابنا لشيماء ، ذكرنا بسوء ، وحضّ على قتالنا أعداءنا عامراً (من قيس) ، ولكننا سنحشد لهم ألفاً ، أو تزيد .. إنني لا أخشى الحاجة والفقر ، ما بقي على الأرض قيسي بيسوق أباعره .. لأننا سنستولي عليها ، فان في بلادنا حول فردة وعناصر وكتلة ، حيا كراكرا أي غنياً بالخيل ، نملأ الجو في موقق ، بالرماح الخطية والحوافر (الخيل) . وفردة سبق الكلام عليها ، وهي الموضع الذي مات به زيد الخيل ، في بلاد طيء ، أما عناصر فيقول عنها الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ، إنها بضم العين وهو موضع : (يظهر أنه قرب فردة ، وكذلك كتلة موضع يقول عنه : (يظهر أنه بقرب فردة غرب موفق) . أما موقق ، فقد جاء في الديوان مصحفاً إلى موفق بالفاء الموحدة وقال صانع الديوان إنه من بلاد عامر. والصحيح أنه بقافين. ضبطها صاحب المعجم الجغرافي (شمال المملكة) بالميم المفتوحة والواو الساكنة ، مع فتح القاف الأولى ، وقال إنها تقع في سفح أجا من الناحية الغربية غرب قفار ، وتبعد عن حائل ٧٥ كيلاً غرباً . أما شمجى ، فهو شمجىٰ بن جَرم من طيء .

(٦٠) مجلة العرب ج٧ و٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ السنة التاسعة ، وفيه بيان مصادره .

(٦١) نفس المصدر ويراجع معجم البلدان مادة ا موقق) .

جديدة ، ينالها عن طريقهم ، وتمّ له ما أراد فقد أعاده الفاطميون إلى الشام ، والياً على حصْن . «أفامية» الذي كان لهم ، وهذا الحصن قريب من حمص. فلما دخل هذا اللص واسمه (خلف بن ملاعب الكلابيّ) الحصن واستقرّ فيه عاد سيرته الأولى ، في قطع الطريق ، واجتمع عليه المفسدون فعظم الضرر به ، فاحتال بعض المسلمين حتى دخلوا حصنه ، ولما تمكنوا منه قتلوه وأراحوا البلاد منه ، ولكن أحد أبنائه قاد الْفِرَنجَة إلى هذا الحصن فملكوه سنة تسعٍ وأربعين وأربع مئة ولم يسترده المسلمون إلا في سنة خمس وأربعين وخمس مئة ، لما طَرَد (نور الدين زنكي) الصليبيين منه .

وفي القصة التالية ما يدل على مقدار ما أصاب المسلمين من أحد أتْبَاعه الذي لقي المسلمون من شرِّه كثيراً ، حتى قامت زوجته بقتله ، غضباً للإسلام والمسلمين ، وقد روى أُسَامَةُ بنُ مُنْقَذٍ قصة هذه المرأة الفاضلة في كتابه «الاعتبار» فقال :

وما يُنكر للنساء الكرام الأَنَفَةُ والنَّخْوَةُ والإصابةُ في الرأي .

وشاهدتُّ من نَخَوَاتِ النِّساء عَجَباً ، وهو أن رجلاً من أصحاب (خلف بن ملاعب) يقال له (علي بن أبي الرَّيْدَاء) كان الله قد رزقهُ من النَّظر ما رزق (زرقاء اليمامة) فكان ينهض مع ابنِ مُلاعب أميرِ حمص يُبْصِرُ القوافل على مسيرة يوم كامل .

ولقد حدثني رجلٌ من رفاقه يقال له (سالم العجازي) انتقل إلى خدمة والدي بقلعة (شيزر) بعدما قتل (خلف بن ملاعب) قال سالم هذا : نَهضْنَا يوماً ، وأرسلنا علياً بن أبي الرَّيْداء بكُرَةً يُدَيْدِبُ لنا ، فجاءنا وقال : أبشروا بالغنيمة ، هذه قافلة كثيرة مقبلة ، فنظرنا ما رأينا شيئاً ، فقلنا : ما نرى قافلةً ولا غيرها ، قال : والله إنِّي لأَرَى القافلةَ وقدَّامُهَا فرسانِ ، يَنفِضَان مَعَارِفَهُمَا ، فأَقمْنَا في الكمين إلى العصر ، فوصلتْنَا القافلةُ والْفرسَانِ قُدَّامَها ، فخرجنا أخذْنَا القافلة .

وحدثني سالم العجازي ، قال : نهضنا يوماً وصعد عليٌّ بن أبي الريداء يراقب لنا ، فنام ، وما درى إلا وقد أخذه تركيٌّ من سريَّةِ أتْرَاكٍ ، وقالوا : أيُّ شَيْءٍ أنت ؟ قال : أنا رجل صعلوك قد أكْرَيْتُ جملِيَ لرجل من التُّجَّار في القافلة ، عَاهِدُوْني أنكم تُعطُوني جملي ، حتّى أدُلَّكُمْ على القافلة ، فأعطاه مُقَدَّمُهُمْ يَدَهُ بذلك ، فمشى بين أيديهم إلى

الدرس النحوي

منذ الدولة الفاطمية حتى أوائل العهد الحديث

موجز البحث :

كثر الحديث عند الباحثين عن المدارس النحوية في مختلف العصور بدءاً بالمدرسة البصرية وانتهاء بما سمّي المدرسة المصرية ، وأنكر فريق منهم وجود هذه المدارس من الأساس ، وقال بوجودها كاملة فريق غيرهم ، وتوسّط بينهما قائلون ببعضها منكرون لبعضها الآخر ، ولم يكن من شأني في هذه العجالة أن أخوض في هذا البحث الدقيق الذي كثر القول فيه حتى لم تعد هناك زيادة لمستزيد ، فآثرت لذلك أن أشرع في عرض

← أن أوصلهم إلينا في الكمين ، فخرجنا عليهم وأخذناهم وتعلق هو بالذي كان بين يديه أخذ فرسه وعُدَّتَهُ ، وغَنِمْنَا منهم غَنِيمة حسنة .

فلما قتل خلف بن ملاعب الكلابي ، انْتقل علي بن أبي الريداء إلى خدمة (توفيل) الإفرنجي ، أحد شياطين الصليبيين ، وصاحب حصن (كفرطاب) ، فكان ينهض ابنُ أبي الريداء بالفرنج إلى المسلمين يُغِيرهم ، ويبالغ في أذى المسلمين ، وأخذ مالهم ، وسفك دمائهم ، حتى قطع سُبُلَ المسافرين ، وله امرأة معه بكفر طاب ، تُنْكر عليه فِعْلَهُ ، وتنهاه فلا ينتهي ، فأرسلت إلى أحد أقْرِبائها ــ وأظنه أخاها ــ فلما حضر أَخْفَتْهُ في البيت إلى الليل ، واجْتَمَعَتْ هي وهو على زوجها قَتَلَاه واحْتَمَلا بجميع مالِهَا ، وأَصْبَحَتْ عندنا بحصن (شيزر) ، وقالت : غَضِبْتُ للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر .

وأراحت هذه المرأة الفاضلة من هذا الشيطان ، ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في (شيزر) في الكرامة والاحترام .

الكويت : محمد علي العبد

الدرس النحوي

منذ الدولة الفاطمية حتى أوائل العهد الحديث

موجز البحث :

كثر الحديث عند الباحثين عن المدارس النحوية في مختلف العصور بدءاً بالمدرسة البصرية وانتهاء بما سمّي المدرسة المصرية ، وأنكر فريق منهم وجود هذه المدارس من الأساس ، وقال بوجودها كاملة فريق غيرهم ، وتوسّط بينهما قائلون ببعضها منكرون لبعضها الآخر ، ولم يكن من شأني في هذه العجالة أن أخوض في هذا البحث الدقيق الذي كثر القول فيه حتى لم تعد هناك زيادة لمستزيد ، فآثرت لذلك أن أشرع في عرض

أن أوصلهم إلينا في الكمين ، فخرجنا عليهم وأخذناهم وتعلق هو بالذي كان بين يديه أخذ فرسه وعُدَّتَهُ ، وغَنِمْنَا منهم غَنِيمة حسنة .

فلما قتل خلف بن ملاعب الكلابي ، انْتقل علي بن أبي الريداء إلى خدمة (توفيل) الإفرنجي ، أحد شياطين الصليبيين ، وصاحب حصن (كفرطاب) ، فكان ينهض ابنُ أبي الريداء بالفرنج إلى المسلمين يُعينهم ، ويبالغ في أذى المسلمين ، وأخذ مالهم ، وسفك دمائهم ، حتى قطع سُبُلَ المسافرين ، وله امرأة معه بكفر طاب ، تُنْكر عليه فِعْلَهُ ، وتنهاه فلا ينتهي ، فأرسلت إلى أحد أَقْرِبائها — وأظنه أخاها — فلما حضر أَخْفَتْهُ في البيت إلى الليل ، واجْتَمَعَتْ هي وهو على زوجها قَتَلَاه واحْتَمَلا بجميع مالِهَا ، وأَصْبَحَتْ عندنا بحصن (شيزر) ، وقالت : غَضِبْتُ للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر .

وأراحت هذه المرأة الفاضلة من هذا الشيطان ، ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في (شيزر) في الكرامة والاحترام .

الكويت : محمد علي العبد

للدرس النحويّ في فترة زمنية محدودة ، وآثرت أن لا أسمي هذا الدرس بالمدرسة النحوية ــ بلفظها الصريح الاصطلاحي ــ في هذه الحقبة ، وذهبت من أجل ذلك إلى الترجمة بالدرس النحويّ منذ الدولة الفاطمية وحتى أوائل العصر الحديث إيثاراً للبعد عن مناط الخلاف وتجنباً لأيّ استشكال والتزاماً بما يدعو له المقام من الإيجاز ، من أجل ذلك قدمت بين يدي بحثي بكلام تاريخيّ موجز يصفُ الحياة العلمية العامة في الدولتين الفاطمية والأيوبية ، ثم يصف هذه الحياة في عصور المماليك وفي عصور العثمانيين التي تلتها مع إيراد طائفة من أسماء أعلام العلماء في مختلف العلوم في مصر والشام ومن أسماء مصنفاتهم ، مع ذكر للمدارس الشهيرة ولدور العلم المرموقة في مصر خاصة خلال هذه العصور المتوالية ، وأخذت بعد ذلك في الحديث عن النشاط النحويّ في هذه العهود بشيء من التّفْصيل عهداً بعد عهد ، حسب تواليها في التاريخ ، مُدللاً على ما أقول ممثّلاً لما أعرض بالأسماء والآثار مبيّناً إلى حدّ كاف مستوى هذا النّشاط في كل دولة من خلال عَقْد مقارناتٍ سريعة ، وعُدتُّ لأنهي بحثي بالتركيز على بيان الطابع المميز للدّراسات النحوية في كل العصور التي حدّدها البحث في تفصيل شامل .

مقدمة في الحياة العلمية العامة في هذه العهود المتعاقبة

ــ في الدولتين الفاطمية والأيوبية :

نشطت علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مصر في عهد الدولة الفاطمية التي فتحت مصر سنة ٣٥٨هـ نشاطاً كبيراً ، وأصابها من الازدهار قسط عظيم ، تجلّى هذا في تقريب خلفاء هذه الدولة وأمرائها ووزرائها للعلماء والأدباء والشعراء ، وفي إكثارهم من تأسيس المساجد في القاهرة لتتخذ إلى جانب كونها دوراً للعبادة دوراً للعلم ، ومن أهمّ المساجد التي أسسوها وخصصت لذلك الجامع الأزهر الذي بني سنة ٣٦١هـ ، وجامع الحاكم بأمر الله الذي بني سنة ٣٩٣هـ ، ولم يكن التعليم في القاهرة مقصوراً على المساجد فحسب ، بل امتدّ حتى شمل أيضاً (دار العلم) فيها ، وشمل قصور الخلفاء والأمراء والوزراء ، كذلك انتشر في مدن أخرى من مصر كالاسكندرية وقوص وقفط وأسوان .

وقد فعل الأيوبيون بعد ذلك مثل ما فعل الفاطميون قبلهم ، بل زادوا عليهم ، فقد شجّعوا بدورهم العلماء وأسهموا في المزيد من نَهْضَة علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وذلك على الرغم من أنّهم من عنصر كرديّ ، وقد أضافوا إلى ما وجدوه من دور العبادة والتعليم كثيراً من المدارس كالمدرسة الناصرية والمدرسة الصلاحية اللتين أسسها صلاح الدين الأيوبي عامي ٥٦٦ هـ و٥٧٢ هـ على التوالي ، والمدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩ هـ .

في عصور المماليك وما بعدها :

جاء المماليك بعد الأيوبيين ونهضوا بالحركة العلمية في مصر نهضة واسعة ، وقد ساعدهم على ذلك مجيء الأدباء والعلماء إليها من البصرة والكوفة ومن قرطبة والقيروان وغيرها ، وفرارهم إليها من بغداد بعد سقوط الخلافة العباسية فيها وانحلال نظام الدولة الإسلامية على يد التّتار سنة ٦٥٦ هـ الذين أتلفوا الكتب ، وطاردوا العلماء ، بالإضافة إلى شعور حكامهم بالنقص مما حملهم على تعويض ذلك بمناصرة اللغة العربية والعلوم الإسلامية . وقد شعر العلماء أنفسهم بما عليهم من عِبْء ثقيل اقتضته محنة بغداد خاصة ، فتنافسوا على حمله ، ولقوا في ذلك تشجيعاً مادياً وأدبياً من سلاطين مصر وأمرائها من المماليك ، مما أدّى إلى نشاط الحركة العلمية ، وإلى كثرة إنشاء دور التعليم في مصر والقاهرة ، وإلى امتلاء هذه الدور ، بالعلماء والطلاب من مختلف الأقطار ، وقد أضاف ابن خلدون سبباً آخر رآه أيضاً عاملاً مؤثراً أدّى إلى قوة النهضة العلمية ، وازدهارها في القاهرة بالذات في عهد المماليك فقال : (ونحن لهذا العهد نرى أنّ العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أنّ عمرانها مستبحر ، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين فاستحكمت فيها الصّنائع وتَفَنَّنَتْ ومن جملتها تعلّم العلم)[1] .

وتحدث كذلك عن النشاط العلمي وعمّا خصّص له ما المال وعن أعمال السلاطين والأمراء في هذا السبيل بقوله : (فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والرُّبُط[2] ووقفوا عليها الأوقاف المغِلَّة ... فكثرت الأوقاف لذلك ، وعظمت الصلاتُ والفوائد ، وكثر طالب العلم ومعلّمه بكثرة جرايتهم وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء) .

أما ابن بطوطة فقد وصف كثرة المدارس فقال : (وأمّا المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها)[٣] .

ومن أهمّ مدارسهم في القاهرة المدرسة المعزّية التي أنشأها السلطان عز الدين بن أيْبك الجاشنكير أول ملوك الدولة البحرية سنة ٦٥٤ هـ والمدرسة الظاهرية التي أنشأها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ والمدرسة المؤيدية[٤] التي أسسها الملك المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨١٩هـ .

ولم تكن الدراسة في المدارس والمساجد في مصر لعهد المماليك مقصورة على علوم العربية والدين بل امتدّتْ حتى شملت الطب والفلك والرياضيات والعلوم والتاريخ ، وقام بتدريس هذه العلوم فيهما أفضل العلماء ، وحرص على التلقي عنهم أنبغ الطلاب ، وساعد كلا الفريقين ما أنشىء آنذاك من دور الكتب في هذه المدارس والمساجد ، فضلاً عن غرام الناس بعامة والسلاطين والأمراء بخاصة باقتناء الكتب .

وقد أصبحت مصر في عهد المماليك الوريثَ الكاملَ لنهضة بغداد العلمية ، وأضحتْ موئلاً لعلوم الدين واللغة وملجأً للعلماء . وإلى جانب هذا فإنّ المماليك لم يهملوا الشطر الآخر من دولتهم وهو بلاد الشام ، فقد عُنُوا بتنشيط الحركة العلمية فيها وأسهموا في انتشار دراسة العلوم المختلفة في دمشق وحلب ، على النحو الذي فعلوه في القاهرة فظهر فيهما كما ظهر في مصر طائفة من الأعلام عملوا على حفظ العلوم والآداب سليمة تناقلتها بعدهم الأجيال .

ولقد نبغ في مختلف العلوم في مصر والشام في عصور المماليك طائفة ضخمة من العلماء نذكر منهم : عزّ الدين ابن عبد السلام المتوفي سنة ٦٦٠ هـ ، وابن مالك المتوفي سنة ٦٧٢ هـ ، وابن خلّكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ ، وابن منظور المتوفي سنة ٧١١هـ ، وابن تيمية الحرّاني المتوفي سنة ٧٢٨هـ ، والنُّويري المتوفي سنة ٧٣٣هـ ، وأبا حيَّان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥هـ ، والذهبي المتوفي سنة ٧٤٨هـ ، وابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية المتوفي سنة ٧٥١هـ ، وتقي الدين السبكي المتوفي سنة ٧٥٦هـ ، وابن هشام الأنصاري المتوفي سنة ٧٦١هـ ، وابن عقيل المتوفي سنة ٧٦٩هـ ، وابن خلدون المتوفي

سنة ٨٠٨هـ ، والفيروز آبادي المتوفي سنة ٨١٦هـ ،[٥] والقلقشندي المتوفي سنة ٨٢١هـ ، والدماميني المتوفي مهاجراً في الهند سنة ٧٢٨هـ ، والمقريزي المتوفي سنة ٨٤٥ ، وابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢هـ ، والجلال المحلّي المتوفي سنة ٨٦٤هـ ، وابن تغري بردي المتوفي سنة ٨٧٤هـ ، والكافياجي المتوفي سنة ٨٧٩هـ ، والسخاوي المتوفي سنة ٩٠٢هـ ، والجلال السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ ، وزكريا الأنصاري المتوفّي سنة ٩٢٦هـ ، وابن إياس المتوفي سنة ٩٣٠هـ .

ومما يلفت النظر أنّ الاهتمامات العلمية لم تكن شأناً خاصاً بالعلماء في كل الأحوال ، فقد عرفنا ألواناً من النشاط العلميّ لبعض الخلفاء العباسيين في مصر إبّان عهد المماليك ، يقول السيوطي عن الخليفة المتوكل على الله الثاني المتوفي سنة ٩٠٣هـ : «كان له اشتغال على والدي وغيره من المشايخ وأجاز له باستدعائي ، جماعة من المسندين ، وقد خرّجت لهم عنه جزءاً حدّث به ، وألّفت برسمه كتاب : «الأساس في فضل بني العباس» ، وكتاب «رفع الباس عن بني العباس»[٦] :

أما السلاطين والأمراء المماليك أنفسهم فقد كان اشتغالهم بالحروب والفتن وتوطيد السلطان ، بالإضافة إلى عجمتهم السبب الداعي لاقتصارهم على دراسة المعارف العسكرية دون غيرها من علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي اكتفوا بتشجيع العلماء فيها والمصنفين في موضوعاتها . وقد عمل العلماء الذين ذكرنا أسماءهم وغيرهم على التأليف والتصنيف ، كلٌّ في فنّه . وتركوا في جميع الفنون مؤلفاتٍ ضخمة خالدة كثيرة ، يقول أحد الباحثين : (لا نبالغ إذا قلنا إنّ مؤلفات علماء مصر في خلال العصر المملوكي وهو أقل من ثلاث مئة عام تبلغ عدة آلاف ، وحسبنا دليلاً على ما نقول أنّ بعضهم عرف عنه أنّه وحده ألّف مئات من الكتب والرسائل كالسيوطي ، فقد قيل : إنّ مؤلفاته أربت على ست مئة ، وكابن تيمية الحرّاني فقد قيل : إنّ مؤلفاته أربت على خمس مئة ، وكابن حجر العسقلاني فقد قيل أن مؤلفاته أربت على مائة وخمسين وهكذا)[٧] .

ومن أشهر المؤلفات العلمية الكثيرة في عصور المماليك في مصر والشام وفي مختلف العلوم : «القاموس المحيط للفيروز بادي» ، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن

حجر العسقلاني ، ولسان العرب لابن منظور ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، و« نهاية الأرب » للنويري ، و« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المعروف بخطط المقريزي ، و« صبح الأعشى في كتابة الإنشا » للقلقشندي ، و« العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر » لابن خلدون ، و« الضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع » للسخاوي ، و« حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة » للسيوطي ، و« بدائع الزهور في وقائع الدهور » لابن إياس ، و« النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة » لابن تغري بردي ، و« بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي ، و« طبقات الحفاظ » للذهبي ، وغير ذلك كثير.

وتدلّ هذه المصنفات المشهورة ونحوها بوضوح على خصوبة الحياة العلمية في عصور المماليك ، وعلى أنّ هذه العصور قد تميّزت بظهور الموسوعات الجامعة في نفس الوقت الذي تميّزت فيه أيضاً بالمتون والشروح والحواشي والتعليقات ، مما يعني أنه يصحّ فيها القول بأنّها عصور الاختصار والموسوعية في آن واحد ، وكلاهما كان يهدف إلى التعليم عن طريق حفظ أوسع المعلومات وأكثرها تفصيلاً في الموسوعات ، أو أهمها وأشدّها اختصاراً في المتون وفيما بني عليها ، وذلك تعويضاً عمّا تمّ فقده في بغداد من الذخائر والنفائس من جهة ، وتسهيلاً للحفظ والتعلم من جهة أخرى ، وهكذا تمّ حفظ الأصول والفروع جميعاً في كلا لوني التأليف والتصنيف آنذاك.

ولقد اختلف الوضع العلميّ بعد انتهاء دولة المماليك وخلال أيام الدولة العثمانية ، لما فعله أهل هذه الدولة حين تمّ لهم النصر بفتح مصر سنة ٩٢٣هـ من نقل المصنفات العلمية الموجودة فيها إلى تركية ، مما أدّى بالضرورة إلى هبوط مستوى النشاط العلمي في مصر شيئاً فشيئاً.

النشاط النحويّ في هذه العهود :

في الدولة الفاطمية :

كان حظّ النحو من النشاط مثل حظّ سائر فروع المعرفة الأخرى في الدولة الفاطمية في مصر ، وكان النحو إلى جانب غيره من العلوم محلّ الدرس والتحصيل في الأزهر

وجامع الحاكم وغيرهما من دور التعليم ، وقد برز في عهد هذه الدولة في مصر كثير من النحويين منهم الأدفوي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، والحوفي المتوفي سنة ٤٣٠ هـ وهو صاحب «إعراب القرآن» وابن بابشاذ المتوفي سنة ٤٦٩ هـ الذي صنع مسودّة في النحو يقال إنّها بيضت لقاربت خمسة عشر مجلداً وسمّاها النحاة من بعده «تعليق الغرفة» والذي صنّف أيضاً «شرح الجمل» وغيرهما ، وابن القطاع الصقليّ المولد المصريّ الدار والوفاة المتوفي سنة ٥١٥ هـ وله كتاب «الأفعال» وكتاب «أبنية الأسماء» وغيرهما ، وابن بريّ المقدسي الأصل المصريّ الدار المتوفي بمصر سنة ٥٨٢ هـ وقد كان إماماً كبيراً في النحو ، وله « جواب المسائل العشر» وهي المسائل التي استشكلها الحسن بن صافي بن عبدالله أبو نزار المعروف بملك النحاة وسمّاها «المسائل العشر المتعبات إلى الحشر» ، وقد قضي هذا الإمام شطراً من حياته في نهاية الدولة الفاطمية وشطرها الآخر في بداية الدولة الأيوبية .

في الدولة الأيوبية :

تأسست في عهد الأيوبيين الذي بدأ سنة ٥٦٧ هـ المدارس الكثيرة ، وازدهر فيه النحو إلى جانب سائر العلوم ، واشتغل بالنحو خاصة خلق كثير منهم الملوك كالملك الكامل الأيوبيّ الذي منحه ابن برّيْ إجازة في النحو ، والملك المعظّم عيسى الأيوبي الذي قرأ على تاج الدين الكندي المتوفي بدمشق سنة ٦١٣ هـ كتابي «الحجة» و«الايضاح» لأبي عليّ الفارسي ، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه ، والذي أحبّ النحو ونبغ فيه ، وشجّع دارسيه حتى أنّه شرط لكل من يحفظ مفصّل الزمخشري مئة ديناراً وخلعة ، والملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل بن الأفضل صاحب حماه الذي شرح كافية ابن الحاجب .

ولم يكن النشاط النحويّ في عصر الأيوبيين مقصوراً على مصر ، بل كان هذا النشاط موجوداً أيضاً في بلاد الشام التي أسست فيها مدارس خاصة عنيت بدراسة النحو أكثر من غيره .

وكان الملك المعظم عيسى الأيوبي صاحب الفضل في إنشاء أهم هذه المدارس وهي : المدرسة العادلية بدمشق ، ومدرسة أخرى في القدس أسّسها سنة ٦٠٤ هـ .

ومن أهم نحاة مصر والشام في العهد الأيوبي ابن معطي المتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٨ هـ وهو صاحب الألفية المشهورة باسمه، وصحاب «الفصول الخمسون» و«العقود والقوانين» وغيرهما، وابن يعيش الحلبي المعروف بابن الصانع المتوفي بحلب سنة ٦٤٣ هـ وهو أستاذ ابن مالك وصاحب الشرح المطوّل لمفصّل الزمخشري، وشرح تصريف ابن جني، وابن الحاجب المتوفي في الاسكندرية سنة ٦٤٠ هـ أو ٦٤٦ هـ ومن مؤلفاته: «الأمالي النحوية»، وشرح لمفصّل الزمخشري سمّاه «الايضاح» ومتن «الكافية»[٨] في النحو وشرحها، ومتن «الشافية» في الصرف وشرحها.

في عصور المماليك:

كثر في عصور المماليك المشتغلون بالنحو والصرف خاصة في مصر والشام، وازداد بذلك النشاط في الدراسات النحوية والصرفية، وبلغ هذا النشاط ذروته بعدما سقطت غرناطة آخر حواضر الأندلس بيد الفرنجة سنة ٧٩٨ هـ واتجه بسبب ذلك جمهرة طيبة من المشتغلين بهذين العلمين نحو مصر والشام، ومن أشهر نحاة هذه العصور في هذين القطرين ابن مالك المتوفي سنة ٦٧٢ هـ الذي برز واشتهر في أواخر العصر الأيوبي وأوائل عصور المماليك، وأبو حيان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ، وابن أم قاسم المرادي المتوفي سنة ٧٤٩ هـ، وابن هشام الأنصاري تلميذ أبي حيان المتوفي سنة ٧٦١ هـ الذي قال ان ابن خلدون عنه: (ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه)[٩].

والذي ذكر أحد الباحثين[١٠] أنه يُعَدّ آخرَ أعلام المدرسة المصرية في النحو، إذ لم يظهر في مدرسة مصر مجتهد في هذا العلم بعده، وابن عقيل المتوفي سنة ٧٦٩ هـ، وابن الصائغ المتوفي ٧٧٦ هـ، وناظر الجيش محبّ الدين الحلبي المتوفي سنة ٧٧٨ هـ، والدماميني المتوفي مهاجراً في الهند ٨٢٧ هـ، والشُّمُنّي المتوفي سنة ٨٧٢ هـ، والسيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ الذي قيل فيه: (خدم لغة العرب خدمة قصّر عنها معاصروه ولم يفته فيها سابقوه، وقد ألّف فيها كتباً كثيرة منها ما خصّ به أصولها، ومنها ما خصّ به فروعها، وقلّما غاص في لجّة الا استخرج ما فيها من الدرّ)[١١] والاشموني المتوفي

حوالي[١٢] سنة ٩٢٩هـ وغيرهم .

ومن الطبيعي أن يصاحب هذه النخبة من النحويين في مصر خاصة في عصور المماليك مصنّفات هامة وكثيرة لهم ، فقد نشطوا في التأليف النَحوِيّ ، وظهرت لهم أسفار قيمة من الموسوعات وكذلك من المتون والشروح النحوية ، ومن أشهر هذه المؤلفات : ألفية ابن مالك وتسهيله ، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل ، وارتشاف الضرب من لسان العرب[١٣] ، وكلاهما لأبي حيّان ، وقد قال السيوطي عنهما : (لم يؤلّف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع)[١٤] ، ولأبي حيّان أيضاً «منهج[١٥] السالك في الكلام على ألفية ابن مالك» .

ومن الكتب أيضاً : شرح التسهيل ، وشرح الألفية ، وشرح المفصّل ، وهي لابن أمّ قاسم المرادي ، والتوضيح على الألفية ، ومتن شذور الذهب وشرحه ، ومتن قطر الندى وشرحه ، والإعراب عن قواعد الإعراب ، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ، وشرح الألفية ، والمساعد في شرح التسهيل وهما لابن عقيل ، وشرح الألفية ، وحاشية على المغني لابن الصائغ ، وشرح التسهيل لناظر الجيش ، وشرح التسهيل ، وحاشية تحفة الغريب على مغني اللبيب للدماميني ، والمنصف من الكلام على مغني ابن هشام للشّمنيّ ، وجمع الجوامع وشرحه همع الهوامع ، والاقتراح في أصول النحو ، وشرح شواهد المغني ، والبهجة المضيّة في شرح الألفية ، والأشباه والنظائر في النحو ، والفتح القريب في شرح مغني اللبيب وهي جميعاً للجلال السيوطي ، وشرح الألفية للأشموني .

في العصر العثماني :

تدنّى مستوى النشاط النحوي في العصر العثماني عمّا كان عليه في عصور المماليك ، ومع ذلك فقد ظهرتْ في هذا العصر في مصر خاصة طائفة من النحويين من ذوي المستوى الجيّد ، قصروا نشاطهم على صنع الحواشي والتقريرات وكتابة التعليقات ، وجمعوا في هذا كله كثيراً من المعارف النحوية وأطرافاً من التحليلات والنظرات الاجتهادية .

ومن أشهر النحويين ومؤلفاتهم في مصر آنذاك : الشنواني المتوفي سنة ١٠١٩ هـ ، وله حاشيتان على شرحي قطر الندى لابن هشام الأنصاري ولجمال الدين الفاكهي [١٦] ، وحاشية على [١٧] شرح خالد الأزهري للإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام ، والدنوشري المتوفي سنة ١٠٢٥ هـ وله حاشية على التصريح لخالد الأزهري ، وياسين الحمصي المتوفي سنة ١٠٦١ هـ وله حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ، وحاشية على مجيب الندا للفاكهي ، وحاشية على تصريح الأزهري ، والمدابغي المتوفي سنة ١١٧٠ هـ وله حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، والحفني المتوفي سنة ١١٧٨ هـ وله حاشية على شرح الأشموني لهذه الألفية ، والسجاعي المتوفي سنة ١١٩٧ هـ وله شرح على متن قطر الندى لابن هشام ، والكفراوي المتوفي سنة ١٢٠٢ هـ وله شرح على متن الآجرومية ، والصبان المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ وله حاشية على شرح الأشموني للألفية ، والدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ وله حاشية مطولة على مغني اللبيب لابن هشام ، ومحمد الأمير المتوفي سنة ١٢٣٢ هـ وله حاشية على المغني وحاشية على شرح الأزهرية وحاشية على شرح الشذور ، وحسن العطار المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ وله حاشية على شرح الأزهرية لخالد الأزهري ، والخضري الدمياطي المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ وله حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، وحسين والي الأزهري المتوفي سنة ١٣٠٦ هـ وله نفحة الآداب على ملحة الأعراب للحريري .

طابع الدراسات النحوية خلال العهود السابقة :

إنّ هذا الدرس النحويّ الذي أسلفنا الحديث عنه في مصر ومعها الشام منذ الدولة الفاطمية وحتى أوائل العصر العثماني بما تضمّنه من حشود العلماء ومن مصنفاتهم المتميّزة بطابع واحد أو بطوابع متقاربة ، يدلّ بوضوح على أنّ قاسماً مُشْتَركاً قد ربط بين هؤلاء العلماء من جهة ، وربط بين مصنفاتهم أيضاً من جهة أخرى ، وأنّ خطوطاً عريضة عامة قد جمعت بينهم ، ولعلّ هذا هو الذي حمل من سمّوا هذه الدراسات بالمدرسة المصرية النحوية على أن ينعتوها بهذه التسمية ، وبصرف النظر عن الخلاف المعروف بين القائلين بوجود مدارس نحوية وبين المنكرين لها من الأساس أو المنكرين لبعضها المقرّين بعضها ، فإنّي أميل إلى القول بأنّ طابعاً عاماً كان يميّز الدرس النحويّ في مصر

والمصنفات النحوية فيها لهذا الزمان ، يتضح هذا تماماً من مناهج تأليفهم ومحتوى هذا التأليف ، ومن شدّة ولعهم ، بالتفصيل والتشقيق وأساليب الجدل في الفروع بما تتضمنه من اعتراضات وإجابات عليها ونحوها ، ولعلّ وحدة البيئة بكل وجوهها والنظام السياسي والتقاليد الاجتماعية وكذلك سائر عوامل التأثير الأخرى في النشاط العلمي وفي الحياة العامة قد أسهمت جميعاً في إضفاء طابع واحدٍ أو أجواء متقاربة على وجوه التفكير والانتاج على صعيد العلوم والمعارف إبّان العهود المتعاقبة في مصر خاصة آنذاك ممّا أساغ لبعضهم القول بالمدرسة المصرية في النحو التي جرت العادة بأن تشمل بلاد الشام أيضاً في ذلك الزمان ، وذلك بصَرف النظر عن صواب تسميتهم بالمدرسة بالإصطلاح العلمي المعروف لهذه الكلمة ، أو عدم صواب ذلك تبعاً للخلاف المعروف في المدارس النحوية بين الباحثين.

وأياً ما كان الأمر فإنّ ظهور عهد الفاطميين في منتصف القرن الرابع الهجري كان إيذاناً بأنّ المدرسة المصريّة أو الدراسات النحوية في مصر ومعها الشام قد أخذت تتبلور وتستقل بشخصيتها عن المدارس السابقة أو عن الدراسات النحوية الماضية ، وتتميّز باتجاهها الذي يبدو أنّه أخذ يميل إلى المدرسة البغدادية أو إلى الدرس النحويّ في بغداد ، وقد بدا ذلك واضحاً من مسلك نحاة مصر ومنهجهم في الدرس ، وهو منهج يعتمد في الفروع على تصويب آراء البصريين فيها تارة وآراء الكوفيين تارة أخرى مع تركها تارة ثالثة والأخذ بآراء البغداديين ، ثم النفوذ إلى آراء اجتهادية تارة رابعة على نحو ما فعل الحوفي وابن بابشاذ وابن بري من نحاة العصر الفاطمي ، ويعدّ هذا الاجتهاد السِّمة الأولى المميزة لما يُسَمَّى بالمدرسة المصرية أو بالدرس النحويّ في مصر ، ما لبثت أن أضيف إليها فيما بعد سمات أخرى أصبحت تعدّ مع الاجتهاد من خصائص هذه المدرسة التي تميّزها عن غيرها من المدارس السابقة ، ومن هذه السمات والخصائص عناية نحاة مصر بمسائل الخلاف خاصة ، والانصراف إلى الاهتمام بالإعراب في القرآن .

وتبعاً لنواميس الحياة وطبقاً لسنن التطور فإنّ العصر الأيوبي التالي لعهد الفاطميين حمل معه مزيداً من الازدهار للدرس النحوي في مصر والشام ، ولكنه أضحى درساً موسوماً بغلبة المذهب البصريّ على اتجاهات أكثر النحويين، وعلى جلّ الدراسات

النحوية كما يتضح من الانتاج النحويّ آنذاك ، ومما يمكن أن يعنيه ما كان عليه شأن مدرسة القدس التي أسسها الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦٠٤هـ لدراسة النحو بخاصة إذ اعتمدت في هذه الدراسة كتاب سيبويه[١٨] فقط ، كما أضحى موسوماً بظهور الاتجاهات الفلسفية والنزاعات المنطقية في دراسات النحاة على نحو ما يبدو بوضوح عند ابن الحاجب الذي يقول عنه أحد الباحثين أنّه كان (أول نحويّ في مصر نزع بالنحو نزعة فلسفية)[١٩] .

أما العصور المملوكية فقد حملت معها تبعاً لنفس النواميس والسنن مزيداً من الازدهار والنشاط للدرس النحويّ في أرجاء الدولة وقد لخّص الدكتور شوقي ضيف طابع ما سمّاه بالمدرسة المصرية في عصورها المتعاقبة فذهب إلى أنّ هذه المدرسة : (أخذت تمزج منذ القرن الرابع الهجري بين آراء البصريين والكوفيين ، وضمّت سريعاً إلى تلك الآراء آراء البغداديين ، غير أنها لم توفق ولم تزدهر إلّا منذ العصر الأيوبي ، وسرعان ما تكامل ازدهارها في العصر المملوكي)[٢٠] .

على كل حال فان علماء الأندلس والمغرب عامة وابن مالك وأبا حيّان خاصة قد أسهموا في المدرسة المصرية لعهد المماليك أو في الدرس النحويّ في الدولة المملوكية إسهاماً بارزاً ، مما جعل ملامح المذهب الأندلسي غالبة على هذا الدرس أو على هذه المدرسة في هذا العهد ، وجعل أسماء نحاة الأندلس وآراءهم الأكثر تداولاً في مصنفات النحويين والأكثر ترجيحاً في مناقشاتهم وخلافاتهم مع غيرهم .

ولقد حفظ لنا نحاة عصور المماليك الثروة التي سبقتهم ، وأضافوا لها إنتاجهم الغزير ، ثم أورثوا ذلك كله إلى ما بعدهم من عصور ما لبث أهلها ينتفعون به زمناً بعد زمن إلى يومنا الحاضر.

ولنا هنا وقفة عند ابن مالك بالذات لما كان له من شهرة في زمانه وبعده ، وللآثار العميقة التي أحدثها في الدرس النحويّ إلى هذا الوقت ، نقول إنّه على الرغم من أنّ المرحوم الأستاذ أحمد أمين قد رأى أنّ ابن مالك كان يدور في فلك البصريين ، وأنه ليس مُجَدّداً بل هو لا يعدو أن يكون قد : (نظم نحو سيبويه ووضّحه وفصّله وقرّبه إلى الناس وعمّمه)[٢١] . وأنّه إن اجتهد (فالذي نسميّه في الفقه اجتهاد مذهب لا اجتهاداً

مطلقاً)[٢٢] وأنّ أهمّ ميزة في عمله كانت (ربط قواعد النحو ربطاً مُحكماً وبسطها كما يتجلّى ذلك بالنظر في ألفيته وقواعده والقواعد التي ذكرها سيبويه في كتابه)[٢١] فإنّ ابن مالك هذا الذي أدرك أيضاً عهد الأيوبيين في مصر والشام — وكذلك أبا حيان وتلميذه ابن هشام الأنصاري — يعدّون بحقّ شيوخ المدرسة المصرية في عصور المماليك على الأقل بدون منازع إن صحّ هذا التعبير، ولم يكن عمل ابن مالك — على ما أعتقد — مقصوراً على ما ذكره الأستاذ أحمد أمين، بل لقد أضاف إلى ذلك على حدّ قول أحد الباحثين مذهباً نحوياً عميق الأثر في النحو العربي: (شغل به النحاة من بعده وظلّ أساساً لأكثر الدراسات النحوية إلى اليوم، وهو مذهب يقوم على أساس المزج والاختيار من المذاهب السابقة كلّها مع ميل واضح إلى الجياد والتيسير وجنوح شديد إلى الاجتهاد والتجديد)[٢٢] كما كان يخالف في أحيان كثيرة آراء البصريين الذين يميل إليهم في الجملة وإلى سيبويه منهم على وجه الخصوص، فيرتضي مذهب الكوفيين إذا صحّت لديه حكمته في بعض المسائل، ورأى أنّ الرواية الصحيحة تؤيدهم، فهو لم يكن يتعبّد بأقوال البصريين، بل كانت له كما يقول السيوطيُّ أيضاً (طريقة سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين)[٢٣].

على كل حال يعدّ ابن مالك صاحب الفضل في الإكثار من تقعيد القواعد وتنظيمها وتبويبها وجمع متفرقها، وتحرير مباحث النحو وأبوابه ومصطلحاته، وتذليل مشاكله وصعابه، وتسهيل قواعده وأصوله وتوضيحها وتفصيلها وتقريبها إلى الناس، وتمثّل آراء السابقين على اختلاف مذاهبهم والاختيار منها ثم استنباط الآراء الجديدة والاجتهاد فيها مما يمكن معه اعتباره مجدّداً في النحو ولو بعض التجديد، وهكذا يبقى نحو ابن مالك مزيجاً من ابتكاراته ومن نحو المذاهب جميعاً كما تبقى المسحة البصرية هي الغالبة عليه.

أما أبو حيان وابن هشام فقد سارا عموماً على طريقة ابن مالك ونهجا نهجه، حتى لقد وصف ابن هشام طريقة ابن مالك بأنها (طريقة المحققين وهي أحسن الطريقين)[٢٣]، مع كثير من الاجتهادات الخاصة والنظرات المستقلّة والاعتراضات المتعددة كالذي حدث كثيراً من أبي حيّان إزاء ابن مالك، وكالذي حدث من ابن

هشام إزاء أستاذه أبي حيّان ، كما استمدّا في دراساتهما النحوية : (من ابن الحاجب قليلاً من فلسفته النحوية ، ومن ابن مالك كثيراً من توسعه في الرواية)[٢٤] وإن كان أبو حيّان قد تأثر كثيراً بالبصريين في مقاييسهم وأصولهم وعللهم وفروعهم وجرى وراءهم في كثير من مسائلهم وخالفهم في القليل منها ودافع عن جمهرة اتجاهاتهم وأنكر على ناقديهم أكثر من مرّة .

ولقد نال ابن هشام شهرة فائقة في زمانه وما زال : (لما انفرد به من الفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد مسهباً وموجزاً)[٢٥] ولما تميّز به من أنّه استوفى أحكام الاعراب مجملة ومفصّلة ، وتكلّم عن الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها ... وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها[٢٦] ولما اتّصف به من أنّه : (على علم جمٍّ يشهد بعلوّ قدره في صناعة النحو ووفور بضاعته منها ، وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني وتبعوا مصطلح تعليمه ، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوة ملكته واطلاعه)[٢٧] . ولعلّ هذه الأقوال هي التي حملت باحثاً معاصراً على أن يرى أنّ ابن هشام هو آخر المجتهدين في مدرسة مصر النحوية ، وأنه لم يظهر فيها بعده مجتهد آخر[٢٨] .

وقد سار من جاء بعد ابن مالك وابن هشام بخاصة سيرتهما ، ولم يخرج عمّا رسماه ، بل اتبع منهجهما ، وسار على أثرهما واقتصر في أغلب الأحوال على شرح مؤلفاتهما ودراستها والتعليق عليها ، حتى من وضع منهم ابتداء متوناً أو شروحاً مستقلة لم يخرج عن دائرتهما ، وإنْ تميز بعضهم بنظراته الخاصّة وشخصيته العلمية المستقلة التي تدلّ على نضجه وعمق فهمه ، وكامل إلمامه ودقة ملاحظاته وموازناته وتوجيهاته وتعليلاته على نحو ما يبدو ذلك مثلاً في ابن امّ قاسم المرادي شارح ألفيه ابن مالك ، الشرح الذي بقي مجهولاً فلم ينشر[٢٩] إلّا مؤخراً جداً ، والمسمّى «توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك» ، والذي انتحله الأشموني ونسبه إليه وغيّر اسمه إلى «منهج السالك إلى الفية ابن مالك» وكاد يكون نسخة مطابقة له ، وكنت أول من صرّح بذلك ومثّل له في

رسالتي للماجستير[٣٠] ، فكان هذا إيذاناً للباحثين في أكثر من قطر بأن يتحرّوا الحقيقة ، وأدّى تحرّيهم إلى إثبات صحة ما صرّحت به وضربت الأمثلة عليه ، وتكشفت في نهاية المطاف حقيقة الشهرة العلمية التي بناها الأشموني زماناً طويلاً على شرحه المزعوم ، الذي كان يعدّ على امتداد هذا الزمان من أشهر شروح الألفية إن لم يكن أشهرها على الإطلاق وأكثرها تداولاً بين الدارسين .

أما الدرس النحويّ والتصنيف فيه في عصور العثمانيين فقد اتسم أكثرها بظهور التأثر بالبيئة الأعجمية فيها ، وفي الدارسين والمصنفين في النحو على الرغم من اتساع آفاق كثير منهم وقوة ملكاتهم ومداركهم وغزارة معارفهم ، وقد جعل هذا أكثر هذه المؤلفات على شرف موضوعها وجلال مباحثها وإتقان ضبطها وإحكام ترتيبها صعبة التناول لا تثري اللسان العربيّ بالمقدار الذي تثري فيه المنطق والفلسفة لكثرة ما حُشيت بهما ، ولفرط ما استُخْدِما في بيان الأصول والفروع النحوية ، فضلاً عن أنّ أسلوبهما كان معقّداً ورمزياً موغلاً في الصعوبة والإشارة ، ومع هذا فإن الدراسات النحوية على ما يقول الدكتور شوقي ضيف ظلّت (ناشطة في العصور العثمانية في مصر حتى العصر الحديث)[٣١] وكثرت الحواشي والتقريرات على المنهج الذي وصفناه كثرة بالغة ، واستمرّ حال التصنيف النحويّ على هذا المنوال الى بداية العصر الحديث ، حيث اخذت تظهر محاولات متعددة للتجديد ، قام بها بعض المشتغلين بالنحو مثل الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» والشيخ أمين الخولي في محاضراته وأبحاثه ، والشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه «النحو الجديد» والدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه «دراسات نقدية في النحو العربي» وغيرهم ، إلى جانب بعض الكليات التي أخذت على عاتقها عِبْء الدعوة إلى تجديد النحو ككلية دار العلوم وكلية الآداب في جامعة القاهرة ، بالإضافة إلى اللجان التعليمية في وزارات المعارف في البلدان العربية ، والأبحاث الفردية لمثقفين من كل ديار العرب ، ولكن هذه المحاولات على ما يقول به أحد الباحثين وعلى ما يشهد به واقع الحال : (لم يكن لها من القوة ما يكتب لها الخلود لأنه ما زال النحو الموروث بأقيسته وعلله يفرض سلطانه على النحو والنحويين إلى اليوم[٣٢]) .

الرياض : الدكتور عبد الكريم محمد الأسعد

حـواشي المقـال :

(١) ابن خلدون ، المقدمة ٤٠٠ .
(٢) الرباط : الذي يبني للفقراء ، ويجمع في القياس على رُبُط بضمتين ، وعلى رباطات .
(٣) ابن بطوطة ، تحفة النظار ١ : ٢٠ .
(٤) هي الجامع المعروف الآن في القاهرة بالجامع المؤيد بجوار باب زُويلة .
(٥) **العرب** : الفيروز آبادي توفي في ٢٠ شوال سنة سبع عشرة وثماني مئة — كما ذكرن تلميذه الفاسي في «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ج٢ ص ٤٠٠ ، وقد ولد في (كارزين) في جهة شيراز .
جنوب مدينة (شيراز) وعاش أكثر حياته في اليمن متنقلاً بينها وبين مكة ، وزار أشهر المدن الإسلامية كبغداد ودمشق والمقدس والقاهرة .
(٦) السيوطي ، حسن المحاضرة ٢ : ٩٢ .
(٧) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ٣ : ٩٠ — ٩١ .
(٨) لكافية ابن الحاجب — شروح كثيرة من أشهرها شرح الرضي الاستر اباذي .
(٩) الزركلي ، الأعلام ٤ : ٢٩١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢ : ٤١٦ .
(١٠) أنظر د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .
(١١) الشنقيطي ، الدرر اللوامع ، المقدمة ٢ .
(١٢) رجّح كثيرون أنه توفي سنة ٩١٨هـ .
(١٣) وهو مختصر للتذييل والتكميل في شرح التسهيل ، ويقع الارتشاف في ست مجلدات ، وله مختصر في مجلدين .
(١٤) السيوطي ، بغية الوعاة ١ : ٢٨٢ .
(١٥) طبع بالويات المتحدة سنة ١٩٤٧م بتحقيق سدني غليزر .
(١٦) سمّى الشنواني حاشيته على شرح قطر الندى للفاكهي «هداية مجيب الندا إلى شرح قطر الندى وبلّ الصدى» .
(١٧) سمّى الشنواني هذه الحاشية «هداية أولى الألباب إلى موصل الطلاب إلى قواعد الأعراب» .
(١٨) أنظر محمد كرد علي ، خطط الشام ٦ : ١١٧ .
(١٩) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر. ٢٢١ .
(٢٠) د/شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، المقدمة ٧ .
(٢١) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٣ : ٩٣ — ٩٥ .
(٢٢) ابن مالك ، التسهيل ، تحقيق محمد كامل بركات ، تقديم الدكتور يوسف خليف :
(٢٣) السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ٨٦ .
(٢٤) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ٢٢٦ .
(٢٥) السيوطي ، بغية الوعاة ٢ : ٦٨ — ٦٩ .
(٢٦) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٤ : ٢١١ .
(٢٧) ابن خلدون ،المقدمة ٥١٦ .
(٢٨) أنظر د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .
(٢٩) طبع بمصر في ستة أجزاء بتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سليمان في وقت قريب .
(٣٠) وهي بعنوان «أبو الحسن الأشموني وكتابه منهج السالك إلى الفية ابن مالك» وقد أجيزت سنة ١٩٧٣م .
(٣١) د/شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، المقدمة ٨ .
(٣٢) د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .

مصادر البحث ومراجعه

١ ـــ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط٣ ببيروت .

٢ ـــ الاقتراح في علم أصول النحو ، جلال الدين السيوطي ، ط٢ حيدر آباد سنة ١٣٥٩ هـ .

٣ ـــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ،البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤م ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

٤ ـــ تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة ، المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٩٢٨م .

٥ ـــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك ، القاهرة سنة ١٩٦٨م ، تحقيق محمد كامل بركات .

٦ ـــ الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، عبد اللطيف حمزة ، ط٨ بالقاهرة سنة ١٩٦٨م .

٧ ـــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جلال الدين السيوطي ، عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٧م ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

٨ ـــ خطط الشام ، محمد كرد علي ، ط ، ببيروت سنة ١٩٦٩ ـــ ٢٩٧٢م .

٩ ـــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، ط٢ سنة ١٩٦٦م ، تحقيق محمد سيد جاد الحق .

١٠ ـــ الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، الشنقيطي ، مطبعة كردستان بالقاهرة سنة ١٣٢٨هـ .

١١ ـــ ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، ط٤ مكتبة النهضة المصرية .

١٢ ـــ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، محمود رزق سليم ، المطبعة النموذجية بمصر سنة ١٩٦٢م .

١٣ ـــ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، د/عبد العال مكرم ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م .

١٤ ـــ المدارس النحوية ، د/شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م .

١٥ ـــ المقدمة ، ابن خلدون ، دار الشعب بالقاهرة .

من ذكريات أب حزين

ما آلم بكاء القلوب حين تستعصي الدموع

[أنظر جريدة «الجزيرة» : ع ٣٠٧٣]

لن أقابل عتبك ـــ أيها الأستاذ الكريم ـــ بعتب ، وان نكأت كلمتك التي نشرتها هذه الصحيفة (ع ٣٠٧٣ في ١٤٠١/٣/٧ هـ) جرحاً كاد أن يندمل .

وما أحسبها ـــ بعمق تأثيرها في نفسي وبما أثارت من بواعث الذكريات ، الا صادرة من قلب اكتوى بفرقة حبيب ، أو امتلأ بمحبة ابن بار ..

وما أعمق آثار ما يصدر عن القلب المفعم بصادق العواطف بقلب أرهفت إحساسه الام الجراح ..

أما الصحفي اللبق الذي كان حديثه معي مثار التعليق فما أراه جديراً باللوم ، ولا مطالباً بإيضاح ما استغلق فهمه على القراء ، لقد كان صياداً ماهراً ، والصحفي ـــ بطبيعة عمله وبحكم مهنته ـــ يسعى لاصطياد ما يمكنه اصطياده من القراء بمهارته الفنية ، وهي مهارة ترتكز ـــ في صحافة اليوم ـــ على عنصر الاثارة ، وبتلك المهارة اصطاد بجرة قلم صيداً سميناً ، فحظي قراء صحيفته بالاستمتاع بتلك الكلمة المؤثرة حقاً ، ولو استوضح أو أوضح ما كان محلا لتعليق الكاتب الكريم ، وباعثاً لعتبه ، ولما كان للعنوان الجذاب أثره .

أما أنا فانني أحمد له أسلوبه البارع ، الذي لا أراه تجاوز حد الاتزان ، وكان باستطاعته تجاوز ذلك الحد ، كزميله الصحفي الغربي الذي تحدث عن رجل شهير ، زار مدينة (نيويورك) فرأى في الاجابة على أحد أسئلة ذلك الصحفي ما لا يليق بسمعته فتجاهل ذلك السؤال ، غير أن الصحفي اتخذ من ذلك التجاهل وسيلة كانت أعمق أثراً في نفوس قراء صحيفته من الجواب ، إنها أبرزت ذلك الزائر بأبشع صورة من الجهل

المطبق لما يعد من أبرز مظاهر تلك المدينة (الشرق الأوسط عدد الجمعة ٢٦ الحجة سنة ١٤٠٠ هـ).

وأذكر أنني أردت أن أصحح خطأ وقع فيه أحد مشاهير أدبائنا وقد استشهد بكلام للأمير شكيب أرسلان فذكرت ان مؤرخي هذه البلاد فيما يتعلق بتاريخها أوثق من شكيب. فما كان من ذلك الأديب الشهير إلا ان عمد الى الاثارة (ما رأيكم فيمن يطعن في أمير البيان)؟؟

ويأتي الحديث عن البكاء، وهو حديث لا أحسنه، ولا أراني ملوما في ذلك:

أترى البكاء — أيها الأخ الكريم — مقياساً للتعبير عن أصدق العواطف؟؟

أم هو غريزة من غرائز النفس، يستعصي حين تشتد الحاجة اليه عند طغيان بواعث الأسى، واشتداد وقع المصيبة، فتصاب النفوس بذهول، وبجمود، من شدة ما اعتراها، وما أسعد من يجد لآلامه متنفساً، ولو من فيض دمعه، حين تطغى عليه الخطوب فيعجز عن مدافعتها بما هو أقوى وانفع من الدموع؟؟

لعل انحدار الدمع يعقب راحة
من الوجد، أو يشفي لظيّ البلابل

أن أوفر الناس حظاً من هذه النعمة — نعمة القدرة على البكاء هم ذوو الاحساس المرهف، والطباع الرقيقة، كالنساء والأطفال، وما أرى الشاعر مجانباً للصواب حين قال:

ابك مثل (النساء) ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

فبكاء النساء أشد لوعة، وأبلغ أسى وحسرة، وأوقع في النفوس أثراً..

أما الرجال فهم ذوو قلوب قاسية، والقسوة مذمومة، إلا في بعض الحالات.
اتراهم يلامون على ما هو جبلة في طباعهم؟؟

يبكي علينا وما نبكي على أحد
لنحن أغلظ أكبادا من الابل

ثم لفتة نحو الكاتب العاتب !!

إن الصحفي الكريم — وقد اتخذ من كلمة (البكاء) وسيلة إثارة — كان دقيقاً في التحري لايراد نص ما قلته فيما أثار التساؤل والعتب : (احتراق المكتبة كان بصراحة أعظم أثراً من موت ابني . ونهب مكتبتي) الخ .. مما لم ترد فيه تلك الكلمة .

ولا أرى القارىء — أي قاريء — يستعصي على فهمه ادراك الفرق بين اثر المصيبتين ، فقدان الابن لا يعني في كثير من الحالات سوى أهله وذويه ، بخلاف احتراق مكتبة هي بالنسبة لصاحبها الباب الذي يلج منه الى نفوس مجتمعه . الذي هو جزء منه ، ولا خير فيه إذا لم يشارك هذا المجتمع في أعماله النافعة . وكيف تتم المشاركة مع عدم وسائلها أو ضعف تلك الوسائل ؟!

إن أثر ضياع مكتبتي لا يزال هو هو ، الى ساعتك الآن ، لم يتغير ، بخلاف أثر مصيبتي بفقد ابني ..

واسمح لي بأن أتحدث موجزاً كيف كان وقع المصيبة ، وما وما منزلة هذا الابن في نفسي لئلا أوصم بالغلظة وبعدم الوفاء !!

حين بدأت أدلف الى مرحلة الشيخوخة رزقت بابن هو الأول ، وذلك في عام ١٣٧٠ هـ ، ولا يعنيك ما بذلت في سبيل تربيته وتنشئته ، وفق ما أرشحه له في مستقبل حياته ..

ولقد شب ونشأ واجتاز مراحل الدراسة دون تعثر .

وكان يهوى ممارسة كثير من الألعاب . وأنا — حتى في سن الصغر — كنت أكرهها ، لأنني عشت عليل الجسم ، فإذا اضطررت لمشاركة لِدَاتي في بعض ألعابهم فشلت ، فأثر هذا في نفسي ، ولهذا كنت كثيراً ما ألوم ابني على اضاعة وقته باللعب ، خوفاً من تأثيره على سير دراسته ، فكان يقابل لومي قائلاً : (يا أبي) وهكذا كان

يخاطبني بهذه الكلمة بحيث انني اذا سمعتها الآن من أحد ابنائي احس بأنني اسمع صوت ذلك الابن الذي ذهب عني منذ سبع سنوات : (يا ابي سوف آتيك بورقة النجاح فلا تشغل نفسك علي) وهكذا كان ، لم يرسب مرة واحدة في سنة من سني دراسته .

وكنت أرى في حيويته وقوته — جسما وذهناً وفكرا وخلقا — ما ملأ قلبي اطمئناناً وثقة بأنني حين أخلي مكاني في هذا الوجود ، فلن تعدم أسرتي العميد الصالح ، وقد أدرك هو هذا ادراكا حمله على السعي جاداً ليكون قادراً على تحمل التبعة .

وقبل أن يغادر هذه الحياة بشهور ، حين أوشك ان يكمل دراسته في (الجامعة الأمريكية) استشارني في الاشتغال بالتجارة ، مع زميلين له في الجامعة ، عرفتهما حق المعرفة ، هما جميل صلاح دندن ومصطفى عرب ، فحبذت له هذا العمل ، وهيأت له ما استطعت تهيئته ، فاتفق مع صديقيه على فتح مكتبين في الرياض وفي بيروت باسم (مؤسسة الجاسر التجارية) وسجل الاسم في (وزارة التجارة) .

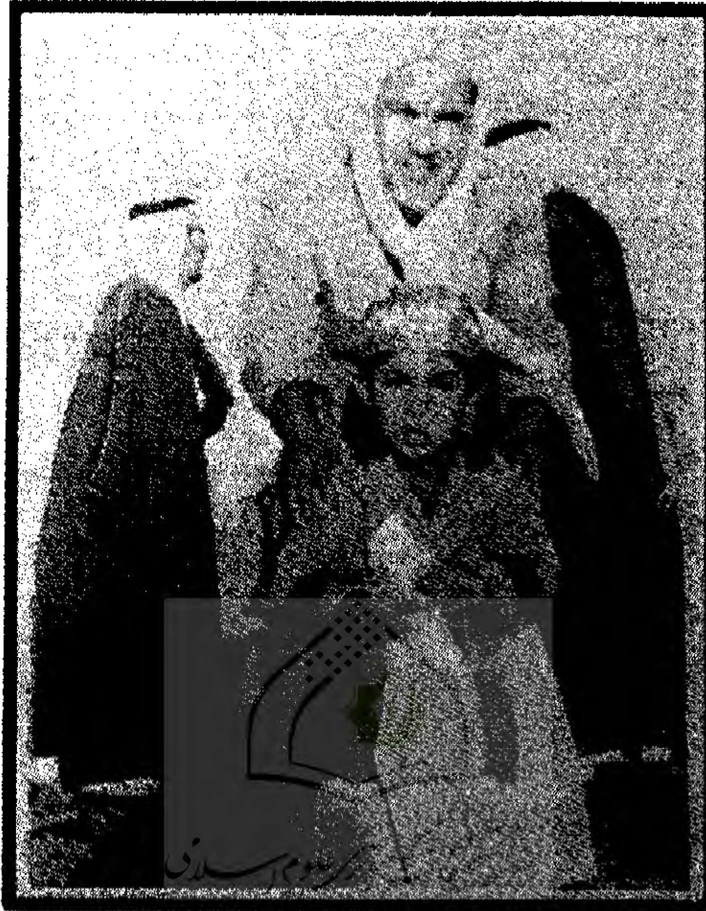
وبعد اتمام الدراسة سافر الثلاثة الى (أوربا) للبدء في عملهم ، وفي العودة كانت الفاجعة بهم ! !

كانت حوادث (بيروت) في عنفوان شدتها ، فقد كثر القتل والخطف . واحرقت الفنادق والمحلات الكبيرة . فانتقلت بالأسرة الى قرية (بعل شميه) لنكون في منأى عن الحوادث ! !

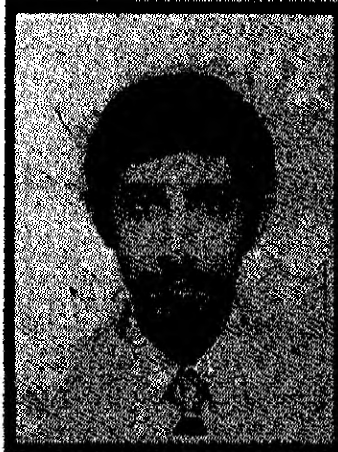
وفي مساء يوم الاثنين — ٢٥ رمضان سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥/٩/٢٩ م) سمعت أم محمد آخر صوت لابنها بواسطة الهاتف : (سنصل غدا الثلاثاء الساعة الخامسة صباحاً) .

لقد هدأت النفوس تلك الليلة بعد سماع الجملة المألوفة في الاذاعة (الطرق سالكة وآمنة) مع أن دوي المدافع وأصوات الانفجارات تصم الآذان .

ما أطولها من ليلة : ان طريق المطار من الجبل — طريق عرمون — لا يزال آمنا ولكن لا بد من المرور بالبيت في بيروت اذ السيارة هناك ، والطريق العام — طريق الحازمية — قد كثر فيه القتل والخطف ، ولكن الله سلم .



● الشيخ عبد القادر ممسكا بابنه محمد، وقد ظهر على يمينه الشيخ ناصر المقرن [illegible] في بريطانيا ●





وها هو سائق سيارة الجيران الذين سيذهبون لاستقبال ابنهم يتصل بالمطار للتثبت من وقت وصول الطائرة .

ما الأمر؟ انه يهمس في أذن أحد الواقفين بجواره ، فيفتح فاه شاهقاً : (لأ . لأ) ثم يتواصل الهمس بين أفراد أسرة (آل دندن) ولا يقطعه سوى شهيق أم جميل ، ثم ارتفاع نحيبها ! ! (ما الخبر يا محمد شمس ، لا تخف علي شيئاً) ! الطائرة احترقت وسقطت في البحر — ثم يضيف وقد رأى ما عراني من شدة الاضطراب بحيث لم أطق الوقوف — فيقول : محمد تخلف عن رفقائه الذين سقطت بهم الطائرة . (أنا لست طفلا . قل لي الحقيقة) ! ! تعال الى (السفارة) — وكانت بجوار البيت — فعندها الخبر فالطائرة من طائراتها ، وتستطيع معرفة اسماء راكبيها .

وها هي عاملة الهاتف بعد ان تتصل بمكتب شركة الطيران وتشاهد ما انا عليه من اضطراب توجه الي الكلام . (ولو ! ! ما تصدقني ، ابنك ما هو في الطائرة) ! ! ولقد صدقت . فابني تلك الساعة جثة هامدة في البحر ، وليس في الطائرة !

إنني لا أزال بين اليأس والرجاء ، لا أصدق ما حدث على حد قول المتنبي :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر
فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

لقد طغى الحزن على كل أهل البيت . فقد تحققوا فقدان عزيزهم ، ونشرت الصحف في اليوم الثاني (٢٧ رمضان) الأسماء ومن بينها (محمد بن حمد الجاسر) وذهب «معن» لمحاولة معرفة جثة أخيه بين الجثث المحترقة ، التي أخرجت من البحر ، وعرضت في (الكرنتينة) ولكنه عاد بدونها بعد أن كاد يسقط بينها من شدة التأثر؟؟

أما أنا فقد استولى الأسى على جميع مشاعري فترة من الزمن . بحيث كنت أحس أنني في عالم غير العالم الذي أعيش فيه .

ولقد كنت أتوقع في كل لحظة أن أرى محمدا واقفا أمامي ، وكثيراً ما كنت أتخيل انني أسمع صدى كلمته التي كان يرددها حين يراني بحاجة الى إدخال السرور على نفسي (أبي . أبي) ثم يسترسل في الحديث .

لم أبك ، ويا ليتني أطقت البكاء . لأخفف به من وقع المصيبة في نفسي ، وكنت حين أرعوي أردد قول الشاعر مع تحويره :

بكيتك يا (علي) بدمع (قلبي)
فلم يغن البكاء عليك شيا !!
وكانت في حياتك لي عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حياً !!

وقد يعتريني من زفرات الحزن ما يملأ صدري فيطغي عليَّ الشهيق بدون ارادة ، فأحس بعد ذلك بالراحة ، وليس هذا الأمر متوقفاً على هذه الحالة ، فقد يحدث لي عند مشاهدة أية حادثة مؤثرة . ولو كانت خيالا في (مسرح) أو (سينما) .

وها أنا الآن — بعد مرور خمس سنوات وستة شهور تنقص عشر أيام بعد فقد محمد — أصبحت أشعر بالعزاء يغمر فؤادي ، وبطمأنينة اليقين تسيطر على جميع مشاعري .

وحين ينتابني من بواعث الذكريات ما يهيج الأسى أغالبه — ما استطعت — بالرجوع الى عقلي .

لقد مضى محمودا مرضيا عنه ، وفاز بالشهادة محترقاً غريقاً ، ورأيته في المنام مرارا ، مستبشراً مسروراً ، فأيقنت — وما كنت شاكاً يوماً ما — بأن الله اختار له الخير ، فلماذا الأسى والحزن ، وهما لا يجديان ، والأمر لله ، من قبل ومن بعد ؟؟

لقد كنت كثير التأسي بتعزية متمم بن نويرة للفاروق . وقد قال له : ليتني كنت شاعراً لأرثي أخي زيدا كما رثيت أخاك مالكاً !! فأجابه : لو مات أخي كما مات أخوك ما حزنت لموته !! فقال عمر : ما عزاني احد كما عزيتني ! وكان أخوه زيد استشهد في وقعة (عقرباء) بقرب موقع بلدة (الجبيلة) الآن !

ان «معنا» أخا محمد قد بلغ الآن مبلغ الرجال ، ونيطت به بعد الله الامال .

وهو وأخواته الأربع قد ملأوا من قلبي ما تركه أخوهم فارغا ، ملأوه بالطاعة ، وبحسن الرعاية ، لا بإثارة الاحزان ، كولدتي ابن الرومي :

أرى أخويك الباقِيَين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند

لقى طغى التشاؤم على نفس ابن الرومي ، واستولى اليأس على جميع مشاعره ، حتى أودى بحياته ! !

إنني حين أشاهد سبطي (صبا نجد) و(محمد) يلعبان أمامي لا أرى في لعبهما ما رآه ذلك الشاعر المتشائم في ولديه :

إذا لعبا في ملعب لك لذعا
فؤادي بمثل النار في غير ما عمد

بل يغمران قلبي سروراً بحيث أترك ما بين يدي من عمل ، لأشاركهما في لعبهما ، فأحس بالراحة طوال وجودهما أمامي ، وإن كان في عبثهما بأوراقي وكتبي ما يسبب لي تعباً ، ولكن على حد المثل : (تعبك راحة) ! ! !

وبعد : فأراني قد أمللت حين أطلت في غير محل الاطالة ، وماذا يعني القاريء باتراح المرء الخاصة أو أفراحه ، ولكنني غير ملوم ، أكثر من أخي الأستاذ الكريم ، الذي حرك في نفسي شجنا لم أحاول يوماً ما التعبير عنه .

وسأعفيه — رعاه الله — من التطلع إلى معرفة ما تحويه (المكتبة المحترقة التي عز فقدها عندي على فقد ولدي) وأعفي الابن الكريم الأستاذ محمد الوعيل الذي أجرى معي الحديث من (اللذع) .

إنها — يا سيدي — لا تحوي من نفائس الكتب ونوادرها أكثر مما تحويه أية مكتبة خاصة ولكنها حوت جزءاً غير يسير من عصارة فكري طوال حياتي ، وتلك (العصارة) قد لا يهتم بها ولا يأسى لذهابها أحد سواي ، لأنني أرى بها امتداداً لبقائي في هذا الوجود .

كنت أسفه رأي (فلبي) حين قرأت وصيته لمن يريد قتله ، بأن يصون أوراقه ، وأن لا يفعل بها فعل ابن شميلان بأوراق (شارل هوبر) — كيف فضل صيانة أوراقه على صيانة حياته ! !

ولكنني أدركت — فيما بعد — ان موت المرء بموت أثره ، لا بذهاب عمره . فهل لا أزال جديراً باللوم !

حمد الجاسر

هذيل : فروعها ومنازلها

[جاءنا من الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني مقال مطول عن قبيلة هذيل حذفنا منه ما يتعلق بالأحلاف أو الأصول القديمة ، وها هو ملخصه] .

المسودة وفروعهم :

١ ـــ القرح وعدد فروعها آل محسن وآل ساري وآل كامل وآل دعيج .
٢ ـــ الندوية .
٣ ـــ بنو صبح .
٤ ـــ زليفة وهم يسكنون الشُريف وزليفة ابن صاهلة ابن كاهل ابن تميم .
٥ ـــ آل زيد بضواحي الطائف .
٦ ـــ بنو خالد .
٧ ـــ الطلحات .
٨ ـــ آل جاهل ويقال لهم الكباكبة وهم الآن مع ثقيف ترعة .
٩ ـــ السوالمة ومنهم آل فرج والبقلة ... الخ .
١٠ ـــ آل زيدان ويقطنون بالضحياء .
١١ ـــ الجوابرة ويقطنون وادي رهجان وعرعر .
١٢ ـــ بنو ياس ويسكنون الضيقة .
١٣ ـــ السراونة ويقال لهم الرمدا ويسكنون وادي نعمان .
١٤ ـــ محيا ويسكنون المضيق .
١٥ ـــ نباتة .

السَّراونة :

وهم :—

آل عليه والمجاريش والظهران والمبالشة وآل حميد والسودة وآل حمود ويسكنون شداد هذه فروع من المسودة .

ومن هذيل :

١ — آل خالد ومنهم آل عاطف وآل راشد وآل صالح ويسكنون الشفا .

٢ — الطلحات ومنهم آل مناع وآل منيف وآل عاصب وآل حميدان والبقلة وآل زيد وجميعهم يسكنون الشفا .

٣ — آل فضل وهم الآن يسكنون بأطراف جبل كبكب من الشمال والغرب والجنوب .

وينقسمون إلى ثلاثة أقسام وهم آل محسن والمشابعة وآل دابس .

٤ — السهمة ويسكنون بشعب مدفار في جبل كبكب وأصلهم من ذرية معاوية ابن تميم ابن سعد ابن هذيل ابن مدركة .

٥ — السبعان ويسكنون ضلعة بجبل كبكب في الطرف الجنوبي وأصلهم من خزاعة دخلوا في هذيل وسبب ذلك أن بني لحيان قتلوا حاطم بن جابر وكان جاراً لأبي جندب الهذلي وكان أبو جندب مريضاً وبعد أن شفي طَلَبَ من قومه آل معاوية أن يطالبوا ثأر الخزاعي وزوجته اللذين قُتِلا ولكن لم يفعلوا فتركهم وذهب إلى البيت ثم طاف به وبعد الطواف شقّ ثوبه وصاح في الخلعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بني لحيان وطلب منهم النّصرة فخرجوا معه حتى صبح بهم بني لحيان فقتل منهم وأخذ بثأر جاره الخزاعي الكعبي وقاتل جاره الخزاعي هو الأغر اللّحياني ومن ذلك الوقت دخل بنو كعب في هذيل .

ومنهم السبعان والكعوب اللذين يقطنون بعرفه .

ومن هذيل بنو عمير ويسكنون وادي الزبارة .

٦ ـــ آل جابر وهم من بني قرد وهو عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن مدركة سموا بهذا الاسم لإن جدهم عمرو ابن معاوبة قتل قِرْداً والعرب يعيبون ذلك ويسكنون شعب مدفار في الطرف الشمالي الشرقي من جبل كبكب .

٧ ـــ الجلاجلة وأصلهم من خزاعة نسبة إلى جدهم جلجلة ابن عمرو الخزاعي ودخلوا مع بني هذيل بن معاوية ويسكنون وادي الشرّا شمال وادي نعمان .

٨ ـــ الحوازم وأصلهم من حوازم حرب من أهل وادي الصفراء ويسكنون الآن جنوب كبكب في برقة والنمر ووسيق .

٩ ـــ المشاعلة ويسكنون في النقرة جنوب كبكب بوادي نعمان وأصلهم من آل حميدان من قحطان أهل تثليث في خميس مشيط .

١٠ ـــ القمشان ويسكنون بضلعه بوادي نعمان وأصلهم من مطير أهل الحرّة ، ولهم في ذلك رجز يطول ذكره .

١١ ـــ آل مناع وهم ذرية منيعة ابن كاهل ابن سعد ابن هذيل ويسكنون وادي نعمان .

هذيـل آل جميـل :

١ ـــ دَعْد وفروعهم : الصيان وآل يعلا والذيبة والحسنان والضبّان والزمكان وتسكن قبيلة دعد في واديَيْ ملكان وملك .

٢ ـــ الصلحان وفروعهم السواهرة والسعائد والزواهرة ومن الصلحان أيضاً بنو عقيل والضماين ينسبون إلى صخر الغيّ الشاعر المشهور المعروف هم والمطعان ويسكنون نخلة الشامية والزّيمة .

٣ ـــ الحتارشة ويسكنون وادي الصدر ومنهم الرياشا ويسكنون عرفة ووادي نعمان .

٤ ـــ بني مسعود من صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ويسكنون شمال الزيمة ولهم بلدان بوادي مر الظهران .

٥ ـــ المطارفة .

محمد جابر الحسني

هذيل : فروعها ومنازلها

[جاءنا من الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني مقال مطول عن قبيلة هذيل حذفنا منه ما يتعلق بالأحلاف أو الأصول القديمة ، وها هو ملخصه] .

المسودة وفروعهم :

١ ــ القرح وعدد فروعها آل محسن وآل ساري وآل كامل وآل دعيج .
٢ ــ الندوية .
٣ ــ بنو صبح .
٤ ــ زليفة وهم يسكنون الشُريف وزليفة ابن صاهلة ابن كاهل ابن تميم .
٥ ــ آل زيد بضواحي الطائف .
٦ ــ بنو خالد .
٧ ــ الطلحات .
٨ ــ آل جاهل ويقال لهم الكباكبة وهم الآن مع ثقيف ترعة .
٩ ــ السوالمة ومنهم آل فرج والبقلة ... الخ .
١٠ ــ آل زيدان ويقطنون بالضحياء .
١١ ــ الجوابرة ويقطنون وادي رهجان وعرعر .
١٢ ــ بنو ياس ويسكنون الضيقة .
١٣ ــ السراونة ويقال لهم الرمدا ويسكنون وادي نعمان .
١٤ ــ محيا ويسكنون المضيق .
١٥ ــ نباتة .

السَّراونة :

وهم :—

آل عليه والمجاريش والظهران والمبالشة وآل حميد والسودة وآل حمود ويسكنون شداد هذه فروع من المسودة .

ومن هذيل :

١ — آل خالد ومنهم آل عاطف وآل راشد وآل صالح ويسكنون الشفا .

٢ — الطلحات ومنهم آل مناع وآل منيف وآل عاصب وآل حميدان والبقلة وآل زيد وجميعهم يسكنون الشفا .

٣ — آل فضل وهم الآن يسكنون بأطراف جبل كبكب من الشمال والغرب والجنوب .

وينقسمون إلى ثلاثة أقسام وهم آل محسن والمشابعة وآل دابس .

٤ — السهمة ويسكنون بشعب مدفار في جبل كبكب وأصلهم من ذرية معاوية ابن تميم ابن سعد ابن هذيل ابن مدركة .

٥ — السبعان ويسكنون ضلعة بجبل كبكب في الطرف الجنوبي وأصلهم من خزاعة دخلوا في هذيل وسبب ذلك أن بني لحيان قتلوا حاطم بن جابر وكان جاراً لأبي جندب الهذلي وكان أبو جندب مريضاً وبعد أن شفي طَلَبَ من قومه آل معاوية أن يطالبوا ثأر الخزاعي وزوجته اللذين قُتِلا ولكن لم يفعلوا فتركهم وذهب إلى البيت ثم طاف به وبعد الطواف شقّ ثوبه وصاح في الخلعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بني لحيان وطلب منهم النّصرة فخرجوا معه حتى صبح بهم بني لحيان فقتل منهم وأخذ بثأر جاره الخزاعي الكعبي وقاتل جاره الخزاعي هو الأغر اللّحياني ومن ذلك الوقت دخل بنو كعب في هذيل .

ومنهم السبعان والكعوب اللذين يقطنون بعرفه .

ومن هذيل بنو عمير ويسكنون وادي الزبارة .

٦ — آل جابر وهم من بني قرد وهو عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن مدركة سموا بهذا الاسم لإن جدهم عمرو ابن معاوبة قتل قِرْداً والعرب يعيبون ذلك ويسكنون شعب مدفار في الطرف الشمالي الشرقي من جبل كبكب .

٧ — الجلاجلة وأصلهم من خزاعة نسبة إلى جدهم جلجلة ابن عمرو الخزاعي ودخلوا مع بني هذيل بن معاوية ويسكنون وادي الشرًّا شمال وادي نعمان .

٨ — الحوازم وأصلهم من حوازم حرب من أهل وادي الصفراء ويسكنون الآن جنوب كبكب في برقة والنمر ووسيق .

٩ — المشاعلة ويسكنون في النقرة جنوب كبكب بوادي نعمان وأصلهم من آل حميدان من قحطان أهل تثليث في خميس مشيط .

١٠ — القمشان ويسكنون بضلعه بوادي نعمان وأصلهم من مطير أهل الحرّة ، ولهم في ذلك رجز يطول ذكره .

١١ — آل مناع وهم ذرية منيعة ابن كاهل ابن سعد ابن هذيل ويسكنون وادي نعمان .

هذيـل آل جميـل :

١ — دَعْد وفروعهم : الصمان وآل يعلا والذيبة والحسنان والضبّان والزمكان وتسكن قبيلة دعد في واديَيْ ملكان وملك.

٢ — الصلحان وفروعهم السواهرة والسعائد والزواهرة ومن الصلحان أيضاً بنو عقيل والضماين ينسبون إلى صخر الغيّ الشاعر المشهور المعروف هم والمطعان ويسكنون نخلة الشامية والزّيمة.

٣ — الحتارشة ويسكنون وادي الصدر ومنهم الرياشا ويسكنون عرفة ووادي نعمان.

٤ — بني مسعود من صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ويسكنون شمال الزيمة ولهم بلدان بوادي مر الظهران.

٥ — المطارفة .

محمد جابر الحسني

ما اتَّفق لفظُهُ وافترقَ مُسَمَّاهُ من أسماءِ الأمكنةِ

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ٨ —

١٦٩ — بَابُ جبُّل وَجبَلٍ وَجِيْلٍ وحَبْلٍ وَحُبَلٍ وخَيْلٍ وخُتَّل (١)

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْد الجيم المفتوحَة بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَضْمومَةٌ مُشدَّدَةٌ — : بُلَيْدَةٌ قُرب واسِطِ الْعِرَاقِ عَلَى دِجْلَةَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُم أبو عِمْرانَ مُوسَى بْنُ إسْمَاعِيْل الْجبُّليُّ رَفِيْقُ يَحْيَى بْنِ مَعِيْنٍ ، حَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ خَثْعَمٍ الْيَمَامِيِّ وحَفْص بْنِ سَالِمٍ وغَيْرِهِما(٢) .

---

(١) هذا الباب عند نصر في حرف الخاء : (باب الحَبْل ، والحَيْل والحُبَل ، والخَيْل والخَتل وجبُّل ، وجَيْل) .

(٢) لم يزد نصر في تعريف جبُّل على القول : (بفتح الجيم وضم الباء الموحَّدة المشدَّدة : قرية من سواد العراق ، بين واسط ومدينة السلام .

وقال ياقوت في «معجم البلدان» : جَبُّلٌ : بُلَيْدَة بين النُّعمانية وواسط في الجانب الشرقي كانتْ مدينةً ، وأما الآن ، فإني رأيتها مرارا ، وهي قرية كبيرة ، وإياها عنى البُحتريُّ بقوله :

حَنَانَيْكَ من هولِ البطائحِ سائراً ... على خَطَرٍ ، والرِّيحُ هَوْلٌ دَبُورُها
لَئِنْ أوحَشَتْني جَبُّلٌ وخصَاصُها ... لَمَا آنَسَتْني واسِطٌ وقُصُورُهَا

وأمَّا الثَّاني — بِفَتْحِ الجِيْمِ وَالْبَاءِ المُوَحَّدَةِ — : جَبَلُ الْفِضَّةِ مَوْضِعٌ يُنْسَبُ إليه أَبو إِسْحَاق إبْراهيمُ بْنُ الشَّاذِ بْنِ مُحَمَّدٍ الجَبَليُّ ، سَكَنَ هَرَاةَ وحَدَّثَ بِهَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَن السَّامِي الْهَرَوِيِّ ، ومُحَمَّدِ بْن إِسْحَاق بْنِ خُزَيْمَة وغَيْرِهما[1] .

وأمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلَهُ جِيْمٌ مكْسُورَةٌ ، ثَم يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ — : اسْمٌ لِجَيْلاَن نَاحِيَةٌ كَبِيْرَةٌ في بِلاَدِ الْعَجَم ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ ، منهُم أَبو عَليٌّ كُوشيار الْجِيْلِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَرْجَةَ النَّهَاوَنْدِيِّ وغَيْرِهُ .

وقِيْلَ : إذَا قِيْلَ : جِيْلانيٌّ فَهُوَ نِسْبَةٌ إلى البِلاَدِ ، وإذَا قِيْلَ : جِيْليٌّ نِسْبَةٌ إلى الْقَوم الَّذِيْنَ سَكَنُوا هٰذِهِ الْبِلاَدِ[2] .

وأَيْضاً : قَرْيَةٌ مِنْ أعْمَالِ مَدِيْنَة السَّلام ، دُوْنَ المدائِن ، ويقال : بِالْكَافِ بَدَل

وبقاضيها يُضرب المَثَلُ ، وكان من حديثه أنَّ المأمون كانَ راكباً يوماً في سفينة ، يُريد واسِطاً ، ومعه القاضي يحيى بن أكثم فرأى رجلاً على شاطىء دِجْلَه ، يَعْدُو ، مُقابل السَّفينة ، ويُنادي بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ، نِعْم القاضي قاضينا ، نِعْم القاضي قاضي جَبُّل ، فضحك القاضي يحيى بن أكثم ، فقال له المأمون : ما يُضحكك ؟ قال : يا أمير المؤمنين هذا المُنادي هو قاضي جَبُّل يثني على نفسه . فضحك منه ، وأمر له بشيء ، وعزله وقال : لا يجوز أن يلي المسلمين من هذا عَقْله — ثم ذكر المنسوبين إليها ، وفي مطبوعة «المعجم اليماني» — بدل اليمامي .

وزاد ياقوت في المنسوبين إلى اجَبُّلَ — : قال : (وأبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الجَبُّليُّ الشاعر ، كان من المجيدين ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعرِّي مُشاعرةٌ ، وفيه قال أبو العلاء قَصِيْدته :

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلَّتِي واعتقادي نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّمُ شادي

ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربع مئة) . انتهى .

(١) لم يذكر نَصْرٌ — في الباب — جبل الفِضَّة . ولم يزد ياقوت على ما ذكر الحازمي سوى قوله — بعد كلمة (خزيمة) : وذكره الخطيب ، وأظُنُّ هذا الجَبَل هو جبل بَنْجهير ، وتقدم ذكره . وذكر (بنجهير) في حرف الباء قائلاً : (بَنْجهير — الهاء مكسورة وياء ساكنة وراء — مدينة بنواحي بَلْخ ، فيها جبل الفضة ، وأهلها أخلاط — ثم وصف كثرة الفضة في أعلى جبل مشرف على البلدة ، وطريقة استخراجها .

(٢) جِيْلُ — لم يذكر الاسم نَصْرٌ — وذكر ياقوت كل ما جاء في كتاب الحازمي غير منسوب ، وسَمَّى كوشيار بن ليااليروز) وذكر أن ابن ماكولا رَوَى عنه ، وكل ما ذكر في كتاب «الأنساب» للسمعاني ج ٣ ص ٤٦٢ .

الجِيْم — يُنْسَبُ إِلَيْهَا أبو الْعِزِّ ثَابِتُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْمُبَارَكِ الجِيْلِيُّ من أَهْلِ الْقُرآنِ ، وسَمِعَ الحديثَ الْكَثِيرَ ، مُتَأَخِّرٌ .

وقال بعْضُهُمْ : اسْمُ الْقَرْيَةِ جالَ — بالألف — وتُمَال[1] .

وأمَّا الرَّابعُ — أَوَّلُهُ حَآء مُهْمَلَةٌ بَعْدَهَا بَآءٌ مُوحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ — : حَبْلُ عَرَفَة عِنْدَ عَرَفات[2] .

وأمَّا الْخَامِس — أَوَّلَهُ حآءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومةٌ بَعْدَها بَآءٌ موحَّدَةٌ مفْتُوحَة : مَوْضِعٌ بِالْيَمامةِ .

وفي حَدِيْثِ سِرَاجِ بْنِ مُجَّاعَةَ بْنِ مُرَارَةَ بْن سُلْمِيٍّ عن أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ قال : أَتَيْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَقْطَعَنِي الْفُورَةَ وغُرابَةَ وَالحُبْلَ .

وبَيْنَ الْحُبَل وَحَجْرٍ خَمْسَةُ فَرَاسِخ .

وقالَ الأَزْهَرِيُّ : حُبَلُ مَوْضِعٌ في شعر لَبِيد :

---

(١) قال ياقوت في تعريف الجيل : والجِيْلُ أيضاً قرية من أعمال بغداد ، تحت المدائن ، بعد زرارين ، يسمونها الكيل ، وقد سماها ابن الحجَّاج الكال فقال :

لَـعَنَ الله لَـيْـلَتِي بـالـكـالِ إِنَّـهـا لَـيْـلَـةٌ تَـمُـرُّ الـلَّـيـالي

كأنه ظَنَّ أنَّها مُمَالَة — واطال ياقوت الحديث عن ثابت بن منصور ، ولم يؤرخ زمانه ، ولكنه ذكر من شيوخه ومن تلاميذه من يحدد الزمن .

(٢) قال نَصْر عن الحَبْل — بفتح الحاء وسكون الباء الموحدة : عرفة (؟) مَرَّةً يقولون الحَبْل ، ومَرَّة حَبْل عَرَفة ، وأيضاً بالبصرة ، على شاطىء الفيض ، مُمتدٌّ معه ، وفي عدة مواضع . انتهى .
وذكر ياقوت : الحبل الرمل المستطيل ، وحَبْل عرفة عند عرفات . قال أبو ذُؤَيب الهُذليُّ :

فَـرَوَّحَـهَـا عـنـد المجاز عَشِيَّـةً تـبـادُر أولى السَّابقات الى الحَبْل

وقال : والحبل أيضاً : موضع بالبصرة على شاطيء الفيض ، مُمتدٌّ منه . وتحدَّث عن الفيض في موضعه . أما حبل عرَفَة فلا يزال معروفاً ، وهو حَبْلُ رَملٍ مُمتدٌّ من جَبَل عرَفة نحو الجنوب يقف عليه الحجاج يوم عرفة .

فَبِخِنْزِيْر فَأَطْرَافِ الْحُبَلْ(١)

وأَمَّا السَّادِسُ — أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ ثُمَّ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان — : بَقِيْعُ الْخَيْل

---

(١) المواضع التي أقطعها الرسول صلى الله عليه وسلم مجّاعة بن مُرارة وردت أسماؤها في كثير من كتب المتقدمين محرفة — بصور مختلفة مثل (الغورة — الفورة ، غرابة ، عوانة) إلى صور أخرى ، وقارات الحُبَل لا تعرف الآن ، ولكن كل المواضع بقرب حَجْرٍ ، قاعدة اليمامة قديماً ، التي قامت مدينة الرياض مكانها .

وترجمة مُجّاعة في «الاصابة» رقم ٧٧٢٢ — مطولة — وهو المُقطَع . واسم هلال — الراوي — سقط من كتاب الحازمي ومن «معجم البلدان» ولا يستقيم الكلام بدون ذكره ، إذ جَدُّهُ المُقطَع هو مُجّاعة ، وليس مُرارة ، وخبر الاقطاع أورده الأزهري وغيره بهذا النص «تهذيب اللغة» ج ١٠ ص ١٢ وما بعدها

وجدتنا محمد بن اسحاق ، قال : حدثنا يعقوب الدورقي ، قال : حدثنا الحارث بن مرارة الحنفي ، قال : حدثنا المأمور بن سراج بن مجّاعة ، وطريف بن سلامة بن نوح بن مجاعة والأفواق بنت الأغرّ أن مجاعة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائلهم :

ومــجّـــاعُ اليمامـــة قـــد أتـــانـــا   يخبرنـــا بما قـــال الـــرسول
فـأعـطـيـنـا المقادة واستـقـمـنـا   وكـــان المرء يـســمــع مـا يـقـول

فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب له بذلك كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجّاعة بن مرارة بن سُلمي : إنّي أقطعتك الفورة وعَوانة من العرمة والحبل فمن حاجك فاليّ .

قال : فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد على أبي بكر فأقطعه الخِضرِمة ثم وفد على عمر فأقطعه الربا بالحجر .

ثم إن هلال بن سراج بن مجاعة وفد إلى عمر بن عبد العزيز بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما استُخلف فأخذه عمر فقبَّله ووضعه على عينيه ومسح يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فَسَمَر عنده هلالٌ ليلةً فقال له يا هلال : أبقيَ من كهول بني مجّاعة أحدٌ ؟ قال نعم وشكيرٌ كثير . فضحك عمر وقال : كلمةٌ عربيةٌ ، قال فقال جلساؤه : وما الشَّكير يا أمير المؤمنين ؟

قال : ألم تر إلى الزرع إذا زكا فأخرجَ فنبت في أصوله فذلكم الشكيرِ ، ثم أجازه وأعطاه وأكرمه وأعطاه في فرائضِ العيال ، والمقاتلة . قلت أراد بقوله : وشكير كثير أي ذرية صغار شبّههم بشكير الزرع وهو ما نبت منه صغاراً في أصوله .

وتحديد المسافة بين حَجْرٍ وبين الحُبَل بخمسة فراسخ (الفرسخ ٣ أميال = ١٥ ميلاً نحو ٣٠ كيلاً) ذكره كثير من المتقدمين كصاحب كتاب «بلاد العرب» وغيره وجاء في كتاب نصر : — عن الحبل — (بضم الحاء وفتح

←

مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ دار زَيْدِ بْنِ ثابِت[1] .

وأَيْضاً : جَبَلٌ قُرْبَ الْمَدِينَةِ ، بَيْنَ مُجَنَّبٍ وصِرَارٍ ، لَهُ ذِكْرٌ في المغازي[2] .

ورَوْضَةُ الْخَيْلِ نَجْدِيَّة[3] .

وأمَّا السَّابع — أَوَّلُهُ خاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمومةٌ بَعْدَها تاءٌ فوقَها نُقْطَتَانِ مُشَدَّدةٌ مَضْمُومةٌ أَيْضاً — : صُقْعٌ فِي بِلَادِ الشَّرْق يُنْسَبُ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُوَاةِ الحَدِيْثِ ، وَغَيْرِهُمْ مِنْهُم

← الباء الموحدة : من أرض اليمامة ، روى أبو عُبَيْد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع مُجَّاعة بن مُرارة بن سلمى الغورة ، وغرابة ، والحُبَل ، وبين الحُبَل وحَجْرٍ نحو خمسة فراسخ) وهذا في كتاب «الأموال» لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام .

وللتوسع في خبر الاقطاع وتحديد مواضعه يحسن الرجوع إلى كتابي «القطائع النبوية» .

والحُبَل الوارد في شعر لَبِيْدٍ هو الوارد في خبر الاقطاع ، وخِنْزِيرُ حدَّده الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص ٢٨٠ طبع دار اليمامة — بما نصُّهُ : (ففرع السُّليّ من دون قارات الحُبَل من عن يمين حَجْرٍ ، من قَصْدِ مطلع الشمس ، يَلُبُّ خنْزير بينه وبين بُرْقَةِ السَّخَّالِ ، فيه الحفير العليا ، والحَفِيرة السُّفْلى ، وهُمَا ماءان دِفانانِ ، وفي وسط السُّلَيّ من تَحْتِ خِنْزِيرٍ هِيتُ النَّجْدِيَة . انتهى . وإذَنْ فخنزير هو الجبل الممتد شرق السُّلَيِّ الذي يقع فيه هيتٌ ، الذي يعرف أحد أنوفه باسم (خَشْم العان) .

(١) زاد نِصْرٌ عن بقيع الخيل : دُفِنَ به عامَّةُ قَتْلَى أُحُدٍ ، وأَظُنُّهُ بقيع (الْغَرْقَدِ) كذا قال وأراه أخطأ ، فشهداء أُحُد دفنوا بقرب جبل أحد بينه وبين المدينة حيث قُتِلُوا ، ولا يزال موضع دفنهم معروفاً . وبقيع الغرقد هو مقبرة المدينة المعروفة الآن ، وهو غير بقيع الخيل الذي كان موقعه داخل المدينة بقرب دار زيد بن ثابت ، ولتحديد موقع الموضعين يحسن الرجوع إلى كتاب «وفاء الوفاء» للسمهودي ، وقد تغيرت أسماء المواضع التي داخل المدينة بتغيُّر العمران في كل زمان .

(٢) كلام نصر : جبل بالمدينة إلى آخر التعريف وقال نصر عن صرار في باب (الصاد) : ماء قرب المدينة محتفر جاهلي على سَمْتِ العراق ، وقيل أطم لبني عبد الأشهل ، وحدد ياقوت والفيروز آبادي موقع صرار : بأنه على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، من ناحية الحرَّة .

أما مُجنَّب فقد ذكر ياقوت أنه اسم بئر وأرض بالمدينة من ناحية طريق العراق .

(٣) لم يزد نَصْرٌ في تعريف روضة الخيل على ما ذكر الحازمي ، ولكنَّ ياقوتاً — طيَّبَ الله ثراه — قال في «معجم البلدان» : روضة الخيل لبني يربوع ، قال أبو عمرو بن العلاء ، المنجشانية على ستة أيام (كذا) من البصرة ، وفوق ذلك روضة الخيل ، كانت مِهَارَةُ قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني — ذي الجدَّين ، صاحب مَسْلَحَةِ كِسْرَى على الطَّفِّ — تَرْعَى فيها . قال الشَّمَرْدل بن شَرِيكٍ اليربوعي :

دَار الْجَميع بِرَوْضَةِ الْخَيْلِ اسْلَمِي   وسُقِيتِ من بَحْرِ السَّحَابِ مَطِيْرا

وكلمة (ستة أيام) صوابها (ستة أميال) كما نقل ياقوت كلام أبي عمرو بن العلاء في رَسم (المنجشانية) وكما ورد تحديد هذا الموضع في كتاب «المناسك» .

وَإذَنْ : فروضة الْخَيْل تلك ليست معدودة من بلاد نجْدٍ ، فهي في أحواز العراق ، بقرب البصرة .

عَبَّادُ بْنُ مُوسى الخُتَّلِيُّ وابْنُه إسحاق بْنُ عَبَّادٍ(١) .

١٧٠ — بَابُ جُبَيْلٍ وَجَبْتَل وَحَنْبَلٍ(٢)

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الجِيْمِ الْمَضْمومةِ باء مُوحَّدَةٌ مفتوحَةٌ ، ثم ياءٌ ساكِنة تَحْتَها نُقْطَتان — : منْ مُدُنِ الْعَواصِم ، عِنْدَ بَيْروتَ مِنْ فُتُوحِ يَزِيْد بْن أَبي سُفْيان ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو سَعِيْدٍ الجُبَيْلِيُّ يَرْوي عَنْ أَبي زِيَادٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دَاوُد ، رَوَى عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ ، وغيره نَفَرٌ(٣) .

وأَيْضاً : جَبَلٌ أَحْمَرُ مِنْ أَخْيِلَةِ حِمَى فَيْدَ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَيْدَ سِتَّة عَشَر مِيْلاً ، وَلَيْس بَيْنَ الكُوفَةِ وَفَيْد جَبَلٌ غَيْرُهُ(٤) .

---

(١) قال نصرٌ عن خُتَّل : صُقْعٌ واسع بخراسان وقال ياقوت : خُتَّل كورة واسعة كثيرة المدن ، خلف جيحون — وراء النهر — وأطال الكلام ، وذكر المنسوبين إلى خُتَّلٍ وقبله السمعاني في «الأنساب» .

(٢) هذا البابُ في كتاب نَصْرٍ في حرف الحاء : (باب حَنْبَلٍ وخَتْلٍ وجُبَيْلٍ وجَبْتَلٍ) .

(٣) عن جُبَيْل قال نصر : — وبضم الجيم وفتح الباء الموحدة وياء ساكنة — : جبل أَحْمَرَ عظيم ، من أَخْيِلَة حِمَى فَيْد ، ليس بين الكوفة وفَيْد جبل غيره ، بينه وبين فَيْد ستة عشر ميلاً ، وأيضاً : بين المشلّل بالمدينة والبحر وأيضاً مدينة بالشام عند بيروت من فتوح يزيد بن أبي سفيان ، وجُبَيلُ بأنِ جبل بين أفاعية والمسلح ، ينبت البان ، وهو صَلْدٌ أَصَمُّ . انتهى كلام نصر . وقد أورد ياقوت كلام نصر غير منسوب ولكنه قال : وجُبَيْلٌ أيضاً موضع بين المُشَلَّل — من أعمال المدينة والبحر — وهذه الجملة أوضح من كلام نَصْرٍ ، فالمُشلَّل ليس في المدينة ، ولا من أعمالها أيضاً — بل من أعمال مكة ، إذ هو الجبل الذي فيه الثنية التي ينزل منها على قُدَيد .

أما جُبَيْل التي عند بيروت ، فلا تزال معروفة ، وتقع بين مدينة بيروت وبين طرابلس وقد أطال ياقوت الحديث عنها ، وذكر كثيرا ممن ينسب إليها .

كما ذكر ياقوت مواضع يطلق عليها اسم الجبيل أخرى منها :

الْجُبَيْل : ماء لبني زيد بن عُبَيْد بن ثعلبة الحنفيين ، باليمامة . ولا أستبعد الصلة بين الْجُبَيْل هذا وبين الجُبَيْلَة التي أصبحت الآن قرية ، فهي في بلاد بني حنيفة ، وقد سُمِّيت العُيَيْنُ التي من بلادهم أيضاً بقرب الجبيلة — الْعُيَيْنَةَ الآن .

(٤) وأما الذي من أخيلة الحِمَى ، فقد ذكره الهجريُّ بقوله — فيما ورد من كلامه في «معجم ما استعجم» غير منسوب — في الكلام على حمى فيد : (وأول أجبله على ظهر طريق الكوفة بين الأجْفُر وفيد — جُبَيل عُنَيْزَة ، وهو في شَقِّ بني سعد بن ثعلبة . أما السمهودي في «وفاء الوفاء» الذي صَرَّح بالنقل عن الهجريِّ فأورد العبارة هكذا : (جبل يقال له الجُبَيْلَ أحمر عظيم) إلخ .

←

وجُبَيْلُ بَانَ : جَبَلٌ بَيْنَ أُفَاعِيَةَ والْمَسْلح ، نَبَاتُهُ الْبَانُ(١) .

وأَمَّا الثَّاني — بَعْدَ الجِيْمِ الْمَفْتُوحَةِ بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ ثم تاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ، مَفْتُوحَةٌ — : مَوْضِعٌ بِالْيَمَن منْ دِيَارِ نَهْد ، لَهُ ذِكْرٌ في الشِّعْرِ(٢) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلَهُ حَآءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ ساكِنَةٌ ثُمَّ بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ مفتوحة — : رَوْضَةٌ في دِيَار تَمِيْمٍ(٣) .

← وزاد الهجريُّ موقع هذا الجبيل تحديداً بقوله : (وإلى جنبه ماءة يقال لها الكهفة) . ويرى المستشرق موزل في كتاب «شمال نجد» أنه جبل الوبرية ، ولكن هذا شرق فيد ، وتكاد الأوصاف تنطبق على الجبل الواقع شمال الكهفة بقربها ، المعروف الآن باسم (جبل الحُوَيْض) وطريق الحج الكوفي يَمُرُّ بقربه (يقع بقرب خط الطول ٤٢/٥٨ْ وخط العرض ٢٧/١٥ْ) وبقربه آثار بركة قديمة تدعى بركة الحُوَيض (وانظر هذا الاسم في كتاب «شمال المملكة» ص ٤٨٦ — .

(١) جُبَيْلُ بان : ذكره عرّام السلميُّ في كتابه «أسماء جبال تهامة وسكانها» — ص ٤٣٧ — نوادر المخطوطات ج٢ — بما نصّهُ — في كلامه على صُفَيْنة البلدة المعروفة الآن — وحذاؤها مياه أخرى يقال لها النُّجَيْر ، وبحذائها ماءةٌ يقال لها النّجارة .. وأسفل منها بصحراء مستوية عمودان طويلان ، لا يرقاهما أحد إلّا أن يكون طائراً ، يقال لأحدهما عمود البان — موضع — والآخر عمود السفح ، وهو من عن يمين الطريق المصعد من الكوفة ، على ميل من أُفيعية وأُفاعية هضبة كبيرة شامخة ، وإنّما اسم القرية ذو النَّخْل ، وهي مرحلة من مراحل الطريق ، وبها مِلْحٌ ، ويستعذب لها من النّجارة والنُّجَيْر . انتهى كلام عرّام وأراه أصل من ذكروا (جُبَيْل بان) ولكنّ عرّاما لم يَقُل انه ينبت البان ، بل ذكر أن البان اسم موضع ، وكيف يُنْبِتُ البان وهو — على ما وصف نَصْرٌ — صَلْدٌ أَصَمُّ .

(٢) جَبْتَلُ — قال نَصْرٌ : بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة تليها تاءٌ عليها نقطتان —: موضع باليمن من دِيَار نَهْدٍ . انتهى ولم يزد ياقوت على ما في كتاب الحازمي سوى قوله (علم مرتجل) فلم يورد شعراً . ولا أستبعد أن يكون الاسم مصحفاً . وبلاد نَهْد هي أودية تَثْلِيْث وطَرِيْب وأعالي بيشة — أي بلاد قحطان الآن ، جنوب شرق إمارة بلاد عسير .

(٣) حَنْبَلُ — لم يزد تعريف الحازمي هذا على ما في كتاب نَصْر . وزاد ياقوت : قال الفرزدق :

أعَرَفْتَ بَيْنَ رُوَيَّتَيْنِ وحَنْبَلٍ ... دِمَناً تَلُوحُ كأنَّها أسْطَارُ

ولم أعرف موقع هذه الروضة ، ولا أستبعد الصّلة بينها وبين الْحَنْبَليِّ الموضع المعروف قديماً وحديثاً بهذا الاسم ، وهو من بلاد بني تَميم ، بين الدهناء والصَّمَّان ، وفيه رياض ، وانظر عن تحديد موقعه كتاب «المنطقة الشرقية» من أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» أمّا حَنْتَلٌ — الوارد في كلام نَصْر — وعرَّفه بأنه موضع في ديار بني كلاب ، فلا يزال معروفاً بهذا الاسم» وهو وادٍ من أودية عالية نَجْدٍ — أُنظر عنه كتاب «عالية نجد» للأستاذ سعد بن جنيدل ، وهو من أقسام «المعجم الجغرافي» .

١٧١ — بَابُ جَبَلَة وَحَيْلَة(١)

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الجِيمِ المَفْتُوحَةِ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً — : عِدَّةُ مَوَاضِعَ(٢) .

مِنها جَبَلة الْحِجَازِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ عليٍّ الْجَبَلِيُّ الْحِجَازِيُّ المُقيم بِمَكَّةَ ، سمع الْحَدِيثْ ، وروَى(٣) .

---

(١) هذا من أبواب كتاب نصر في حرف الحاء .

(٢) عَرَّفَ نَصْرٌ جبلة بقوله : من بُلْدَان الثُّغُورِ الشاميَّة ، وأيضاً : جَبَلٌ بِضَرِيَّةَ ، ذُو شِعَابٍ . وقِيْلَ : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ ، قِبْلِيٌّ أُضاخ . انتهى .

(٣) قال ياقوت في «معجم البلدان» : وجبلة أيضاً موضع بالحجاز ، قال أبو بكر في «الفيصل» : منها أبو القاسم سليمان بن علي الجبليُّ الحجازيُّ ، المقيم بمكة ، حدث عن ابن عبد المؤمن وغيره . قال : والحسن بن علي بن أحمد ، أبو عليٍّ الجبلي — أظنُّه من جبلة الحجاز ، كان بالبصرة ، روى عن أبي خليفة الفضل بن الحُباب الجُمَحيِّ ، ومحمد بن عزرة الجوهري ، وبكر بن أحمد بن مقبل ، ومحمد بن يوسف العُصْفريِّ ، ومحمد بن عليِّ الناقد ، البصريين . روى عنه القاضي أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن حَبِيْبٍ الماوَرْدِيُّ وغَيره . انتهى كلام ياقوت .

وأبو بكر هو الحازمي ، و«الْفَيْصَلُ» من مؤلفاته — ذكرته في المقدمة . ويظهر أن الحازميَّ نقل عن كتاب «الاكمال» لابن ماكولا ، فالكلام فيه — ج٣ ص ٣٢٥ — وعنه نقل السمعاني في «الأنساب» ج٣ ص ١٩٢ .

وأورد ياقوت في كلامه على جبلة الشام ما نصه : قال أبو الفضل محمد بن طاهر : من جبلة هذه أبو القاسم سليمان بن علي الجبلي المقيم بمكة ، وهو من جبلة الشام . فهذا كما ترى نسبه الحازميُّ إلى جَبَلَة الحجاز ، ولم أر غيره ذكر بالحجاز موضعاً ينسب إليه يقال له جبلة والله أعلم . ثم قال بعد كلام طويل : وجبلة أيضاً قال أبو زيد : جبلة حِصْنٌ في آخر وادي السِّتَارَة ، بتهامة من ناحية ذَرَة — ثم أورد كلام عَرَّام — وقال : ولعلَّ الحازميَّ أرادَ جَبَلَة هذه . ثم ذكر جَبَلَة أيضاً : قرية لبني عامر بن عبد القيس ، بالبحرين . انتهى . وياقوت كثير التعقب على الحازميِّ ، وكثير النَّقد لكلامه . وفاته أنَّ ابن ماكولا نسب سليمان بن علي إلى جبلة الحجاز وهو قبل الحازمي بنحو قرن من الزمان .

وعدَّ صاحب كتاب «المناسك» — ص ٤١٤ جبلة من منابر المدينة فقال — ما ملخصه — المدينة تجبي على أربعة عشر منبرا : خيبر ، ثم وادي القرى ، ثم المروة ، ثم العيص ، ثم ينبع ، ثم الجار ، ثم الصفراء ، ثم ودَّان وقد خربت ، ثم الفُرْع عامرة ، ثم السائرتين بهما مِنبران ، ثم جَبَلَة ، أكثر أهلها الفرس ، ثم رُهَاط .

وأقدم نَصٍّ قرأته عن جبلة الحجاز ما جاء في رسالة عَرَّام السلمي «أسماء جبال تهامة» — ٤٠٨ من نوادر المخطوطات ج٢ — قال : ويزعمون أنَّ جبلة أوَّلُ قَرْيَةٍ اتُّخِذَتْ بتهامة ، وَبِجَبَلَةَ حصونٌ مُنْكَرَةٌ ، مَبْنِيَّةٌ بِالصَّخْر ، لا يرومها أَحَدٌ . وقال البشاري في «أحسن التقاسيم» — ص ٧٩ — طبعة ليدن سنة ١٩٠٧ — : ←

ومنها جَبَلَةُ : قَرْيَةٌ بِالشَّامِ منها يُوسُفُ بْنُ بَحْرٍ الجَبَلِيُّ سَمِعَ سُلَيْمَ بْنَ مَيْمُونٍ الخَواصَ ، وغَيْرَهُ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو الْمُعافَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيُّ الْجَبَلِيُّ[1] .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ — : بَلَدٌ بِالسَّرَاةِ كَانَ يَسْكُنُهُ حَيٌّ من العارِبَةِ الأُولى ، أَجْلَتْهُم عَنْهُ قَسْرُ بْنُ عَبْقَرِ بْنِ أَنْمارِ بْن إراش[2] .

١٧٢ — بَابُ جُبٌّ وَحُتٌّ وخَتٌّ[3]

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ الْجِيمِ المَضْمُومَةِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ — : مَاءٌ في دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ

← (جبلة كبيرة ، بها متاجر ، جَبَلَة عليها حِصْنٌ مَنِيعٌ ، يقال له الْمَهْدُ ، الجامِعُ خارِجَهُ انتهى .

ومَوْقِعُ جَبَلَةَ هذه لا يزال معروفاً ، في وادٍ يُدعى ظُفُر من روافد وادي قُدَيْدٍ ، في بلاد بني سُلَيْم وأضافها الهجريُّ إلى الفُرْعِ فقد روى في كتابه «النوادر والتعليقات» : عن شيخ من أهل جَبَلَةِ الفُرْعِ ، روى شعراً لحاتِم بن مُدْرِكٍ الْحَبَشي السُّلَمِيِّ — ص ٢٢٢ —

(١) أطال ياقوت الكلام على جبلة الشام ، ولا تزال هذه البلدة معروفة ، ولكن اسمها ينطق بإسكان الباء — وهي مدينة على ساحل البحر ، يَمُرُّ بها الطريقُ من طرابلس الشام إلى اللاذقية ، وفي هذه البلدة وُلد الشيخ عِزُّ الدين القسَّام ، المؤسس الأول للمقاومة الفلسطينية — أنظر مجلة «العرب» س ٦ ص ٢٦ — وانظر عن جبلة التي في البحرين كتاب «المنطقة الشرقية» .

وأما جبلة الجبلِ الذي ذكر نَصْرٌ ، فهو من أشهر جبال نَجْدٍ المعروفة ، وهو خارج حِمَى ضَرِيَّة ، ويقع جنوبَ أُضاخ ، بِقُربه ، وقد أطال ياقوت الكلام عليه — وانظر كتاب «عالية نجد» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(٢) قال نَصْرٌ عن حَيْلَة : بفتح الحاء وتليها ياءٌ ساكنة — : بلدٌ بالسَّراة ، وكان يسكنه بنو ثابر ، حَيٌّ من الْعَارِبَةِ الأولى ، أَجْلَتْهُمْ عنه قَسْرُ بن عَبْقَر بن أَنْمارٍ . انتهى ويظهر أنَّ أَصْلَ هذا القول من كلام ابن الكلبي في كتاب «افتراق القبائل» ولكن البكريّ أورد كلام ابن الكلبيِّ بطوله ، ومما جاء فيه قوله — «معجم ما استعجم» — ٥٨ الطبعة المصرية —: فظعنت بَجِيْلَةُ وخَثْعَمُ ابنا أَنْمارٍ إلى جبال السَّرَاوَاتِ فنزلوها ، وانتسبوا فيهم ، فنزلت قَسْرُ بنُ عَبْقَر بنِ أَنْمارٍ حِقَالَ حَلْيَةَ وأَسَالِمَ ، وما صاقَبَها من البلاد ، وأَهْلُها يومئذٍ حَيٌّ من الْعَارِبَةِ ، يقال لهم بنو ثابرٍ ، فأجلوهم عنها ، وحَلُّوا مساكِنَهم مِنْهَا ، ثم قاتلوهم فَغَلَبُوهُمْ على السَّرَاةِ ، ونَفَوهُمْ عنها . انتهى فأنتَ ترى اسم المكان حَلْيَةَ — بتقديم اللام على المثناة التحتيَّة — وأراه الصَّواب وأنَّ ما ورد في كتاب نَصْرٍ وعنه نقل الحازميُّ — مُصَحَّفاً ، وياقوت قَلَّدهما فنقل كلامها غير منسوبٍ ولا مُحَقَّقٍ ، مع أنه نقل الكلام المتقدم في رسم (حلية) بعد قوله : حَلْيَةُ وادٍ بين أعيار وعِلْيَبَ ، يُفرِغُ في السَّرَيْن .

(٣) عند نَصْرٍ : (باب الْجُبِّ والْخَبِّ والْحُتِّ وخَتّ) .

يقالَ لَهُ الجُبُّ[1] .

وجُبُّ عَمِيْرَة بِمِصْرَ ، يُنْسَبُ إلى عَمِيْرَةَ بْنِ تَمِيْمِ بْنِ جَزءٍ التُّجِيْبِيِّ[2] .

وأمَّا الثَّاني — أَوَّلُهُ حاءٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ تاءٌ فَوْقها نُقْطَتان — : مَحلَّةٌ مِنْ مَحالِّ الْبَصْرَةِ خَارِجَةٌ عن سُوْرِها ، سُمِّيَتْ بِقَبِيلٍ من الْيَمَن نَزلُوهَا[3] .

(١) لم يزد على تعريف نَصْر . أما ياقوت فقال : الْجُبُّ : واحد الجُبَّاب ، وهي البئر التي لَمْ تُطْوَ — : مدينة قُرْبَ بلاد الزَّنْج ، في أرض بَرْبَرَة ، يُجْلَبُ منها الزَّرَافَةُ ، وجُلُوْدَها يتخذُها أهْلُ فارِسَ نعالا والجُبُّ أيضاً : أحَدُ محاضِرِ طَيِّءٍ ، بسَلْمَى أحَدِ جَبَلَيْهِمْ ، وبه نَخْلٌ ومياهٌ .
والجبُّ أيضاً : ماءٌ في ديار بني عامر .
والجبُّ أيضاً ماءٌ معروف لبني ضَبِيْنة بْنِ جَعْدَة بْنِ غَنِيِّ بْنِ يَعْصُرَ ، قال لَبِيْدُ :
أَبَـنِي كلابٍ كـيفَ تُـنْفَى جَعْفَرٌ ... وبَنو ضَـبِيْنَةَ حاضِرُو الأَجْبَاب ؟!
والجُبُّ أيْضاً : ذكره الأصْمَعِيُّ في كتاب «جزيرة العرب» من مياه جعفر بن كلاب بنَجْد ، قال : ثم الجُبُّ بيارٌ في وسط وادٍ ، وهو الذي يقال له جُبُّ يوسف عليه السلام — كذا قال !
والجبُّ أيضاً : داخِلٌ في بلاد الضِبابِ وبلادِ عَبْسٍ ، ثم بلاد أبي بكرٍ — ثم ذكر جُبَّ عميرة .
فكأنَّ الجُبَّ في الأصل وَصْفٌ ، ثم أُطلِقَ علماً على عدد من المياه ، منها في ديار بني عامر غير واحدٍ ، لأنَّ جُبَّ بني ضبينة كان من مياه جعفر بن كلاب وهُمْ والضِّبابُ وبنو أبي بَكْرٍ كلهم من بني عَامِرٍ أما جُبُّ يوسف المعدود من مياه بني جعفر ، فقد ورد ذكره في كتاب «بلاد العرب» — ص ١١٢ من منشورات دار اليمامة — بهذا النَّص :— في الكلام على مياه بني جعفر وجبالها — بعد ذكر وَسَطٍ وقُنَيْعٍ والنامِيَةِ ، والأَثْبِجَةِ وذَبْذَب وكلها في حمى ضَرِيَّة جَنوبَهُ :— (ثم معروف ، وهو ماء له جبال يقال لها جبال معروفٍ ، ثم الجُبُّ : بئارٌ في بطن واد ، وهو الذي يقال إنَّهُ جُبُّ يوسف — عليه السلام — إلى أن قال :— وجميع ذلك ما بين ضريَّة إلى حَفيرة القُرَشيِّ إلى قُنَيْع إلى مِذْعًا إلى معروف ، فأما الجُبُّ فداخِلٌ في بلاد الضِّباب وناحِيَةِ بلادَ عَبْسٍ — انتهى ومن هذا يتضح أنَّ جميع ما ذكر ياقوت ينطبق على مُسَمًّى واحد . والقول بأنه داخلٌ في ناحية بلاد عَبْسٍ يدل على أنه في شمال حِمَى ضرية ، غير خارج عن الحِمَى ، وليس جنوب الحِمَى حيث يقع معروفٌ الذي ذكر الأصمعي — فيما نقله عنه ياقوت — أنه بجبل كِبْشاتٍ ، إذْ جبل كبشاتٍ يقع جنوب شرق الحِمَى .
أمَّا جُبُّ يُوسُف النبيِّ — عليه السلام — فلا صلة له بهذا الجُبِّ الذي في نَجْدٍ ، لأنَّه في بلاد الأردن من الشام ، في الطريق منها إلى مِصْر — نقل ياقوت عن الأصطخري : هو بالأرْدُن بين بَانيَاس وطَبَرِيَّة على اثني عشر ميلا من طَبَرِيَّة مما يلي دمشق . ثم نقل عن غير الأصْطَخْرِيِّ : كان منزل يعقوب بنابلس ، والجُبُّ الذي أُلْقِي فيه يوسف بين قرية من قراها يقال لها سنْجل وبَيْنَ نابلس — ويظهر أنه لا يزال معروفاً في تلك البلاد ، فقد قرأت بَحْثاً في تحديد موقعه لأحد أدبائها — ولعله عبدالله مخلص — في إحدى المجلات منذ زمن .

(٢) لم يذكر نَصْرٌ جُبَّ عَميرة ، وذكره ياقوت بقوله : ينسب إلى عَمِيرة بن تَميم بْنِ جَزْءٍ التُّجِيْبِيِّ ، قريب من القاهرة ، يبرز إليه الحاج والعساكر ، وحَدَّد المقريزي في «الخطط» موقعه .

(٣) لم يزد الْحَازِميُّ على تعريف حُتٍّ الوارد في كتاب نصر ، سوى تغيير كلمة (اختَطُّوهَا) بكلمة (نزلوها) . وقال

العرب في "مدغشقر"

[من أطرف ما قرأت من كتب الرحلات كتاب «مُدَغَشْقَر : بلد المسلمين الضائعين» الذي ألفه العالم الجليل الرحّالة المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العَبُّودِيُّ . ونشره (نادي الرِّياض الأدبي) فصدر حديثاً .

ومن أعجب ما قرأت فيه حديثاً عن ملكة عربيَّة الأصل تحكم جزءًا من تلك البلاد ، وقد رأيت إطراف قرّاء «العرب» بما كتبه الأستاذ العبوديّ عنها في ذلك الكتاب ، بأسلوب يستلذه القارىء ، ويستهويه لمطالعة الكتاب جميعه] .

قاضيةٌ من أصل عربي :

قال الأستاذ العبودي .

بعد هذه الجولة في مدينة (فورديفان) عدنا إلى الفندق بصحبة الأخ (محي الدين بن عبدالله) إمام مسجد القمريين وذلك لنكمل سؤاله عن المعلومات وكان معرفته باللغة الفرنسية محدودة ، ومعرفته بالعربية أقل من ذلك بكثير واللغة التي يحسنها جيداً هي

وأمَّا الثَّالثُ ــ أوَّلُهُ خاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، ثُمَّ تاءٌ أيضاً ــ : مَوْضِعٌ نَاحِيَةَ عُمَانَ(٤) .

← ياقوت في «معجم البلدان» : الْحُتُّ ــ بالضم والتشديد ــ: موضع بِعُمَان ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ الحتُّ من كِنْدَةَ ، وليس بأمٍّ لهم ، ولا أب . وقال الزَّمخشريُّ : الْحُتُّ من جبال القَبَلِيَّةِ ، لبني عَرْكٍ من جُهَيْنَة ، ــ ثم أورد كلام الحازميّ وقال بعده ــ قلت : أراهم من كِنْدَةَ المقدم ذكرهم .

أما الْحُتُّ الذي في بلاد جُهينة ، فالزَّمخشري في كتابه لم يضبط الأسماء ضبْطاً تاماً ، وقد نقل أسماء جبال الْقَبَلِيَّة عن عليّ بن وَهَّاسٍ ، كما نقل عنه كثيراً في كتابه ، وما نقله هو خير ما في ذلك الكتاب ، والقَبَلِيَّةُ ما أقْبَلَ سَيْلُهَا نحو المدينة من سلسلة السراة .

(٥) قال نصْرٌ :ــ وأما بفتح الخاء المعجمة وآخره تاءٌ عليها نُقْطَتَان :ــ ناحيةٌ بين جبال عُمَان . انتهى وقال ياقوت في «المعجم» : خَتٌّ ــ بفتح أوله وتشديد ثانيه ــ: مدينة من نواحي جِبَالِ عُمَانَ ، والخَتُّ عند العرب : الطعن ، والاستحياء والشيء الخسيس ، كأنه لغة في خَسٍّ . انتهى . وتقدم كلامه أن الحُتَّ موضع بِعُمَان ، ولا أستبعد أن يكون أحد الاسمين مُصَحَّفاً عن الآخر .

العرب في "مدغشقر"

[من أطرف ما قرأت من كتب الرحلات كتاب «مُدَغَشْقَر : بلد المسلمين الضائعين» الذي ألفه العالم الجليل الرحَّالة المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العُبُودِيُّ . ونشره (نادي الرِّياض الأدبي) فصدر حديثاً .

ومن أعجب ما قرأت فيه حديثاً عن ملكة عربيَّة الأصل تحكم جزءاً من تلك البلاد ، وقد رأيت إطراف قراء «العرب» بما كتبه الأستاذ العبوديّ عنها في ذلك الكتاب ، بأسلوب يستلذه القارىء ، ويستهويه لمطالعة الكتاب جميعه] .

قاضيةٌ من أصل عربي :

قال الأستاذ العبودي .

بعد هذه الجولة في مدينة (فورديفان) عدنا إلى الفندق بصحبة الأخ (محي الدين بن عبدالله) إمام مسجد القمريين وذلك لنكمل سؤاله عن المعلومات وكان معرفته باللغة الفرنسية محدودة ، ومعرفته بالعربية أقل من ذلك بكثير واللغة التي يحسنها جيداً هي

وأمَّا الثَّالثُ — أوَّلُه خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتوحَةٌ ، ثُمَّ تاءٌ أيضاً — : مَوْضِعٌ نَاحِيَةَ عُمَانَ(٤) .

← ياقوت في «معجم البلدان» : الْحُتُ — بالضم والتشديد —: موضع بِعُمَان ، يُنْسَب إليْهِ الحتُّ من كِنْدَةَ ، وليس بأمٍّ لهم ، ولا أب . وقال الزَّمخشريُّ : الْحُتُّ من جبال القَبَلِيَّة ، لبني عَرْكٍ من جُهَيْنَة ، — ثم أورد كلام الحازميّ وقال بعده — قلت : أراهم من كِنْدَةَ المقدم ذكرهم .

أما الْحُتُّ الذي في بلاد جُهينة ، فالزَّمخشري في كتابه لم يضبط الأسماء ضَبْطاً تاماً ، وقد نقل أسماء جبال الْقَبَلِيَّة عن عليّ بن وَهَّاسٍ ، كما نقل عنه كثيراً في كتابه ، وما نقله هو خير ما في ذلك الكتاب ، والقَبَلِيَّةُ ما أقْبَلَ سَيْلُهَا نحو المدينة من سلسلة السراة .

(٥) قال نصرٌ :— وأما بفتح الخاء المعجمة وآخره تاءٌ عليها نُقْطَتَان :— ناحيةٌ بين جبال عُمَان . انتهى وقال ياقوت في «المعجم» : خَتٌّ — بفتح أوله وتشديد ثانيه —: مدينة من نواحي جِبَالِ عُمَانَ ، والختُّ عند العرب : الطعن ، والاستحياء والشيء الخسيس ، كأنه لغة في خَسّ . انتهى . وتقدم كلامه أن الحُتَّ موضع بِعُمَان ، ولا أستبعد أن يكون أحد الاسمين مُصَحَّفاً عن الآخر .

الملاقاشية التي لا نعرف منها شيئاً . وكنا نلاقي شيئاً من العناء في فهم ما يقوله وفي إفهامه ما نقول .

وبينما كنا على ذلك إذ بالقاضية (سولانج) تحضر إلينا في الفندق ومعها فتاة أخرى ، وبعد أن سلمت وحيت قالت : أرجو أن يكون الحاكم وأهل الفندق قد قاموا بواجب الخدمة لكم فقد أمرتهم بذلك . فقلنا : نعم ذلك ولك الشكر .

وقد بدت لنا اليوم أكثر وقاراً إذْ كانت عندما رأيناها أمس ترتدي سروالاً أما اليوم فقد لبست قميصاً طويلاً نوعاً ذا أكمام . وقالت : إن هذه الفتاة ابنة لصديقتي ليس لديها عمل اليوم فأحضرتها لتصحبني .

وكانت فرصة طيبة لكي تقوم القاضية بالترجمة الواضحة ما بيننا وبين إمام المسجد . فكان مما قاله : إننا قوم فقراء ولا يوجد من يعتني ببناء مساجدنا كما يعتني المسيحيون الذين في الخارج بكنائس النصارى في هذه البلاد لذلك جمعنا نحن فيما بيننا مبلغاً قليلاً من المال لبناية المسجد إلا أنه تهدم عدة مرات بسبب الإعصار ونحن نرجو أن يأتي اليوم الذي نتمكن فيه من بناء مسجد ومدرسة إسلامية من الاسمنت لأن أولادنا يضيعون بدون تعليم .

فوافقناه على قوله ذلك . وسألناه عن المبلغ الذي يظنه لازماً لذلك فقال : إذا بنينا بناء متواضعاً يحتاج إلى ٦٠٠ ألف فرنك أي حوالي خمسة وتسعين ألف ريال سعودي . فقلت له : إذا تيسر بناء المدرسة فمن الذي يدرس الأولاد ؟ قال : أنا ، لقد تعلمت على فلان في مدينة ماجنقا . كما قال أن من حاجاتهم العاجلة الحصول على نعش وما يتبعه لتجهيز أموات المسلمين وأن ذلك يحتاج إلى ٢٠ ألف فرنك أي مائتين وتسعين ريالاً سعودياً .

وأردنا أن نفتح الكلام عن الديانة مع القاضية (سولانج) فسألناها عن هذه الفتاة التي معها وعما إذا كانت مسلمة وهي لونها أسمر شديد السمرة إلا أن تقاسيم وجهها ليست كما في وجوه الأفريقيين ، ولا كما في وجوه الملايويين .

فأجابت القاضية : إن أصلها عربي إسلامي فهي من (ديقو) حيث العرب هناك ،

وقد علقت الفتاة على ذلك بقولها : هذا صحيح وعمي لا يزال مسلماً يصلي صلاة المسلمين ، أما والدي فقد أدخله الأوروبيون في المسيحية وصرت أنا مسيحية كاثوليكية تبعاً لذلك .

وقالت القاضية بعد أن أنهت الفتاة كلامها : إن أهلي الأوائل كانوا من المسلمين وأمي مسلمة تتعبد كما يتعبد المسلمون وتقرأ كتاباً لا أعرف حروفه تتعبد بذلك .

وهنا وجدنا الفرصة سانحة فحدثناها عن الإسلام ومزاياه ، وحركنا مشاعرها للعودة إلى أصلها الإسلامي العريق . مع أن أمثالها هنا يعدون بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف . فقالت القاضية : ولكن الإسلام يقيد المرأة ويجبرها على البقاء في البيت كما أنه يجيز للرجل أن يتزوج بأربع زوجات .

فشرحنا لها أن كون الرجال قوامين على النساء بمعنى أنهم ملزمون بالإنفاق على النساء ، فان ذلك بطبيعة الحال يجعل المرأة أكثر راحة ، ويقيها شر الحاجة إلى العمل ويضمن لها أن تتفرغ لشؤون بيتها وأطفالها . أما إذا كان هناك داع لعملها في جو يحفظ كرامتها وصيانتها فلا مانع من ذلك .

ثم شرحنا لها الحكمة في تعدد الزوجات وبعد كلام طويل سألناها قائلين : أتعتقدين أن الرجل المالاقاشي المتزوج بواحدة يقتصر على تلك الواحدة ؟

فأجابت : كلا فكلهم يكون لهم عدد من الخليلات والعشيقات قد يصلن إلى عشر . فقلنا لها : إذاً تلك الخليلات من النساء اللاتي أجاز الإسلام أن يتزوج الرجل منهن واحدة فأكثر حسب شروط الاستطاعة على النفقة والإسكان والعدل بين الزوجات فيكون لها حقوق شرعية واجبة ويكون لها أولاد يقرون عينها يلزم الزوج بأن ينفق عليهم وليس كما هو الحال عليه الآن من أن يستمتع الرجل بالعشيقة في وقت شبابها القصير دون مقابل إلا أن يدفع لها شيئاً مادياً موقتاً ثم يتركها بعد أن تتجاوز مرحلة الإغراء دون حقوق أو حماية فقالت : هذا صحيح . فقلت لها : وشيء آخر فالزوجة المسلمة إذا تزوج زوجها بثانية فهي تعلم وتطمئن إلى أنه لا يعرف غيرهما وهذا كاف .

فسألتنا — مقاطعة — وهل من الممكن ألا يعرف الرجل إلا زوجته؟

فأجبتها: نعم وهذا هو الواقع من المسلمين في بلادنا حسبما نعرفه، فقالت: الرجل هنا يعرف في العادة مع زوجته عدداً آخر من النساء.

وهنا سألناها: أتذهبين إلى الكنيسة؟ قالت: نعم، في الماضي، فقلنا: لماذا كان ذلك في الماضي؟ فقالت، لأنه كان الذي لا يذهب إلى الكنيسة يعاقب أما الآن فمنذ أن توقف العقاب توقف الناس عن الذهاب للكنيسة فلا يذهب إليها إلا عدد قليل جداً ثم ودَّعَتْ وانصرَفتْ.

وهنا كان موعد الغداء الذي رتبه صاحب الفندق قد أزف، وذلك لقرب موعد قيام الطائرة وسفرنا إلى مدينة (مانكار). وقد كررنا الأكل من أفخر أنواع السرطان البحري في العالم وكان معه حَمَامٌ من حمام (فورديفان) المحشيّ.

العرب في مانكار:

ثم قال الأستاذ العبودي — بعد الكلام المفصّل عن مدينة (مانكار):

بعد ذلك وقفت السيارة عند السوق الشعبي فصرفناها وأخذنا نتمشى، ونحن نبحث عن الوجوه التي تنتمي إلى قبيلة تيمور التي تشتهر عند الناس بأنها من أصل عربي فوجدناها ظاهرة في هذا السوق بمظهر لا يوجد عند غيرها فيما رأينا من بلاد مدغشقر ولا غيرها في أفريقية ذلك بأن أفراد هذه القبيلة من رجال ونساء وأطفال يلبسون طاقية موحدة لا تختلف في واحد عن الآخر حتى العجائز يلبسنها وهي طاقية من القش الأصفر أعتقد أنها مصنوعة من قش الأرز مستديرة الأسفل مع تربيع يسير أما أعلاها فله أربع زوايا وفي كل ركن من أركانها الأربعة نقطة حمراء مربعة، من القش المصبوغ. أما وجوه الناس فهي الوجوه العربية التهامية الموجودة في تهامة في السواحل الجنوبية الغربية في الجزيرة بعد أن تضيف إليها بؤساً لا يوجد عند أولئك، وإهمالاً للنظافة ظاهر وسمرة فوق سمرة التهاميين وصفرة ليس بعدها صفرة إلا في الجنس الصيني، وحفا في الأرجل عاماً فالجميع مثلهم في ذلك مثل معظم سكان مدغشقر خارج المدن الرئيسية ومثل بعض السكان داخل تلك المدن. إلا أن الملاحظ أن قاماتهم أقصر مستوى من قامات

سكان الشرق الأوسط فهم بذلك يشبهون بعض سكان السواحل الجنوبية من الجزيرة العربية وهم يشبهون بقية سكان مدغشقر في كون النساء يعملن أكثر من الرجال وفي كونهن سافرات إلا أنهن غير متبرجات كما يفعل نساء غيرهم من الأجناس إلا فيما ندر منهن ولا تكاد تجد واحداً أو واحدة منهن في وجنته دم صاف أو على وجهه نضارة وذلك خلاف الذين يسكنون معهم والذين هم من أصول أفريقية فانك ترى بعضهم وبعض منهن عليهن ملامح الجمال وسمات العافية رغم أن الحفاء من شيم الجميع .

وأكبر ظني وهذا ما ليس عليه دليل أن هذا الجو الاستوائي الحار الرطب الذي تسطع شمسه وترسل من الأشعة وسط بحر من الأبخرة التي تنبعث من مياه المحيط شبه الاستوائية أو تنزل مع الأمطار الغزيرة التي يقل مثيلها في العالم أن ذلك كله لا يناسب الجسم العربي ولا يستطيع الصبر عليه لذلك كان وقعه على وجوه أولئك القوم وقعاً شديداً لا يحس بعنفه ومدى تأثيره إلا من هو غريب عن المنطقة لم تألف عينه النظر إلى تلك المظاهر .

وشيء ملفت للنظر وهو أن أولئك التيموريين يتشابهون في مظهرهم وبخاصة مظاهر النساء . حتى يكاد المرء يجزم بأنهم من سلالة رجل واحد . وأنهم لا يختلطون بغيرهم مع أننا علمنا أن الاتصال بالزواج مع الجنس الآخر الذي يسكن في تلك المنطقة والذي هو من أصول أفريقية هو قليل إلا أنه موجود وأن الأنواع الأخرى من الاتصال موجودة متوفرة ليس عليها حجاب أو مانع .

أما أجناس الناس الأخرى في هذه المنطقة كالجنس الذي ينحدر من أصول جاوية أو ملايوية والذي هو موجود في الهضبة الوسطى في منطقة العاصمة (تاناناريف) فهي غير موجودة أصلاً .

ومعروف عند الناس هنا أن هؤلاء التيموريين هم من العرب وكانوا يكتبون لغتهم المحلية التي هي الملاقاشية بعد أن نسوا العربية بحروف عربية ولهم ملوك وملكات يتعاقبون على قيادتهم على مدى السنين معروفون حتى الآن .

وجعلت أتفرس في وجوه الناس وبخاصة وجوه البائعين والبائعات التمس التقاسيم العربية وأحاول أن أكون رأياً في ردها إلى إحدى القبائل وأهالي البلاد العربية وإذا بي

أفاجأ قبل أن أحكم على التقاسيم والتقاطع الظاهرة بما يؤكد نسبتهم إلى العرب من طباعهم التي كنا نعرفها في العرب الذين لم يتحضروا وخصوصاً من أهل البدو وأهل القرى من أمور لم ألمحها ولم أمر بها في طباع أناس آخرين رأيتهم في مدغشقر من قبل . ذلك بأننا بينما نتفرج عليهم إذ بهم ينقلبون إلى متفرجين علينا ينظرون إلى وجوهنا وأثوابنا ، ويستمعون إلى كلامنا بكل اهتمام بل بكل فضول نعرفه في غير المتعلمين من العرب بل إذا بهم إذا بدرت منا لفتة أو حركة غير مألوفة لهم يضحكون منا ويقهقهون من سماع كلامنا ، وإذا سمع بعضهم ضحك الآخرين أو حتى أن هناك ما يجذب الآخرين إلى الضحك أو إلى النظر سارع يستجلي الأمر وترك بضاعته على الأرض مفضلاً الاطلاع على أمر غريب أو وجوه قوم غرباء على حفظها .

وأمر آخر له أهميته فقد رأيت القوم فجأة من نساء وأطفال وبعض الرجال قد فروا من السوق فجأة كأنما فروا من حريق واتجهوا إلى شارع قريب وصفوا على الشارع وهم يتطلعون بفضول وإذا بموكب عرس لقوم من الهنود المقيمين في البلاد . وعندما فات الموكب رجعوا إلى سوقهم وبضائعهم يتراكضون وهذا شيء لم أره في غير هذه المنطقة العربية أو التي كان عربية من مدغشقر .

أما ألوانهم فقد اعترتها السمرة الشديدة وإن كانت لا تزال أكثر بياضاً من وجوه الذين يعيشون معهم من ذوي الأصول الأفريقية بكثير وهي أيضاً أكثر بياضاً من وجوه ذوي الأصل الملايوي بقليل .

هذه هي الانطباعات عن منظر هؤلاء العرب الضائعين الذين لم يبق لهم مما يعتزون به أو يعتز به من ينتمي إليهم إلا التاريخ فقد ضاع سلطانهم الذي كان في هذا الجزء من مدغشقر وقبل ضياعه ضاعت لغتهم .

أما صحتهم التي لا أظن أنها كانت بهذا السوء فلا يمكن الحديث عنها أكانت هكذا قبل أن يصلوا أم ساءت بعد ذلك ولكنني أعتقد أنه لا يمكن أن تصل إلى درك من السوء أنزل مما هم عليه الآن فهم على غاية السوء وقد ضيعوا ارتباطهم بالعالم العربي والإسلامي ، وبذلك فقدوا عاصماً مهماً من أسباب البقاء .

وقد ضيعوا أهم من ذلك كله وهو دينهم فأصبحوا لا يوجد لديهم حتى المساجد التي هي في بعض البلدان مجرد مظاهر دينية وهم لا ينهضون لبنائها لجهلهم وفقرهم وأظن أن الجهل هو السبب وليس الفقر لأنه لن يعجز جماعة مهما كان فقرهم أن يبنوا لهم مسجداً من جنس ما يبنون لهم من بيوت كما رأيت بنفسي المساجد في بعض القرى الأفريقية تبنى من القش إذا كانت بيوت السكن نفسها من القش . ولكنهم فقدوا حتى الاهتمام بالدين فليس لديهم مدرس ولا كتاب ولا مسجد ولا ثقافة ولا لغة إن لم نقل : ولا صحة ، ولا لون ولا .. ولا ... ولا ... حتى نقول : ولا نعل .

إنني أذكر هذه الحقائق التي أعرف أنها ستكون مؤلمة للقراء من العرب لا محبة في جلب الآلام لهم كما جلبتها لنفسي وإنما لإبلاغهم ذلك حتى يشاركوا في حمل مسؤلية إنقاذ هؤلاء القوم الذين يعيشون في كارثة مريعة ، وأن يهب كل شخص لأنقاذهم بقدر ما يستطيع .

وانتقلنا من السوق الشعبي الذي لاحظنا أن معروضاته من الفواكه والخضروات أقل من مثيلاته في مدينة (فورديفان) في الجنوب ومدينة (توليار) في الجنوب الغربي .

وتجولنا فيما حول السوق فإذا بنا نزيد ملاحظة أن النساء من قبيلة تيمور لا تزال فيهن بقية من حياء النساء العربيات فالمرأة تكلم الرجل الأجنبي كما تفعل كل النساء في مدغشقر ولكنها ليس فيها وقاحة نساء الأجناس الأخرى اللاتي يحادثن ويمازحن وقد يغازلن الرجال . بل أن بعضهن إذا أردنا الحديث معها غلبها الحياء فصدت وجهها وأبعدت ، وكنا نريد أن نسأل نستزيد من المعلومات فلم نجد امرأة تسرع إلى الحديث إلا واحدة واضحاً عليها أنها عربية تكلمت معنا فقلنا : إننا نريد شخصاً يرينا المتاجر في بقية السوق فأرسلت أخا لها صغيراً تطلب رجلاً لهذا الغرض فسألناها بعد ذلك : أأنت من تيمور؟ فأجابت : نعم . فقلنا : أم أنت عربية؟ فقالتا : تيمور من العرب فسألناها : إذاً مسلمة؟ فأجابت : لا إنني كاثوليكية . ولكن أهلي كلهم مسلمون ! !

إن نصرانيتها هي التي جعلتها من بين أولئك المسلمات في الأصل تسارع إلى الحديث معنا .

وأمر آخر يلاحظه المرء وهو أن بعض النساء خاصة من قبيلة تيمور تقوم الواحدة منهن بلف فوطة حول جسمها كما يفعل العرب من جنوب الجزيرة والخليج فبعضهن ترسل تلك الفوطة إلى ركبتيها أو أسفل من ذلك وبعضهن ترفعها لتغطي ما بين أسفل أبطيها وما فوق ركبتيها .

وقد عدنا إلى الفندق مع غروب الشمس بعد أن اشترينا فاكهة من السوق بما لا يعد رخيصاً مع أن هذه المنطقة من أخصب مناطق مدغشقر وأكثرها أمطاراً .

وفي النفس ما فيها من الكرب والغم على ما رايناه ومن التحمل والهم للواجب الذي نرى أن علينا إبلاغه . وكان الفندق نفسه سيئة من السيئات في مرافقه وغرفه حتى البعوض كثير هنا وقد رأيناهم وضعوا في الغرفة دواء يحرق لطرد البعوض وما أظنه ينفع في ذلك لأنها كبيرة كثيرة المنافذ وأبوابها ونوافذها ليست محكمة .

وقبل النوم أخرجت المذياع التمس السلوان في بعض ما أسمع منه عسى أن أتمكن من التقاط إذاعة عربية لأنني لم أستطع أن التقط منها شيئاً الليلة البارحة في فورديفان لبعدها إلى الجنوب وكونها واقعة خلف هضاب مدغشقر الجبلية التي تحجب عنها الإذاعات المنطلقة من البلدان العربية أو الموجهة إليها وفوجئت بأن بعض الإذاعات العربية مسموعة هنا كالكويت والسودان والعراق . فكأنها بذلك تريد تؤكد أن هذه المنطقة هي لا تزال — ولو في الخيال — تحتفظ بما كان للعرب والعربية فيها من سلطان .

يوم الأحد : ١٣ رجب ١٣٩٨هـ ١٨ يونيو ١٩٧٨م .

من خطتنا المقررة أن يكون برنامج زيارتنا هذا اليوم لمدينة (وي بن) .

في بلدة وي بن :

ثم قال الأستاذ بعد أن تحدث حديثاً ممتعاً عن بلدة (وي وين) قاعدة تيمور العربية :

لم نكد ندخل الشارع الرئيسي الذي يقع على الطريق الاسفلتي فيها حتى وجدناه قد انتهى لقصره وبيوته والحوانيت فيه مبنية بالخشب ومقامة على أرجل خشبية ترفعها عن

الأرض اتقاء الرطوبة الدائمة ، فوقفنا على رجل حداد قد اتخذ من بيته حانوتاً وقد أخرج معدات له قديمة وهو لا يعمل فسأله الشيخ الدكوري بالفرنسية فلم يفهم شيئاً فسارعت الفتاة الصينية إلى سؤاله بلغتهم ففهم منها بعد تعب فقلت لها قولي له : إننا نريد أن نتصل بأي رجل مسلم من كبار المسلمين حتى يستطيع أن يجمع لنا المسلمين لنتكلم معهم في أمور دينهم . فقال : أنه سيكون هناك اجتماع للمسلمين للدعاء للحكومة لمناسبة حلول عيد الاستقلال ثم ذكر مكاناً ذهبنا نبحث عنه فلم نجـده . ويلاحظ هنـا أن الحكومـة غير إسلامية ولكنها تطلب من المسلمين أن يدعـو لها .

وسألت الفتاة رجلاً ورجلين فلم يفيدوها بشيء . وقلنا أخيراً : دلونا على المسجد فسألت امرأة تحدثت معها طويلاً ثم اركبت معنا بالسيارة صبياً ذهب بنا إلى المسجد وقد تبينا البلدة بعد ذلك فاذا بها أكواخ خشبية كثيرة ولكنها منثورة غير متلاصقة وأرض البلدة غير مستوية قد تختفي بعض البيوت فيها كما أن علو الأشجار وكثافتها يخفي البيوت التي هي أكواخ من طابق واحد .

وقصدنا المسجد فوجدناه في ركن من البلدة يقع على منحدر وإذا به صندقة مبنية من الخشب ومسقوفة بالزنك وأرضه قد فرشت بالمشمّع وفي آخره مكان منفصل مخصوص للنساء وقد علق في المسجد لوحتان إحداهما عادية عليها الآية الكريمة (نصر من الله وفتح قريب) والثانية بالخط العربي على الطريقة المحلية التي هي عادية ليس لها طابع خاص (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الآية وبين سطورها كتبت ترجمة لمعانيها باللغة الملاقاشية . وحالة المسجد جيدة بالنسبة إلى حالة البيوت الأخرى . ورأينا رجلاً يقرب منا فسألناه عن إمام المسجد أو المسؤول فيه فلم يبد جواباً ، كما سألناه عن بيت الإمام أو عن اسم أي شخص من كبار المسلمين في هذه المدينة فكان يفتح فاه كالمتذكر ثم يسكت .

ولا مجال هنا لنزيه الاسماء والعناوين التي حصلنا عليها لأنه لا يعرف الفرنسية أولاً ولأنه كسائر أهل البلدة الذي عرفناهم فيما بعد قد تَبَلَّدَتْ أذهانهم ثانياً بسبب الجهل وقلة الثقافة .

وأخذتنا الحيرة وأخذنا نجول في أنحاء البلدة فإذا بامرأة من نساء البلدة كلمتها الفتاة الصينية بغرضنا . فقالت : إن الناس هنا لا يجتمعون ولا يسمعون ولا يطيعون إلا بأمر الملكة فعليكم الاتصال بالملكة أولاً . ولما سمعنا ذلك ظننا أن في الأمر هزلاً فلم نسمع بنفوذ الملكة لهذا الحد ، ولكن المهم عندنا أن نحصل على ما نريده من معرفة عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة .

ولكن كيف الوصول إلى الملكة ؟ وما هو مقدار ملكها واين مكانها ؟

سألنا أحد الأشخاص عن ذلك فلم يجب ، وأخيراً وجدنا شخصاً رضي بأن يدلنا .

في حضرة الملكة :

طلب الدليل منا ان نُوقِف السيارة في الشارع في أسفل تل ، ثم تقدمنا مع درج في التل وسط أشجار كثيفة كأشجار الغابات .

وعندما علونا التل وجدنا بيوتاً خشبية مرفوعة عن الأرض بأعواد من الخشب أو قل هي أكواخ من الخشب قد بنيت على دعائم خشبية واقفة لترفعها عن رطوبة الأرض وهي متفرقة إلا أنها تكاد تكون متلاصقة إذا الفراغ الذي يفصل بينها قد تركوه لحاجات أهل المنزل مثل الحصر التي ينشر عليها الأرز ليجف ، أو مربط العنز ، أو مكان للدجاج الذي رأيناه سائباً وهي بيوت كثيرة فوق هذا التل الذي هو أيضاً يكاد يكون غابة من الغابات وان كان مرتفعاً .

ورأينا عدداً من المارة من رجال ونساء كلهم حفاة في هذا الجو الرطب بل الطيني الذي يجعل الارجل كلها ملطخة بالطين ، وربما كانت هذه الرطوبة الزائدة هي السبب في الحفاء لأنهم لا يعرفون من المواد التي تتخذ منها النعال إلا الجلد وهو يتلف مع الرطوبة والماء الدائم أما اللدائن ونحوها من المواد فانهم لا يعرفونها في السابق لعدم وجودها وفي الزمن الحديث لا يستطيعون الحصول عليها لعدم مقدرتهم المالية وربما لاعتيادهم الحفاء وعدم مبالاتهم به .

ووصلنا كوخاً من الأكواخ لا يكاد يميزه عن غيره شيء . إلا أنه من الأكواخ

الكبيرة . وتأخر الرجل الذي كان يدلنا فنفحناه ما تيسر من النقود فأخذها وانصرف شاكراً ثم تقدمت الفتاة الصينية وصعدت إلى باب الكوخ المرفوع على درجتين من الخشب أمام المدخل وأطلت من الداخل ورطنت لمن كان بالداخل ثم عادت إلينا وقالت : ادخلوا ها هو بيت الملكة : ملكة قبيلة تيمور العربية !!!

لقد سمعت هذا وأنا بين المصدق والمكذب ولكن حب الاطلاع على أحوال هذه الملكة العربية التي احتفظت بعرشها في هذا الزمن الذي صعب فيه على الملوك الصناديد من الرجال الاحتفاظ بعروشهم قد أنساني كل شيء إلا محاولة معرفة كل ما يحيط به .

دخلنا إلى غرفة الاستقبال أو الغرفة الرئيسة في البيت فإذا بها واسعة أقدر أنها في حدود ثمانية عشر متراً مربعاً فيها نافذتان إحداهما إلى الشمال والأخرى إلى الغرب . وإذا بالبيت نفسه يبين من الداخل أكثر وجاهة وأغلى قيمة بل أكثر تكلفة فهو من الخارج خشبي من خشب عادي وأما جدرانه الداخلية فانها من أعواد مظفورة أي أعواد كالعصي منسقة تنسيقاً جميلاً ومضموماً بعضها إلى بعض في شكل متناسق جميل إذا وصلت إلى مستوى النافذة مثلاً وقفت ثم تلتها بقيتها فوق النافذة وإذا بالسقف من أعواد مظفورة بنية اللون مع شيء من الصفرة وهي جميلة ، وقد علق على الحائط عدة لوحات منها وسام منحته الحكومة الفرنسية لزوج الملكة وصور بعض الأسرة وصورة مقطوعة من إحدى المجلات لمنظر جميل . أما أرض البيت بيت الملكة فإنها من الخشب العادي المرصوف الذي هو في الحقيقة معلق لأنه مرفوع عن وجه الأرض بأخشاب كما تقدم .

وجدنا في المنزل أو في غرفة الاستقبال عدداً من الناس هم رجل واحد وأربع نساء وصبي صغير وطفل رضيع مع إحدى النساء .

وكان أول من استقبلنا وانتصب للحديث معنا هو الرجل وهو زوج الملكة في سن الستين حليق الوجه والشارب ما عدا نقطة من الشعر تحت فتحة الأنف تشبه شارب هتلر .

وهو ممتلىء الجسم في غير ترهل أسمر اللون شديد السمرة إلا أنه ليس بأسود ،

وقال : إنني أمير ولكنني ابن ملك ولهذا كان من حقي أن أتزوج بالملكة ملكة قبيلة تيمور ، فسلمنا عليه وأحفينا السلام . وكان يسرع في الحديث وكان حديثه كحركاته سريعاً يتسم بالحيوية بل والحماس ويكاد يكون ظاهرة غير عادية في أهل هذه البلدة الذين رأيناهم فأكثرهم يتّسم بالجمود وعدم السرعة في التصريحات حتى التفكير عندهم قد أصابه الجمود بل الخمود .

قال الأمير زوج الملكة وهو يزهو ويفتخر وحق له ذلك فهو ذو مزايا ذهنية وعقلية نادرة في سائر قومه : إن أجدادي جاؤا من مكة واسمي موسى بن علي ، وهو لا يعرف إلا قدراً قليلاً من الفرنسية . وكانت الفتاة الصينية تترجم كلامه للشيخ الدكوري بالفرنسية فيترجمه إلي بالعربية وهكذا كلامي يترجمه الشيخ الدكوري فتترجمه الفتاة الصينية إلى الملاقاشية المحلية ولولا وجودها معنا لما استطعنا التفاهم معهم بل ربما لم نستطع الاهتداء إلى مقر قيادة هذه القبيلة المتمثلة بالمملكة وزوجها الأمير.

كان يسترسل في الكلام فقاطعته قائلاً : أين الملكة ؟ فأمر إحدى النسوة أن تدخل البيت :

وجاءت الملكة :

امرأة عربية عجوز أو تقرب من أن تكون عجوزاً فهي في حدود الستين من العمر حالما رأيتها تبادر إلى ذهني صورة عجوز من عجائز البدو في بلادنا لولا أن سمرة الملكة أكثر وصفرة لونها أوفر إلا أن ذلك كله لم يخرجها من حد السمرة إلى حد السواد ، ولم ينزع منها مظهر المرأة العربية .

جاءت الملكة متواضعة تمشي الهوينا قصيرة الخطى غير شامخة الرأس ولكنها تمشي مشية الواثق بنفسه المتواضع عن مقامه .

سلمت تسليماً لا يبعد عن تسليم النسوة العربيات على كبار السن من الرجال الأجانب أي بخفر مع عدم استحياء وباعتزاز بالنفس دون وقاحة . ولكن مظهرها لا يوحي أبداً بأنها ملكة لقبيلة كبيرةواسعة منتشرة في منطقة من أخصب مناطق مدغشقر ، ومعترف بزعامتها رسمياً لتلك القبيلة وبعرشها الذي تتربع فوقه لتصريف شؤونها .

لم يكن لباسها فاخراً ، ولم يكن عليها شيء من الحلى الثمينة . أما الأصباغ والزينة فلا وجود لها في كل من رأيتهن من نساء قبيلة تيمور ولا أدري أمبعث ذلك عدم الرغبة فيه أم عدم القدرة على شرائه ولكنني أظن الأول هو السبب إذ ليس من المعقول أن يكون جميع نساء قبيلة كبيرة تقطن مساحة واسعة وتملك من أشجار القهوة ومن الأراضي الزراعية قدراً كبيراً من لا تستطيع أن تشتري لنفسها ما تتزين به المرأة التي تضع زينتها في المقام الأول من اهتمامها .

وفيما يتعلق بالملكة أكاد أجزم أنه لا يوجد فرق كبير في المظهر واللباس والزينة بينها وبين سائر النساء من رعيتها .

بعد أن جلست الملكة ناحية كما هي عادة النساء العربيات استمر زوجها في الحديث وتصدر الجلسة فقال بعد أن أخبرناه أننا قد زرنا المسجد : إن مسجدنا صغير ونحن نحتاج إلى توسعته ، وقد كتبت للمسلمين في كل مكان في تاتاناريف وفي موريشيوس فلم تردنا إجابة .

وكأنه ظن أن تاتاناريف التي لا تبعد عن بلدته (وي بن) إلا بمسافة أربعمائة كيل هي آخر المعمور من الدنيا إذ قلنا له : أكتبتم للملكة العربية السعودية وغيرها من البلاد العربية ؟ فلم يفهم المقصود بسرعة فقال زميلي الشيخ الدكوري للمترجمة : قولي له : أن هذا الشيخ — يقصدني (برفيسور) في مكة التي قدم منها جده فهل كتب إلى مكة ؟

فأجاب : لا إنما كتبنا إلى تاناناريف وتاناناريف كتبت إلى موريشيوس بطلب المساعدة على إصلاح المسجد ولكن لم يستجب لكلامنا أحد .

وكان يتكلم بقوة وكانت عضلات وجهه وحركات يديه تشارك لسانه التعبير إذا كانت المترجمة تتأكد من فهمه لترجمتها وعندما كان يصل إلى جملة (ولكن لم نجد مساعدة) كانت كلماته تخرج من فمه وكأنها تنهدات الحسرة وصيحات الألم ، وكنا نشاركه ذلك بل أكثر من ذلك لأننا نعلم من إمكانات العرب المسلمين على مساعدته أكثر مما يعلم ثم أخرج لنا رسماً لواجهة مسجد حديث على طراز عربي جميل وقال : إننا نريد أن نبني المسجد على هذا الطراز وكان يتكلم وكأنه يجب أن ينتهز فرصة ظن أنها لن

تؤاتيه بأن يجد من يحدثه في هذا الموضوع هذا مع أنه لم يسألنا عن أسمائنا ولا من أي بلد نكون ولا عن مهمتنا ما هي .

فقلنا للمترجمة : بعد أن هدأ كلامه : اشرحي له ما يأتي : إننا وفد من المملكة العربية السعودية قدمنا إلى بلاده لكي نراه ونرى إخواننا المسلمين في هذه البلاد وخصوصاً قبيلة تيمور التي هي ذات أصل عربي وأهم ما عندنا أن نعرف ما يحتاجون إليه في أمور دينهم مثل احتياجهم إلى توسيع المسجد والمساعدة على إنشاء مدرسة إسلامية لذلك نرجو أن يجمع لنا زعماء المسلمين وكبارهم في هذا المساء على أن يكون معهم رجل يحسن الفرنسية لأن المترجمة التي معنا ستتركنا في (فرفنقان) وسوف نبحث كل ما يتعلق بما ذكر في ذلك الوقت . فأبدى استعداده لذلك .

بين الملكة والأمير :

طلبت أن آخذ صورة تذكارية بين الملكة وزوجها الأمير ففرح بذلك ونادى امرأة أحضرت له ملابس عربية لبسها ونحن معه وكان قبل ذلك عليه قميص قصير وسروال وطاقية من القش . أما الآن فقد نزع القميص القصير ولبس ثوباً عربياً واسعاً طويلاً إلا أنه يرتفع عن القدم قليلاً شبيهاً بالقميص العربية الطويلة التي يلبسها العمانيون وطربوشاً أحمر قصيراً في أعلاه مجموعة من الخيوط السوداء والتي كانت العامة في نجد تسميها (فيس) عندما كان الناس في الجزيرة يلبسونها تقليداً للأتراك . ثم أدار على الطربوش عمامة طويلة ولكنها ليست عريضة بحيث أدار عدة طيات منها ولكن أعلا الطربوش بقي بارزاً .

وبدا الرجل مزهواً بهذه الثياب العربية فخوراً يخطو وكأنه يحجل ورفع حاجبيه وهو ينظر إلى كل واحد ، ويزم شفتيه يرفعها إلى أعلى وهو يتكلم . وعندما أخبرته أن الملابس العربية هذه هي التي نلبسها في البلدان العربية في مكة مثلاً ما عدا الطربوش الذي هجر منذ زمن فرح بذلك وازداد فخراً ومن المفارقات الطريفة أن هذا الأمير في هذا الركن القَصِيِّ الخفي من العالم قد امتنع عن أن تؤخذ له صورة إلاَّ وهو يرتدي الملابس العربية وأنا الذي ألبس الملابس العربية في العادة أرتدي الآن ملابس افرنجية ذلك بأن القوم في

العاصمة نصحوني ألا أظهر بمظهر يميزني عن الآخرين التماساً للأمن ولاعتبارات أخرى تتعلق بمهمتنا .

أما الملكة فقد كانت دخلت إلى غرفة في البيت ثم عادت وقد لبست ثيابها الملكية قيصاً أخضر لا أدري عن طوله لأنه مستور من أسفل الصدر برداء مخطط بخطوط قرمزية وسوداء وقد وضعت على رأسها ورقبتها شالاً أبيض وبدت في هذه الثياب أكثر وجاهة ألا أنه بان على وجهها أكثر أن صحتها ليست على ما يرام فقد كانت علامات عدم الصحة وهي في ملابسها الأولى منسجمة مع تلك الملابس غير المعتنى بها

ووقفت بينها لأخذ الصورة وكانت الملكة تبدو رزينة غير مهتمة بالأمر أما الأمير فإنه فرح جداً بهذه الصورة حتى إذا لمع ضوء المصورة في عينيه يعلن التقاط الصورة قفز وصفق بيديه .

وهذا يدل على اعتزازه بملابسه وعلى أن المصورات عندهم غير موجودة وإلا لما كان يحتفل بالصورة كل هذا الاحتفال .

وعندما انتهى التصوير لم أشأ أن أغادر المكان دون أن أجعل الملكة تتكلم فقلت للمترجمة : أخبريها أننا من المملكة العربية السعودية وأننا سنبلغ إخواننا ونبلغ أخواتها المسلمات أننا قد رأيناها ونحمل لهن تحية منها فمن أين أصلها ؟

فقالت الملكة : أن أصلها من بلاد العرب فقلنا : من أي جزء من بلاد العرب قدم أجدادها قالت : من مكة . فسألناها وما اسم أجدادها قبل أن يغادروا مكة ؟ فقالت : إنها لا تدري وهنا قال زوجها أن أجدادها قدموا إلى هذه البلاد بعد عام ١٥٠٠ م ميلادية بقليل .

وكان في المجلس امرأة يبدو أنها شابة لأن معها طفلاً تخرج ثديها أمام الناس وترضعه مع يقيني أن ذلك الثدي ليس فيه شيء من اللبن لأنه نحيل ضعيف وهي تبدو صفراء اللون كأنها العليلة مع أنها أكثر بياضاً من جميع من في البلدة بل أن لونها في مثل لون البدويات في الجزيرة في الوقت الحاضر إلا أنه يظهر أنها وأكثر أفراد هذه القبيلة في هذا المكان الرطب المليء بالمستنقعات ومع الحلفاء الذي لا يعرف النعال ربما تكون مصابة

بطفيليات معوية تساعد على هدر الغذاء واعتلال الصحة واصفرار اللون . وسألنا الأمير عنها فقلنا : من تكون هذه المرأة ؟ فقال : إنها ابنتي .

وجعلت أرقب الملكة وزوجها وابنتها وحفيدتها بالنسبة إلى من يشابهون من العرب فإذا الملكة تشبه عجوزاً بدوية بائسة سمراء والبنت تشبه امرأة مريضة من أهل نجد والطفل يشبه أحد صبيان تهامة . والأمير يشبه أحد الحضارمة البدينين الذين يسكنون بين الساحل والداخل في حضرموت فهو أكثر بياضاً من سكان الساحل الحضرمي وأقل بياضاً من سكان الداخل ولكن تقاطيعه تشبه الحضرميين .

وبقي عليّ أن أعرف اسم الملكة فسألت عن اسمها لأنها كما قلت قد جلست في طرف مجلسنا كما تفعل المرأة العربية المحافظة فأخذ يفكر ويلتفت إلى من حوله ثم قال : اسمها باسولا التي أصلها بتول بنت موسى ونظراً إلى أن هذا الاسم غير واضح أنه عربي فربما كان يتذكر اسماً عربياً آخر. على أن عدم الاهتمام بالاسم أمر ليس مستغرباً . في هذه البلاد كما سنقص ذلك بعد العودة إلى (وي وين) ثانية في هذا المساء .

إلى فرفنقان :

وتنطق بفتح الراء في أولها . وقد حاولت أن أعرف معنى اشتقاق اسمها واسم (وي بن) فلم أعرف .

خرجنا من عرين الملكة مع هذا السلم نازلين من البلدة المقامة على التلة وقال زميلي الشيخ الدكوري : إن بيت الملكة والأمير يكون عادة في مكان عال من البلدة إجلالاً واحتراماً .

كنت أهبط مع الدرج وأنا لا أكاد أصدق ما رأيت بل أقول في نفسي : أأنا في نوم أم في يقظة فقد اختلطت مشاعر الفرح بالحصول على معرفة شيء مجهول بمشاعر المرارة والحسرة على ما علمناه من حال أولئك القوم بمشاعر الأسف على ما هم عليه من الحال مع وجود الامكانات المادية التي تجعلهم أحسن حالاً إذا ما أخذوا بها ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

الرياض : محمد بن ناصر العبودي

صُوَيْر: قديماً وحديثاً

[سيصدر قريباً كتاب «بلاد الجوف — أو دُومة الجندل» تأليف الأستاذ الباحث الشيخ سعد بن عبدالله بن جُنَيدل، ويسر مجلة «العرب» أن تَعْرِض للقارىء الكريم فصلاً من فصول ذلك الكتاب الطريف — وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) و(صُوير) من المناهل القديمة التي تحدثت عنها في كتاب «شمال المملكة» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»][1].

صُوَيْر :

بضم الصّاد المهملة وفتح الواو ثم ياء مثناة ساكنة وآخره راء مهملة، على لفظ تصغير صُور: ماء قديم وقد أقيمت عليه قرية زراعية، يقع شرقاً من مدينة سكاكة على بعد خمسة عشر كيلاً تقريباً غير أنه يعترض بينه وبين مدينة سكاكة كثبان رملية لا تجوزها السيّارة بسهولة فيؤتى إليه من طريق أطول. تسلك الطريق المسفلت الذاهب إلى مدينة عرعر، حتى تبلغ مركز زلّوم على بعد عشرين كيلاً تقريباً ثم تخرج منه في اتجاه جنوبي شرقي مع طريق وعر غير ممهد يتعثر في منخفضات رملية غزيرة ويتجشّم عقبات جبلية وعرة تارة أخرى، كثير الالتواءات والمضايق حتى تصل إلى قرية صوير على بعد اثني عشر كيلاً من مركز زلوم. تأسست هذه القرية عام ١٣٨٠ هـ، وسكانها قبيلة القعاقعة — واحدهم قعقاع — من الرّولة من عنزة، وعمدتهم مرعي بن مليح القعقاع وابن عمه مهل بن خشم القعقاع.

وصوير قد ورد ذكره في المعاجم القديمة باسم «صَور» بفتح أوله وثانيه، وذكر أيضاً بزيادة ألف في آخره مقصور «صَورَى». وقد ذكره المتنبي في قصيدة له وذكر معه عدة مواضع قريبة منه، وفيها يقول:

وجَـابَتْ بُسَـيْـطَـةَ جَوْبَ الرِّدا ءِ بـيـنَ النَّعام وبـينَ المَـهَـا

---

(١) أنظر عن المواضع الواردة في هذا المقال (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» تأليف حمد الجاسر.

إلى عُقْدَةَ الجوف حتّى شَفَتْ بماء الجُراوِيِّ بَعْضَ الصَّدَا
وَلَاحَ لَهـا صَوَرٌ والصَّباحَ ولاحَ الشغورُ لها والضَّحَا

قال ياقوت : قال الواحديّ في شرح الأبيات : والصّواب صَوَرَى ، عن الجرميّ .

وقال البكري : على وزن فَعَلَى ، ذكره سيبَوَيْهِ .

وقد ورد ذكر صوير مقروناً بذكر الوديان الواقعة شرقاً منه وذكر الجوف في قصيدة للشاعر الشعبي مغبّ الدريعي الرويلي يذكر فيها المعركة التي جرت بين الشعلان وبين العواجي ، في نقرة الحيران ، وكان قائد الشعلان فيصل بن شعلان ، وقتل في هذه المعركة خلف الأُذُن العواجي ، قال مغبّ الدّريعي في قصيدته : (١)

حرّ شَلَعْ يَوْم البَوَاشِق مَخَامِيْرْ عَدْلَ المَناكِبْ مِسْفِهِلٍّ الْحجَاجِ
شَهَرْ من الوِدْيَانْ واسْنَدْ من الشّيْر وفي نِقْرة الْحِيْران صَاد الْعَواجيَ
أيْمَن مكاسِيْبهْ وطَا الجَوْف وصْوَيْرْ وأيْسر مكاسيْبه وَطنٍّ النّباجِ
بشْرقي جبال غُنَيْم جِبْنَا المغَاتِير وضحى تلَاعَجْ كنّها عَظِمْ عاجِ

الوديان : عدة أودية متوازية يطلق على مجموعها هذا الاسم ، وقديماً يقال لها الأوداه ، والأودية ، وأشهرها وادي عرعر ووادي أبا القور .

النباج : ماء قديم معروف ، يقع في وادي السرحان وفيه قرية صغيرة ، قريب من ماء الميسري ، غرب بلاد الجوف ، قال ناصر الكذيبة الشّراري :

يَا عَيْن ماكنّك على جَال زَافُورْ دمْعِكْ غَرِيْف المَيْسِرِي والنّباجِ

غنَيْم : جبل أسود يطلّ على بلدة تيماء من الجنوب .

ويقع صُوَير في بطن منخفض ذي تجاويف عميقة ، يحفّ به من الشرق مرتفعات جبلية ذات اتجاه غربي قائم ، وانحرافات شرقية متدرجة ، وسطوحها مستوية قد بدت

فيها آثار التعرية المائية القديمة واضحة كما أن الرياح قد أخذت دوراً ذا أثر واضح في تجاويفها وفي ترسباتها الرملية المتقنة ، وهذا الوصف عام في بلاد الجوف الممتدة من منحدر خشم زلّوم إلى المرتفعات الواقعة غرباً من دومة الجندل .

ويبدو لي أن هذا المنخفض الممتد ذَا التجاويف الهابطة كان في فترة زمنية سحيقة بحيرة مائية طامية ، ويؤيد هذا القول ما تشاهده وأنت تسير في هذه البلاد من القور الصغيرة المخروطية الأشكال والصّخور الطبقيّة التي لا يخالجك شكّ في أنها تكونت نتيجة لترسبات بحرية قديمة ، ويمتد منخفض صوير صوب الجنوب إلى قرية هُدَيب ، حافًّا به من الغرب كثبان رملية متصلة ، ويأتي فيما بينه وبينها واد يأتي من الشمال ، وهو الوادي الكبير الذي يأتي من ناحية قرية الشُّوَيْحِطِيَّة ، وتستقر سيوله في خبة في جانب الكثبان الرملية غرب قرية صُوَيْر .

ويبلغ امتداد هذا المنخفض الذي يشمل قريتي صُوَيْر وهُدَيْب من الشمال إلى الجنوب ما يقارب عشرين كيلاً ، أما سعته من الغرب إلى الشرق فانها تتراوح بين أربعة أكيال إلى خمسة ، بين مكان وآخر .

وسكان قرية صوير رغم أنهم مستقرون ويعملون في الزراعة ، وقد مضت على استقرارهم فيه عدة سنوات فإنهم ما زالوا يسكنون في بيوت الشعر وحالتهم المادية ضعيفة ، لا يملكون شيئاً من الإبل أو الغنم وقد اتجهوا للزراعة ، وفيه (٢٦) بئراً ارتوازية مزروعة و(١٦) بئراً ارتوازية أخرى معطّلة ، لعجزهم عن زراعتها . وعامتهم يستفيدون من مخصّصات الضّمان الاجتماعي .

أمّا ماء الآبار فإنه عذب ووفير ، والتربة طينيّة خفيفة وجيدة للزراعة ، ويعتمد الزارع في الزراعة على محاصيل الخضَر الصّيفية ، كالشمام والخيار والكوسة والباذنجان وغيرها .

وطريقتهم في زراعة هذه الخضر سليمة ، أما أشجار الفاكهة فانهم يزرعونها بطريقة

غير سليمة وبعضها يجود في ثمره كالعنب والمشمش ، وينقصهم الفهم لأمور الزراعة إلى جانب ضعف قدرتهم المادية واعتمادهم في رفع الماء على مِضخّات (موتورات) غير جيدة ثم حداثة الزراعة والخبرة الزراعية عندهم إضافة إلى قلة الأيدي العاملة وارتفاع أجورهم .

وفي قرية صُوَير مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ، وفيها مستوصف صحّي ، فيه دكتور وممرضة وصيدلي ، وقد أقيم للمدرستين وللمستوصف أبنية بالاسمنت والخشب ، وفيها مركز حكومي فيه موظفون ولهم رئيس مرتبط في جميع شوونه بإمارة الجوف وبهذا المركز تناط شؤون قرية صوير وقرية هديب . ورئيسه في هذا العهد يدعى : عيد بن سلطان من قبيلة الدّعاجين من عُتيبة ، وهو قديم العهد في بلاد الجوف وقد تنقّل في رئاسة عدة مراكز من المراكز التابعة لإمارة الجوف ، وقد لقي منه العاملون في مركز الحملة في هديب وفي صوير حفاوة وإكراماً برهن عن كرم عربي أصيل ، كما دل على مدى تقديره لما يقومون به من جهد في أداء واجبهم في التدريس والتوعية والإرشاد .

الرّولة في صُوَير :

سبق أن ذكرت أنني وصلت إلى مركز الحملة في صوير في الثلاثاء الموافق ١/٦/ ١٣٩٥ هـ ، والتقيت بأفراد أهله في فصول الدراسة وفي حلق الوعظ والذكر ، ولبثت فيه عدة أيام عملت فيها مدرساً لمواد الدين ومرشداً في كل جلسة وفي كلّ مناسبة وأجيب على أسئلتهم مراعياً في ذلك قدرتهم على الفهم وحاجاتهم النفسيّة وملاءمة ذلك لمداركهم وظروفهم ودوافعهم الاجتماعية ، وكانوا — رغم ضحالتهم الثقافية — يصيخون إلى الوعظ ويصغون إلى الإرشاد ويرتاحون كثيراً لقراءة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ويستجيبون لحصص الدروس الدينية لأنها تلائم حاجتهم الروحية المقفرة ، فهم في حالة فقر روحي يعانون منها الكثير ، وليس في قريتهم مسجد مبني تقام

فيه الصّلاة — رغم أنهم يقيمون صلاة الجمعة — ويؤمهُمُ في الجمعة رجل منهم ضعيف القراءة ، وثقافته في أمور العبادات ضحلة جداً . وبيوتهم متفرقة وبعضهم يصلّون أفراداً ، أو بأعداد قليلة كل رجلين أو ثلاثة يصلون وحدهم .

أما صلاة الجمعة فانهم يجتمعون لها في بيت كبير من الشّعر ، هُيِّىء لهذا الغرض يتّسع لهم ، وهذا البيت يظلّ مطروحاً على الأرض خلال أيام الأسبوع لا يصلى فيه شيء من الفرائض . فإذا كان يوم الجمعة رفع قبل وقت الصلاة وصلّوا فيه صلاة الجمعة وبعد انقضاء الصلاة يطرح على الأرض — كعادتهم — فلا يرفع إلّا في الجمعة القادمة .

ويبدو لي أن اختلافهم في موقع بناء مسجد جامع لهم هو أحد الأسباب لتأخير بنائه ، والأولى بهم أن يهتموا بشأن بناء المسجد لصلاة الفرائض وصلاة الجمعة فيه وألّا يتخذوا منه مبعثاً للاختلاف فيما بينهم ، ولا شك أن تعصّبهم وإصرارهم على الاختلاف على موقعه ناشىء عن جهلهم وعدم اهتمامهم بأمر صلاتهم وإلّا لما بقوا طيلة أعوام يقيمون الجمعة في بيت من الشّعر ، لا يصلى فيه إلا فريضة الجمعة وبقية الأيام يبقى مهجوراً لا يُصلى فيه ، بل ملقى على الأرض ، ومن الواجب أن ينظر في أمرهم من قبل المسئولين ويبنى لهم جامع في الموقع الوسط المناسب ليكون عوناً لهم على إقامة الصلوات فيه جماعة ، وحتى تُقام الجمعة في مسجد معمور بالعبادة في سائر الأيام . وفي زيارة تالية أخبرني أمير الجوف أن موقع المسجد قد حدّد واعتمدت الدولة تكلفة بنائه .

العادات والتقاليد لَدَى أهل صُوَير :

لا يختلفون في عاداتهم وتقاليدهم كثيراً عن غيرهم من القبائل العربية الأخرى ، في ضيافتهم ومناسباتهم في الزواج وغيره ، بيوتهم كبيرة جداً وأعمدتها مرتفعة وهي من الشعر الأسود وبعضها منسوج من القطن الأبيض ، يقسم البيت إلى قسمين أحدهما لأثاث البيت وجلوس النساء وعمل الطعام ، والقسم الثاني لجلوس الرجال ، وفيه موقد محفور في الأرض للنار وتعمل فيه القهوة والشّاي .

وفيه يستقبل الزوار والضّيوف . وتوضع الفرش فيه بشكل دائري لجلوس الرجال ، وتوضع عليها وسائد يتكيُ عليها الجالسون ، بعضها من الاسفنج وبعضها محشوّ بالقطن .

ويقوم من يصب القهوة أو الشاي ويدور على الجالسين قائماً حتى يفرغ منها .

أمّا ضيافتهم فانها تصنع من الأرز واللحم ويوضع بعضه فوق بعض في صحن كبير ، ويتقدم له الضيف والمدعوون ثم يعقبهم الشبان والصبيان كدفعة ثانية فيأكلون بعدهم .

ومن العادات المنتشرة بينهم ظاهرة التدخين ، فالأكثرون منهم يدخنون شيوخاً وشباناً ، ويتعاطونه في مجالسهم ، وفي أحوالهم العادية .

قبيلة القعاقعة :

تمثل قبيلة القعاقعة فرعاً كبيراً من الزولة من عنزة ، وتتفرع هذه القبيلة إلى فروع عدّة وهي :

١ ـــ آل عطية ، وعدد بيوتهم أربعون بيتاً تقريباً ، ويرأسهم العاصي المطارح .

٢ ـــ آل جرذي ، وعدد بيوتهم ستون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم ذيبان بن محيميد .

٣ ـــ المُصْطَفقة ، وعدد بيوتهم خمسة وأربعون بيتاً تقريباً ، ويرأسهم وحش بن بطحي المُصْطَفق .

٤ ـــ الحماميد ، وعدد بيوتهم خمسون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم مناحي بن ضاين الحمادي .

٥ ـــ آل عويبنان ، وعدد بيوتهم خمسة وثلاثون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم شهاب بن قليّل .

٦ ـــ آل وقيت ، وعدد بيوتهم يقرب من خمسين بيتاً ، ويرأسهم مطر بن مشنهص بن نحيت .

٧ ـــ آل ربشان ، وعدد بيوتهم يقرب من ستين بيتاً ، ورئيسهم المني بن حنيان الراوي .

٨ ـــ آل مانع ، ويقرب عدد بيوتهم من خمسة وسبعين بيتاً .

٩ ـــ الغشوم ، ويقرب عدد بيوتهم من ستين بيتاً ، ورئيسهم شبيب بن دغشم .

ويبدو أن هذه الفروع التي يرأس كلاً منها رئيس منه كانت تنقاد لرئاسة بيت القعقاع . وليس كل هذه الأعداد تقيم في بلدة صوير ، بل الأكثرون منهم يعيشون بدوا رحلاً ، والبعض منهم يعيشون في بلدان وقرى غير قرية صوير تبعاً لظروفهم المعيشيّة .

هُدَيْبُ :

بهاء مضمومة ودال مُهملة مفتوحة ثم ياء مثناة ساكنة وآخره باء موحدة ، كأنه تصغير هَدَب : ماء عدّ قديم ، آباره كثيرة ، يقع في جنوبي منخفض قرية صوير ، بينه وبين صوير ما يقرب من أربعة أكيال ، يحف به من الغرب ومن الجنوب كثبان رملية ومن الشرق جبل تقدم وصفه في ذكر صوير ، وفي الشمال منه قرية صوير ، ولا يختلف في تكوين بيئته الطبيعية وظواهره الجغرافية عن صوير ، وقد تقدم الحديث عنه ، ولم أر له ذكراً بهذا الاسم فيما اطلعت عليه من المعاجم الجغرافية وهو واقع شرق مدينة سكاكة ، ويؤتي إليه منها مع نفس الطريق الذي يؤتى معه إلى صوير ، وقد وصفته في ذكر صوير .

وهذا الماء لقبيلة الْفُرَجَة من الرُّوَلة من عَنَزَة ، وقد استقروا فيه وأقاموا فيه قرية لهم . ولا يختلف هؤلاء في أوضاعهم المعيشيّة والاجتماعية عن إخوانهم سكان صوير ، فهم معدمون من الإبل والغنم ، وقد اتّجهوا للزراعة كحال جيرانهم في صوير ، قد احتفروا آباراً ارتوازية وزرعوها ، وطبيعة المياه والتربة ، وكذلك أنواع المزروعات وأساليب الزراعة عندهم لا تختلف في شيء عما هو قائم في صوير ، غير أنهم أحدث استقراراً في قريتهم من سكان صوير ، وبداية استقرارهم كانت عام ١٣٩٢ هـ .

وهي مرتبطة إدارياً بمركز صوير التابع لإمارة الجوف .

ومازال الأكثرون من سكانهم ــ رغم أنهم مستقرون ــ يسكنون في بيوت الشعر ، وقد أخذ العمران يظهر في قريتهم على شكل مساكن صغيرة تبنى بالاسمنت والأخشاب وهي محدودة لعجزهم عن البناء ، وقد شيد في قريتهم مبنى بالاسمنت المسلح لمدرسة البنين ، ومبنى للمستوصف . وليس في قريتهم مسجد معمور تقام فيه الصلاة ، وبيوتهم متفرقة هنا وهناك ولا يجتمعون مع بعضهم لإقامة الصلاة جماعة ، بل كل اثنين أو ثلاثة يصلون معاً لوحدهم . ولم أر منهم اهتماماً كبيراً بأمر المسجد كاهتمامهم بأمر المدرسة .

ويتسم أفراد هذه القبيلة بالهدوء وطيب المعشر رغم فقرهم وخلّو أيديهم من الإبل والغنم ، وعامتهم يستفيدون من مخصّصات الضّمان الاجتماعي .

الرّولة في هُدَيب :

سبق القول أنني انتقلت من مركز صوير إلى مركز هديب في يوم الثلاثاء الموافق ٦/٨/ ١٣٩٦ هـ وقد التقيت في هذا المركز بأفراد قبيلة الفرجة من الرولة سكان هديب ، والدراسة فيه تسير على فترتين ، فترة صباحية يدرس فيها صغارهم ، وفترة مسائية يدرس فيها الكبار ، ويقوم بالتدريس في هاتين الفترتين شابّان من خيرة المدرسين هما : محمد العبلان من أهالي الخرج ، مساعد المدير في (مدرسة اليرموك) في مدينة الخرج ، وسلطان بن خضران العتيبي مدير (مدرسة عمّار بن ياسر) بالرياض اجتمعت بالدارسين في هذا المركز في فصول الدراسة وفي حلق التذكير ، وفي غيرها من المناسبات وقد لاحظت أن لهم رغبة في دراسة القرآن الكريم والثقافة الدينية ، وأنهم يقبلون على حلق الوعظ والإشارد أكثر من إقبالهم على حصص الدّروس في الفصول الدراسية ، وما ذاك إلّا لملاءمتها لحاجتهم النفسية الناشئة عن فقرهم الثقافي وجدب بيئتهم الروحية في هذه المعرفة ، كما أنهم حريصون على حضور الدروس الدينية وفيهم رقة واصغاء عند الذكر ، ولم أر بينهم من العادات والمعتقدات ما يخالف أصول العقيدة الإسلامية .

غير أن الحياة التي عاشوها رُحّلاً في بداوتهم جعلتهم في منأى عن التأثر بالنهضة التعليمية التي شملت أنحاء المملكة مدنها وقراها ، ويبدو لي أن التوعية والإشاد والأساليب التهذيبية أنجع في تثقيفهم من الدروس التي يتلقونها في فصول دراسية ، هذا

بالنسبة لكبارهم ، أما شبانهم وأطفالهم فان المدارس الحكومية الحديثة قد أصبحت موفرة لهم في قريتهم وقد انتظموا فيها ، وهم لا يختلفون عن غيرهم من أبناء القبائل الأخرى في المدن والقرى في إقبالهم على الدراسة وذكائهم الفردي ومستواهم في التّحصيل .

العادات والتقاليد:

لا يختلف سكان هديب عن جيرانهم سكان صُوَير اختلافاً ملحوظاً في عاداتهم وتقاليدهم ، في بيوتهم أو ضيافتهم أو مناسباتهم المختلفة .

عامة بيوتهم من الشعر الأسود ، وبعضها منسوج من القطن الأبيض ، واسعة الأرجاء عالية الأعمدة ، يقسم البيت إلى قسمين رئيسين ، قسم لأثاث البيت وللنساء ، وقسم لاستقبال الضيوف والزوار ـــ وغالباً يكون هو القسم الأيمن في البيت ـــ وفيه موقد للنار محفور في الأرض وتعمل فيه القهوة والشاي ، وتوضع فيه الفرش بشكل دائري ، وتوضع عليها وسائد (مخدّات) بعضها محشوّ بالقطن وبعضها من الاسفنج يتكيء عليها الجالسون ، ويقوم من يصبّ القهوة أو الشاي ويدور بها على الجالسين قائماً حتى ينتهوا منها .

وعامتهم يتعاطون التدخين في مجالسهم ، فالتدخين من العادات الشائعة بينهم ، شيوخاً وشبّاناً ، أما ضيافتهم ـــ وهم بحقّ يَتَحَلَّوْنَ بالكرم ، كرم طبيعي متأصل في نفوسهم ـــ وضيافتهم تتكوّن من الأرز واللّحم ، ويوضع اللّحم فوق الأرز في صحن كبير ويجلس الزوار والمدعوون على الطعام حول الصّحن بشكل دائري . وتتميز قبيلة الفرجة بأن يجلس الضيف والمدعوون على الطعام وحدهم لا يزاحمون عليه ثم يجلس الآخرون بعد فراغهم ، وبأن صبيانهم لا يحضرون عند طعام الوليمة أمام الضيوف والمدعوّين . وإنما يحضر من شبابهم من يخدم في الضيافة ، في حمل ماء الشرب ويناوله من يرغب في الشرب ، وفي صبّ الماء لغسل الأيدي قبل الطعام وبعده ومناولة المنشفة وغير ذلك . وقبل النهوض إلى الطعام يدار على الجالسين بابريق فيه ماء وقدح فارغ فيصب على أيديهم ويغسلونها وهم في مجالسهم ويجمع غسيل الأيدي في القدح الفارغ

ويكفأ بعيداً . أما تقاليدهم في الزواج ، فإنها لا تختلف كثيراً عما هو معتاد عند القبائل الأخرى ، في أسلوب الخطبة والزفاف وحفل الزواج .

تبدأ الخطبة باتصال تمهيدي بين أهل الخاطب وأهل المخطوبة — ونعني بالخطبة طلب التزويج — وليس عقد النكاح كما هو معروف عند أهل تلك البلاد . يتلو ذلك طلب يقوم به ذو وجاهة فيهم فإذا تمت الموافقة تلاها عقد النكاح ، وعند العقد يحدّد مقدار المهر ، وغالباً يكون متوسطاً بالنسبة للمهر عند غيرهم من القبائل التي أخذت تغالي في مهور نسائها ، وفي ذلك دليل على التسامح والتعاون فيما بينهم ، ثم يبعث الصّداق إلى بيت أهل الزوجة ، ومن ثمّ يحدّد موعد الزفاف ، ويتم الزفاف في بيت المتزوج وكذلك حفل الزفاف .

يُعدّ الزوج في بيته طعاماً للأقارب والمدعويّن لحفل الزفاف في ليلة الزفاف ، وتحضر زوجته إلى بيته حيث أقيم حفل الزفاف ترافقها أمه أو أخته أو إحدى كبريات النساء من أسرته ، ويقام الاحتفال — وغالباً تقام عرضة تشبه إلى حدّ ما الرقصة البدوية النجديّة قديماً ، ويسمّونها دحّة ، وكذلك في بلاد الجوف يسمّون هذا النّوع من الرقصة أو العرضة دحّة .

وبلغني أنه يشترك فيها نساء مع الرجال غير أنني لم أرَ شيئاً من ذلك فيما أقيم من مناسبات أثناء وجودي هناك . وقد يكون ذلك في زمن غابر .

وبعد مضي ثلاثة أيام أو أربعة على الزفاف يُدعى الزّوجان إلى بيت أبي الزوجة حيث يقيم ضيافة في بيته يدعو إليها أقارب كلّ منهما ، وبنهاية هذه الضيافة يعود الزوجان إلى بيتهما وتنتهي مناسبات الزواج ، ويوجد في هذه القبيلة شعراء كغيرها من القبائل ، غير أنني لم أسمع بأخبار شعراء مشهورين منهم . وسأذكر نماذج من شعر الرّولة .

ومن شعراء قبيلة الرّولة قربان من المرعض له شعر في أخبار قبيلته ، وقصائده جيدة إلّا أنّها مقطوعات قصيرة منها قوله :

عِلْم لي منْ لَابْتِي يبْري الاوْجاعْ   بْخَشْم اللّبيّد بين خَضْرا ولْيَنهْ
رَكبَوْا لِهْ (الفِدْعان) للشِطّ جِذّاعْ   وكلٌ جَوادِهْ جَاتْ تباري هَجِيْنهْ[٢]

عَلى فَريْق بالخَلَا قِطْم الأَفْزاعْ تِسْعِيْن بَيْتٍ والصّنمْ حَاسْبِيْنِهْ
رَكْبوْا هَل (الهَدْلَا) عَلى كلّ مطواعْ مِنْ فَوق شهْب لَوْن صَافي الشّنْيْنهْ[٣]
مِركاظُهُمْ يَشْبَع بهْ الذّيبْ لِيَاجَاعْ والضّبعَهْ العَرْجَا تصَبّحْ بدِينَهْ
بشِلْف يقطَنْ الفَنَايدْ والاضْلاعْ وكَمْ رَاسْ عَنْ مَتْونِهُمْ قارطِينهْ

كان قربان ذات يوم عند اللكود كبير قرية الحارّة ، في نقرة الجولان ، وكان اللكود فلّاحاً ، وعنده أسراب من الحمام ، أخذت هذه الأسراب تطير ذاهبة وآيبة أمام الشاعر فقال :

الله على رَكْبة حَمَام اللكُودِ يِصْبحْ عَلَيْهن ضَيِّقَ البَالْ مِنْسَاحْ
يَاشلّهنْ مِن عِنْد خَشْمِ العَمُودِ مِنْ الحارَّة لِهنْ انبطٍ بَسْ مِرْوَاحْ[٤]
قطْم الخشُومْ مخضِباتْ الزّنُودِ شِعْوٍ ، يْلاعَبْنَّ الهَبَايِبْ بالأَجْنَاحْ
سَلِّمْ عَلَى اللّي سَاكِنْ بالنّفُوْدِ يُمْضِي كَوانِينَ الشّتابَسْ بِمْرَاحْ[٥]
هَذَا عَلَيْهُمْ مِنْ لَيَالي السُّعُوْدِ يَابَا الخَلَا جَاهُمْ ، وقَالَ : المَطْرَطَاحْ
لَا سَايَلَوْا عَنّي ، وَلَا عَنْ قُعودِ وَلَا هِمَّهْ اللّي قَاعِد عِنْدَ فَلّاحْ

وتنقسم قبيلة الفرجة إلى فروع عدّة ، ولكلّ فرع منها رئيس منهم ، وليسوا مقيمين جميعهم في قرية هديب ، بل الأكثرون منهم بدو رُحّل ، ومنهم من يقيم في مدن وفي قرى متفرقة غير قرية هديب تبعاً لظروفهم المعيشيّة ، وفرعهم كما يأتي :

١ ــ الخُضْعان ، ويبلغ عدد بيوتهم (٦٠) بيتاً تقريباً ، وعامتهم مقيمون في قرية هديب ، ورئيسهم ناصر بن عويضة الخضع ، ويقيم في قرية هديب .

٢ ــ الفلتا ، ويقرب عدد بيوتهم من (١٠٠) بيت ، ورئيسهم عبيد بن مغير الفليتي ولآبائه سابق قيادة فيهم ، وهم مازالوا بدوا رحّلا .

٣ ــ المطلان ، وعدد بيوتهم يقرب من (٤٠) بيتاً ، وعامتهم بَدْو رحّل ، ورئيسهم حومان المشْوِبش ، ويقيم حالياً في قرية هديب ، ولآبائه سابق قيادة وفروسية في عشيرتهم .

٤ ـــ السّمدان ، ويقرب عدد بيوتهم من (٣٥) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم جابي ابن زيدان بن متعب .

٥ ـــ السبّاح : ويقرب عدد بيوتهم من (١٠٠) بيت ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم رايج بن شعيل بن وايل .

٦ ـــ السّواحلة ، وعدد بيوتهم يقرب من (٧٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ورئيسهم قابل بن عياط بن جزلة ، ولآبائه سابق قيادة في عشيرتهم .

٧ ـــ القفيان ، ويقرب عدد بيوتهم من (٥٠) بيتاً ، وهم بدو رحّل ، يرأسهم بطّاح بن حديج البوّاش .

٨ ـــ الرّماح ، بتخفيف الميم ، وعدد بيوتهم يقرب من (١٠٠) بيت ، وهم بدو رحل يرأسهم سُوْدَان ابن جضعان أبا الحشو .

٩ ـــ القدران : ويقرب عدد بيوتهم من (٤٥) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم ليلي بن عود بن قدران .

١٠ ـــ المُدَهرشة ، ويقرب عدد بيوتهم من (٦٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم عبد الله بن جدعان المدهرش .

١١ ـــ العزول ، وعدد بيوتهم يقرب من (٤٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، يرأسهم خلف بن شطيط الْعَزْلي .

١٢ ـــ المشيط ، وعدد بيوتهم يقرب من (٥٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم معيوف بن فقيرة ابن مشيط .

١٣ ـــ البادي ، وعدد بيوتهم يقرب من (٢٠) بيتاً ، وهم لاحقون بالخضعان في قيادتهم .

وحدثتُ أن قيادة بيت الخضع تمثل قيادة عامة لهذه الفروع ، ويترأس قيادتها في هذا العهد ناصر بن عويضة الخضع ، ويقيم في قرية هديب ، وهو شاب نشط ، تبدو ←

مقتطفات :

من كتاب "الإيناس"

[وهذه مقتطفات أخرى من كتاب «الايناس» تتعلق بأخبار العرب وأمثالهم ، استقاها الوزير ابن المغربي من مؤلفات لم تصل إلينا بعد .

وقد صدر كتاب «الإيناس» من مطبوعات (النادي الأدبي في الرياض) ومنشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

ولكن البحث قد أعِدّ للنشر قبل صدور الكتاب] .



تِقْنٌ :

في عَادٍ : تِقْنٌ .

وفي تَمِيمٍ : امْرَأَةٌ اسمُهَا : تِقْنُ بنْتُ شَرِيْقِ بن غَنْمٍ ، من بَنِي جُشَم بن سَعْدِ بن

← عليه سمات الذكاء ، يتحلّى بالكرم ودماثة الأخلاق وبعد النظر ، احتفى بأعضاء الحملة الذين يزاولون التدريس في مركز هديب ، وبذل جهداً ملحوظاً في اجتذاب أفراد قبيلته إلى الانتساب إلى هذه المدرسة واقناعهم بفائدتها وجدواها ، وأشاد بما توليه الحكومة من الاهتمام في سبيل مكافحة الأمية بين أفراد المواطنين بشتى الطرق ومختلف الوسائل ، وكان يتفقد حضورهم بين حين وآخر ، ويجلس معهم في فصول الدراسة وحلق التوعية والتذكير.

الرياض : سعد بن عبد الله بن جنيدل

مقتطفات :

من كتاب "الإيناس"

[وهذه مقتطفات أخرى من كتاب «الايناس» تتعلق بأخبار العرب وأمثالهم ، استقاها الوزير ابن المغربي من مؤلفات لم تصل إلينا بعد .

وقد صدر كتاب «الإيناس» من مطبوعات (النادي الأدبي في الرياض) ومنشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

ولكن البحث قد أُعِدّ للنشر قبل صدور الكتاب] .



تِقْنٌ :

في عَادٍ : تِقْنٌ .

وفي تَميمٍ : امْرَأةٌ اسمُهَا : تِقْنُ بنْتُ شَرِيْقِ بن غَنْمٍ ، من بَنِي جُشَم بن سَعْدِ بن

← عليه سمات الذكاء ، يتحلّى بالكرم ودماثة الأخلاق وبعد النظر ، احتفى بأعضاء الحملة الذين يزاولون التدريس في مركز هديب ، وبذل جهداً ملحوظاً في اجتذاب أفراد قبيلته إلى الانتساب إلى هذه المدرسة واقناعهم بفائدتها وجدواها ، وأشاد بما توليه الحكومة من الاهتمام في سبيل مكافحة الأمية بين أفراد المواطنين بشتى الطرق ومختلف الوسائل ، وكان يتفقد حضورهم بين حين وآخر ، ويجلس معهم في فصول الدراسة وحلق التوعية والتذكير.

الرياض : سعد بن عبد الله بن جنيدل

زَيْدِ مَنَاةَ كانتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا ، وَكانَ أَخُوهَا الرَّيْبُ بنُ شَرِيْقٍ من فُرْسان بَنِي سَعْدٍ وأَشرافهِم وكَانَتْ لَهَا ضَرَّةٌ ، ولِضَرَّتِهَا ابْنٌ يُقَالُ لهُ الْحَمِيْتُ ، فَوقَعَ بَيْنَ تِقْنٍ وضَرَّتِها شَرٌّ فاستَّبتَا فَغَلَبتْهَا تِقْنٌ ، فلما سَمِعَ ذَلِكَ الْحَمِيْتُ ، أَخَذَ الرُّمْحَ فَطَعَنَ بِهِ في فَخذِ تِقْنٍ فأنْفَذ فَخذَها ، فلمَّا رآى ذلكَ أَبوهُ كَرِهَ أن يَبْلُغَ أَخاهَا ذَلكَ ، فاسْتَكْتَمها إِيَّاه عَنْهُ ، على أَن يُعْطِيهَا ثلاثينَ من الإبلِ ، فَرَضِيَتْ ، وأَخَذَتْ الإبلَ فوسَمَتها بِمِيْسَمِ أخيْهَا الرَّيْبِ ، وأَلْحقَتْهَا بإبِلِهِ فكَانَتْ فِي إبلِهِ ما شَاءَ اللهُ ، ثم إِنَّ سُفْيَانَ بْنَ شَرِيقٍ ، أَخَا الرَّيْبِ ، وردَ المَآءَ بإبِلِهِ وكَانَ بيْنَهُ وبيْنَ الحَمِيْتِ كَلاَمٌ ، فَضَربَهُ الْحَمِيْتُ فأَدْمَاهُ : فأَتَى سُفْيانُ أَخَاهُ الرَّيب فأَعْلَمَهُ ، فَرَكِبَ فرساً لهُ يُقَال لهُ : هَدَّاجٌ ، ثم لَحِقَ الْحَيَّ وهُم سائِرُونَ ، فقَالَ : مَنْ أَحَسَّ لي من بَكْرٍ أَوْرَقَ ضَلَّ من إبلي ؟ فيقُولونَ : مَا رَأَيْنَاهُ ، فَمضَى حتى لَحِقَ الحَمِيْتَ وَهُوَ يَسِيرُ في سَلَفِ الحيِّ ، فقَالَ : هَلْ أَحْسَسْتَ من بَكْرٍ أورقَ ضَلَّ من إبلي ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُه ، ثُمَّ إنَّ الرَّيْبَ أَلْقَى سَوْطَهُ كَأَنَّهُ وَقَعَ منه ، وَقَالَ لِلْحَمِيْتِ : نَاوِلْني سَوْطِي ، فأَكَبَّ لِيُنَاوِلَهُ السَّوْطَ ، فقالَ الرَّيْبُ : أَعَكْرتَيْنِ بِالضَّفِيْرِ؟! ثم ضربَهُ بالسَّيْفِ عَلَى مَجامِعِ كَتِفَيْهِ ضَرْبَةً كَادَتْ تقعُ في جَوْفِهِ ، ثُمَّ مَضَى عَلَى فَرَسِهِ ، وَذَهَبَ قَوْلُهُ «أَعَكْرَتَيْنِ بِالضَّفِيْرِ» مَثلاً .

والضَّفيرُ : حَبلٌ مَضْفُورٌ ، يَقُولُ أَتعكرُ عليَّ عَكْرتَيْنِ ، أَيْ تَعْطِفُ عليَّ مرَّتَيْنِ تَضْرِبُنِي بِالْحَبْلِ ، والعَكْرُ . الرُّجُوعُ .

وقَالَ الرَّيْبُ في هذه القِصَّة :

بَكَتْ تِقْنٌ فأَوْجَعَنِي بُكَاهَا ... وعَزَّ عليَّ أَنْ وَجِعَتْ نَسَاهَا
دَلَفْتُ لهُ بأَبْيَضَ مَشْرفيٍّ ... أَلَمَّ عَلَى الْجَوانِح فاْختَلاَهَا
وَكَانَ مُجَرَّباً سَيْفِي صَنِيعاً ... فَيالكَ نَبْوَةً سَيْفِي نَبَاهَا

في أبياتٍ :

حَبْشِيَـةُ :

في خُزَاعَةَ : حَبْشِيَّةُ ـــ مَفْتُوحُ الحَآءِ مُسَكَّنُ البَآءِ مَكسُور الشين ، مُخَفَّفُ اليَـاءِ .

وقد قَال قَوْمٌ : إنه حَبشِيَّةُ ، مُشَدَّداً ، والأوَّلُ هُو الصَّحِيحُ والحَبْشِيَةِ عندَ أبي بِكْرِ بن دُرَيد : النَّمْلَةُ الكَبِيْرةُ . وهُوَ حَبْشِيَةُ بن سَلُول ابن كَعْبِ بن عَمْرِو بن لُحَيٍّ ، واسمُ لحَيّ : رَبِيْعَةُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو مُزَيْـقِيَاء بنِ عَامِرٍ مآءِ السَّمَاءِ بن حَارِثة الغِطْرِيف بن امرىء القيس بْنِ ثَعلبة بن مازن بن الأَزْدِ .

وقد قيل الغطريف بن ثعلبة بن امريء القيس بن مازن .

فَمنْ بُطون حَبْشِيَةَ : بَنُو قُمَيْرِ بن حَبْشِيَةَ ، مِنْهُمْ قَبِيْصَةُ بنُ ذُوَيبِ بْنِ حَلْحَلَةَ بْنِ عَمْرِو بن كُلَيْبِ بْنِ أَصْرَم بن عَبْدِالله بن قُمَيْرٍ ، كانَ على خَاتَمِ عَبْدِ المَلكِ بن مَرْوَان ، وَكانَ كالْوَزِيْر لهُ ، وشَدِيْدَ الخُصُوصِ بِهِ ، وَكانَ يُكنَى أَبَا اسْحاقَ . ومَاتَ في أَيَّامِ عَبْد المَلكِ .

وقَد أنْكَر بَعْضُ أهْلِ السِّيَرِ ، ذَلِكَ وقَالُوا : إنَّهُ خَدَمَ الْوَلِيْدَ أيضاً وخُصَّ به .

وقبيصةُ كانَ قَدْ بَلَغَ من لَطَافَةِ مَحَلِّهِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ أنَّهُ كَانَ يَفُضُّ الكُتُبَ وَيقرؤُهَـا قَبْلَ وُقُوفِ عَبْدِ الملكِ عَلَيْها .

وكَانَ مَرْوَانُ قَد عَهِدَ إلَى ابنِهِ عَبْدِ العزيز بَعْدَ عَبْدِ المِلك ، فَلَمَّا تَمكَّنَ عَبْدُ الملكِ هَمَّ بخَلْعِهِ والعَقْد لابْنَيْهِ الوَلِيدِ وسُلَيْـمَانَ ، فنهاهُ عَنْ ذَلِكَ قَبِيصةُ وقَالَ : لَعلَّ المَوْتَ يَأْتِي عَلَيْهِ فَتَسْتَرِيحَ منه .

فَوَرَدَ الكِتَاب في جمادى الأولى من سنة خمسٍ وثمانين بمَوْتِهِ فَفَضَّهُ قَبِيصَةُ وَقَرأهُ ودَخلَ إلى عَبْدِ المِلكِ فَعزَّاهُ بأخِيهِ عبدِ العَزِيزِ فوَلَّى عبدُ الملك ابنَهُ عَبْدَالله بنَ عَبْد المِلكِ مِصْرَ ، وَعقَدَ لابْنَيْهِ الوَلِيدِ وَسُلَيْمانَ العَهْدَ .

ومن بُطُونِ حَبْشِيَةَ ضاطِرُ بْنُ حَبْشِيَةَ ، مِنْهم قَيْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُنْقِذِ بن عُبَيْدِ بن ضَاطِرٍ الشَّاعِرُ المعرُوفُ بِقَيْس بْنِ الحُدَادِيَّةِ الخُزَاعِيُّ . وَيُنْسَبُ إلى أُمِّهِ . وهيَ الحُدَادِيَّةُ ، من حُدَادَ واسمُ حُدَادَ : رَبِيعَةُ بنُ مُعاوية بن بَذَاوَةَ بن ذُهْلِ بن طَرِيْفِ بن خَلَفِ بْنِ مُحَارِب بن خَصَفَةَ ابن قَيْس بْن عَيْلاَنَ .

وَقَد قِيْل : إنَّ أُمَّهُ مِن حُدَادِ بْنِ مَالِكِ بْن كِنَانَةَ . وَالأَوَّلُ أَثْبَتُ عِندَ أبن حَبِيب ، ومَن قَوْلِ قَيْسٍ هَذَا :

وَمَا زِلْتُ تَحْتَ السِّتْرِ حَتَّى كَأَنَّني   مِنَ الظَّلِّ ذُوْ طِمْرَيْنِ فِي الْبَحْرِشَارِعُ
وإِنِّي لَأُغْضِي الطَّرْفَ عَنْهَا تَحَمُّلاً   وقَلْبِي إلى أَسْمَاءِ عَطْشَانُ جَائِعُ
تَقُولُ وَعَيْنَاهَا تَفِيْضَانِ عَبْرَةً :

— الأبيات المعروفة

ومن قوله :

فَأَطْيِبْ بِهَا لِمَنْ تَكُونُ ضَجِيْعَهُ   إذَا مَا الثُّرَيَّا ذَبْذَبَتْ كُلَّ كَوْكَبِ
مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ تُؤْتِيْكَ شِيْمَةً   عَلَى حَصَرٍ فِي صَدْرِهَا وتَهَيُّبِ

ومن قَوْلِهِ :

وإنَّ ضَعِيْفَ الرَّأْيِ مِنْ هَاجَ شَوْقَهُ   خِيَامٌ عَلَى قُرَّان بَادٍ ثُمَامُها
مَرَرْتُ بِفَلْتٍ والبُحُورَ كَأَنَّها   قِلادَةُ جَزْعٍ سُلَّ مِنْهَا نِظامُها
إِذَا سُمْتُها التقبِيْلَ صَدَّتْ وأَعرضَتْ   صُدُودَ شَمُوْسِ الْخَيْلِ ضَلَّ لِجَامُها
وَعَضَّتْ على إِبْهَامِها ثُمَّ وَاءَلَتْ   حِذَارَ الْبُيُوْتِ أَنْ يَهُبَّ نِيَامُها

ومن قَوله :

فَيَوْمَانِ يَوْمٌ في الْحَدِيْدِ مُسَرْبَلاً   ويَوْمٌ مع البِيْضِ الكَوَاعِبِ لاهِيَاْ

إذَا ما طَوَاكِ الْبُعْدُ يَا بِنْتَ مالِكٍ   فشأْنُ المَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشانِيا

وابنُ أخي قَيْسٍ هُوَ: الجَوْنُ بنُ عَبْد العُزَّى بْنِ مُنْقذٍ الشَّاعِرُ القَائِلُ:

فَنَحْنُ خَلَطْنَا الْحَرْبَ بِالسِّلْم فَاسْتَوَتْ   وَأَمَّ هَواهُ كُلُّ حَافٍ ونَاعِلِ

ومن بُطُونِ حَبْشِيَةَ حُلَيْلُ بْنُ حَبْشِيَةَ، مِنْهُم أبو غُبْشَانَ، وهُوَ المُحْتَرِشُ بن حُلَيْل، وأُخْتُه: حُبَّى بِنْتُ حُلَيلٍ، أُمُّ عَبْدِ منافِ بْنِ قُصَيٍّ.

حدثني عليُّ بن إبراهيم الدَّهكي، عن ابن أبي شَيْخٍ القَنويِّ، عن عَبْدِاللهِ ابن الْمُعْتَزِّ، عن أحمد بنْ يَحْيَى بن جابرٍ البَلاذُرِيِّ، عن عَبَّاس ابْنِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ الكَلبِيِّ، وغَيْرَه من أشياخِه.

وحدثني الحسن بن عبد الصمد بن الحسين، عن أبيه، عن أحمد بْنِ ابراهيم الإشنانِيِّ عن أحمد بن عُبَيْدٍ النحويِّ، عن الوَاقديِّ، عن رِجاله.

وأُخْبِرْتُ أيضاً عن محمد بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ صاحب «السيرة»، ومعنى الحديث كله متفق إلا أنَّ ألفاظه والزيادات في شروحه تَخْتَلِفُ، فَقَصَدْتُ عمودَ [الْمَعْنَى] وزدتُ فنقصت لِيَطَّرِدَ نَسَقُ الْحَدِيْثِ على غَايَةِ الاخْتِصَارِ.

قالُوا: كانَ قَدْ تَزَوَّجَ كِلاَبُ بن مُرَّة فَاطِمَةَ بِنْت سَعْدِ بن سَيَلٍ الأَزْدِيِّ — كما قَدْ شَرَحْنَاهُ في غَيْرِ هَذا الموضع — فَوَلَدَتْ لَهُ زُهْرَةَ وزَيْداً، ومَاتَ عَنْهَا فَقَدِمَ حَاجٌّ مِنْ قُضَاعَةَ. فتَزَوَّجَ رَبِيعَةُ بْنُ حَرام بْنِ ضِنَّةَ الْعُذْرِيُّ فَاطِمَةَ وأرَاد إِخْرَاجَهَا، فَرامَتْ أَخْذَ وَلَدَيْهَا، فَمَنَعَتْهَا قُرَيْشٌ، فتَرَكَتْ زُهْرَةَ وأخَذَتْ زَيداً لِأَنَّهُ كان صَغِيْراً، فَسُمِّيَ زَيْدٌ قُصَيّاً لِذَلِكَ، وقد ذُكِرَ لَهَا شعرٌ قالته كَتَبْنَاهُ في موضعه، من كتاب «أشْعَارِ النِّسَاءِ». ثم إنَّ لِحَاءً جرَى بَيْنَ زَيْدٍ وبين رَجُلٍ من بَني عُذْرَةَ، يُقال له رُفَيْع، فقال له رُفَيْعٌ: الْحَقْ بقومِكَ فَلَسْتَ مِنَّا. فرجع إلى أُمِّهِ فأخبرها وسَأَلَهَا، فقالت: إنَّكَ من قوم أشْرَفُ حَسَباً، وأعزُّ مَنْزِلا، وأَظْهرُ فَضْلاً، وقدْ قالتْ لي كاهِنةٌ رأتْكَ: إنَّكَ تَلِي أمْراً

جَليلاً ، فَطِبْ نَفْساً ، وارْتَحِلْ إلى أرْضِ قَوْمِكَ حَوْلَ الْحَرَمِ ثُمَّ جَهَّزَتْهُ فأَحسَنَتْ جَهَازَهُ وأخرجتْهُ في الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فلما وَصَلَ عَرَفُوْهُ وأكرمُوهُ وأعظَمُوه وَغلبَ على رياسَتهم ، وتَزَوَّجَ حُبَّى بِنْتَ حُلَيْلِ بْنِ حَبْشِيَة ، وكانت خُزاعةُ إذْ ذاك غالِبَةً على وِلاَيَةِ الْبَيْتِ بَعْدَ جُرْهُمَ ، ومَاتَ حُلَيْلٌ وجَعَل المِفتَاحَ في يَدِ ابْنِهِ المُحْتَرِشِ أَبي غُبْشَانَ فَيقُولُ المُتعصِّبُونَ على اليَمانِيَة : إنَّ قُصيّاً اشْتَرى الْمِفْتَاحَ وَوِلاَيَةَ البَيْتِ بِنَاقَةٍ كَانَتْ له ناجِيَةً وَزادَهُ زِقَّ خَمْرٍ فصَيَّرَها إليه ، وكان المُحْتَرِشُ مَضعُوفاً .

وقال آخرون . بَلْ أَوْصَى حُلَيْلُ بِذَلِكَ لِقُصَى إكراماً لِبِنْتِهِ .

فَأَمَّا رِوَايَتُنا عن الواقديّ وابْنِ إسْحَاقَ جميعاً : فهو أنَّ قُصَياً رآى بَعْدَ حُلَيْلٍ أنَّهُ أحَقُّ بِالْبَيْتِ وولاَيَتِهِ لِشرَف نَسَبِه ، فجمع لِذَلِكَ رِجالاً من قُرَيْشٍ وكنانَةَ ، وكاتَبَ أخاهُ من أمِهِ رِزاحَ بْنَ رَبِيْعَةَ ، فأنجدَهُ رِزَاحٌ ، واقْتَتَلُوا ، فَغَلَبَ قُصيٌّ على الأَمْرِ غُلُبَّةً ، وقال فِي ذَلِكَ قُصَيٌّ :

نَحْنُ الْعَاصِمُونَ بنُو لُؤَيٍّ … بِمَكَّةَ مَنصِبِي وبِهَا رَبَيْتُ
لنا الْبطحَاءُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ … ومَرْوتُهَا ، رَضِيْتُ بِهَا رَضِيتُ
فَلَسْتُ لِغَالِبٍ إنْ لَم تَأَثَّلْ … بِهَا أَوْلاَدُ قَيْذر والنَّبْيتُ
قُضَاعَةُ نَاصِرَيْ وبِهِمْ أسَامي … فَلَسْتُ أخَافُ ضَيْماً مَا حَيِيْتُ

فأجابه رِزَاحٌ ، أو قال عَلَى وَزْنِ شِعْرِهِ :

إنِّي فِي الحَيَاةِ أَخُوْ قُصَيٍّ … إِذَا مَا مَسَّهُ ضَيْمٌ أَبَيْتُ
إِذَا يَجْنِي عَلَيَّ بَذَلْتُ نَصْرِي … ويَبْذُل مِثْلَ ذَلِكَ إنْ جَنَيْتُ
نَفَيْنَا عَنْ مَنَازِلِها عَلِيَّاً … فَمَا مِنْهَا بِذِي الأَطْواءِ بَيْتُ

يُرِيْدُ : عَلِيَّ بْنَ مَسعُودِ بْن مازن الغسَّانِيِّ ، لأنَّهُ كان أخا كِنانَة لأُمِهِ ، وكَفَلَ ولَدَه من بَعْدِهِ ، فَنُسِبُوا إليه .

وكانَ قال رِزاحٌ في ذَلِكَ أيضاً :

أَجَبْنَا قُصَيًّا على نَأْيِهِ ... عَلَى الْجُرْد تَرْدِي رَعِيْلاً رَعِيْلا
نَهَضْنَا إلَيْهِ نَقُوْدُ الْجِيَا ... دَ، ونَطْرَح عنَّا الْمَلُوْلَ الثَّقِيلا
ونُدْمِي مِنَ الخَيْلِ أَفْلاءَهَا ... مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَرِقْنَ الصَهِيْلا

والشّعر طويْلٌ، وَإِنَّما نكتُبُ مَا لَعَلَّهُ أنْ يُحْفَظَ مِنْهُ .

وحَبَشِيَّةُ نَفْسُهُ، الذي سُقْنَا هذا القول كُلَّهُ مِنْ أَجْلِهِ، كان شاعراً .

وقَالَ بَكْرُ بْنُ غالِب بْنِ عامِرِ بْنِ الحارِث بنِ مِضاضِ الجُرْهُمِيُّ، بَعْدَ أنْ نَفَتْهُمْ خُزَاعَةُ عنْ مَكَّةَ :

ألاَ لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أبيتنَّ لَيْلَةً ... وأَهْلِي مَعاً بِالْمَأْزِمَيْنِ حُلُوْلُ
وهَلْ أُبْصِرنّ الْعِيْسَ تنفُخُ في الْبُرَى ... لَهَا في مِنىً بِالْمُحْرِمِينَ ذَمِيْلُ

فأجابَهُ حَبَشِيَّةُ :

تَمَنَّى أَمانِيَّ الضَّلاَلِ وإِنَّما ... نَفَتكَ رِجَالٌ ذَادَةٌ وَخُيُوْلُ
تَمَنَّيْتَ أنْ تَلْقَى خُزَاعَةَ بَرْحَةً ... فَقَدْ مَعجتْ مِنْهَا عَلَيْكَ سُيُولُ

وبَكْرٌ هُوَ القَائِلُ يُخَاطِبُ شَاعِراً من خُزَاعَةَ، يقال له : عَمْرُو بْنُ الحارِث بْنِ عَمْرٍو :

يَا عَمْرُو لاَ تَفْجُرْ بِمَكَّةَ ... إِنَّهَا بَلَدٌ حَرَامُ
واسْأَل بِعَادٍ أَيْنَ هُمْ ... أَمْ كَيْفَ تُخْتَرمُ الأَنَامُ
أَوْ بِالْعَمَالِيْقِ الَّذِينَ ... لَهُم بِهَا كَانَ السوَامُ

وَحُلَيْلُ بن حَبَشِيَّةَ حَمُوْ قُصَيٍّ يقولُ الشِّعْرَ أيْضاً، وأَنْشَدُونَا له :

نَحْنُ بنُو عَمْرٍو وُلاَةُ المَشْعَرِ ... نَدُقُّ بالمَعْرُوف أَهْلَ المُنْكَرِ
حُمْساً وَلَسْنَا نُهزَةً لِلْمُحضرِ

الحُمْسُ ، من قُرَيْش وخُزاعَةُ وكنانَةُ ، سُمُّوْا بِذَلِكَ لِتَنْزِيهِهم أَنْفُسَهُم عَنْ مِهْنَةِ الأَغْمَارِ ، وشَرْحُ خَبرِهِم طَوِيلٌ .

حُبَيِّبُ :

(وفي يَشْكُرَ : حُبَيِّبُ) بن كَعْبِ بن يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بنُ وَائِلٍ .

منهُم : بَاعِثُ بنُ صُرَيْمِ بْنِ أَسَدِ بن تَيْم بن ثَعْلَبَةَ بن غُبَرَ بْنِ غَنْمِ بْنِ حُبَيِّبٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ غُبَرُ غُبَرَ لِأَنَّ غَنْماً تَزَوَّجَ أُمَّهُ وهي عَجُوزٌ ، فَقِيلَ : ما أَرَدْتَّ إِلَيْها ؟ فقَالَ : لَعَلِّيْ أَتَغَبَّرُها غُلاماً ، فوَلَدَتْ غُلاَماً فسَمَّاهُ غُبَرَ ، وأَصْلُ ذَلِكَ مِن تَغَبَّرَ الحَالِبُ الضَّرْعَ إِذَا طَلَبَ غُبَّرَ اللَّبَنِ ، أيْ بَقَايَاهُ ، وَكانَ وَائِلُ بنُ صُرَيْمٍ ذَا مَنْزِلَةٍ عِنْدَ المُلُوْكِ ، وَكَانَ مَفْتُوقَ اللِّسَانِ حُلْوَهُ جَمِيْلاً ، فبعَثَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ سَاعِياً عَلَى تَمِيمٍ ، فَأَخَذَ الإِتَاوَةَ مِنْهُم جَمِيْعاً ، فَلَم يَبْقَ غَيْرُ بَنِي أُسَيِّدِ بْنِ عَمْرِو بنِ تَمِيْمٍ ، فأَتَاهُم فجَمَعَ النَّعمَ والشَّاء ، وَأَمَر بإِحْصَائِهِ ، فَبينَما هُوَ قَاعِدٌ عَلَى بِئْرٍ إِذْ أَتَاهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ واغْتَفَلَهُ فدَفَعَهُ في الْبِئْرِ ، واجْتَمَعُوا فرَمَوهُ بالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وتَزْعمُ بنُو أُسَيِّدٍ أَنَّهُمْ رَمَوْا مَعَهُ كَلْباً ورَجَمُوهُما حتَّى هَلَكَا وَهُم يَرْتجزُون :

يـأَيُّـهَـا الْـمَـائِـحُ دَلـوِي دُونَـكَـا   إِنِّي رَأَيْتُ النَّـاسَ يَـحْـمَـدُونَـكَـا

وَبَلَغَ الخَبَرُ أَخَاهُ بَاعِثاً ، فَعَقَدَ لِوَاءاً ونَادَى في بَنِي غُبَرَ وسارَ ، وآلَى أَنْ يَقْتُلَهُمْ حَتَّى تَمْتَلِيءَ الدَّلْوُ عِنْدَ إِدْلاَئِهَا في تِلْكَ البِئْرِ دَماً فوَقَعَ بِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ حَتَّى أَدْلَى أَحَدُهُمْ دَلْواً فرَفَعهَا مَلأَى دَماً ، وقال بَاعِثُ في ذَلِكَ :

سَائِلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثَأَرْتُ بِوَائِلٍ   أَمْ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِها ؟
إِذْ أَرْسَلُوني مَائِحاً بِدِمَائِهِمْ   فَمَلأْتُها عَلَقاً إِلى أَسْبَالِها
وَخِمَارِ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرأْسِها   أُصُلاً وكانَ مُيَسَّراً بِشِمَالِها
وَعَقِيْلَةٍ يَسْعَى علَيْهَا قَائِمٌ   مُتَغَطْرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِها

وفَوَارِسٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَواسِرٍ كَالأُسْدِ حِيْنَ تَذُبُّ عَنْ أشْبَالِها
قَدْ قُدْتُ أوّلَ عُنْفُوَانِ رَعِيْلِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيْبَةٍ أمْثَالِها

وقَالَ في ذلك أُبيُّ بنُ مَسْعُودٍ اليَشْكُرِيُّ، الْمَعْرُوفُ بالمُنَخَّلِ :

قَدْ قَرَى بَاعِثٌ أَسَيِّدَ حَرْبا في النَّواحِيْ يَشُبُّ فِيهَا الضِّرَامَا
جَرَّدَ السَّيْفَ ثَائِرا بأَخِيْهِ يَقْتُلُ الكَهْلَ مِنْهُمُ وَالْغُلامَا
وَمَلأْنَا الرَّكِيَّ حَتَّى عُرَاهَا عَلَقاً يَبْرُدُ القُلُوبَ السِّقَامَا

زِبَانُ :

في غَنِيّ : زِبَانُ بْنُ كَعْبِ بْنِ جِلاَّن بْنِ غَنْمِ بْن غَنِيِّ بْن أَعْصُرَ وهو مُنَبِّهُ بْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْس بن عيلان .

منهم : عُصَيْمَةُ بْنُ وَهْبٍ الزِّبَانِيُّ ، الَّذِي أَسَرَ مَعْبَدَ بْنَ زُرارَة يَوْمَ رحْرَحَانَ . وكانَ سَبَب هذا اليوم : أنَّ الحارثَ بْنَ ظالِمٍ المُرِيَّ لما قَتَل خالدَ ابنَ جَعْفَرِ بْن كِلاَبٍ ، جاءَ فلجأ إلى بني زُرارَةَ فكان الْمُتَوَلِّي لإيوائه مِنْهُمْ مَعْبَدُ بنُ زُرارة ، فلما علم الأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَر بِذَلِكَ ثارَ لِلطَّلَبِ بِدَمِّ أخيْهِ والْتَقُوا بِرَحْرَحَانَ ، وطُعِنَ مَعْبَدُ بْنُ زُرارَة طَعْنَةً أَثْخَنَتْهُ فَسَنَدَ في هَضْبَةٍ فَأَبْصَرَهُ عُصَيْمَةُ بْنُ وَهْب فأَخَذَهُ وحَدرَهُ ، فَأَخَذَهُ مِنهُ عامِرٌ والطُّفَيلُ ابْنَا مالك بن جعفر بن كلاب ، وأَثَابا الْغَنَوِيَّ عِشْرِينَ بَعِيْراً .

وأَتَتْ بَنو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بِمَعْبَدٍ فَوَضَعَتْهُ بالطَّائِفِ عِنْدَ أَبِيْ عَقِيْلٍ جَدِّ الْحَجَّاج ، فكَانَ يُوافي بِهِ الْمَوْسِمَ في كُلِّ سَنَةٍ ، لِيُفْدَى ، وطَلَبُوا فِداءهُ أَلْفَ بَعِيْرٍ ، فقال لَقِيْطٌ : صَبْراً أبا الْقَعْقَاعِ ، فإِنَّا لاَ نَقْدِرُ على هَذَا : فَقَالَ مَعْبَدُ : مَا كَانَ لِيَلْقَانِي أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِي أَشَدَّ بُغْضاً لِيْ مِنْكَ ، فَمَاتَ هَزْلاً وضَعْفاً ، وكَانُوا يَأْتُونَهُ باللَّبن فَيَقُولُ : كيف أَقْبَلُ قِرَاكُمْ وأنا في الْقِدِّ؟! إنِّي إِذَنْ لَمِهْيَافٌ ، أَيْ عَطْشَان ، وكَانُوا يَعْمَدُونَ إِلَى شِظَاظٍ فَيَجْعَلُونَهُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ويُوجِرُونَـهُ لِئَلاَّ يَمُوتَ . ثم إِنَّهُ هَلَكَ عِنْدَهُم ، وَقَال عَوْفُ

بْنُ الْخَرِعِ التَيْميُّ يُعَيِّرُ لَقِيْطاً بِذَلِكَ :

هَلاَّ كَررْتَ عَلَى أُخَيِّكَ مَعْبَدٍ والْـعَـامِـرِيُّ يَـقُـودُهُ بِصَـفَـادِ
وَذَكَرتَ مِنْ لَبَنِ الْمُحلَّق شَرْبَةً والخَيْـلُ تـعَـدو بالـكُـمَاة بَدَادِ
هَلاَّ فَـوارِسَ رَحْرَحَـانَ هجْوتَهُمْ عُشَـراً تَـنَـاوحُ في سَـرَارَة وَادِ
لاَ تأكُـل الإبْـلُ الْغِـرَاثُ نَـبَاتَهُ ولا تَـقُـومُ غُـصُـونُـهُ بِـعِـمَـادِ

وكان عُصَيْـمَةُ هَذَا شاعراً ، ومن قَوْلِهِ :

سأُثْني عَلَيْكُمْ صَادِقاً آل حَابِسٍ ثَناءاً كَرِيح الجَوْرب المُتخرِّقِ
فَلَوْ شِئْتُم آذنْتُموني وصَاحِبِي جَمِيعَيْنِ لم نَعْطَب وَلَمْ نَتفرَّقِ

بَنُو حَابِسٍ من غَنَيٍّ ، ثم منْ عَبِيْدٍ ، وقـد أدركَ الاسلامَ وهَاجَرَ ، واستشهد له أولاَدٌ .

سَدُوْسُ :

في مُضَرَ : **سَدُوْسُ** بن دَارِم بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَة [بن زيد مناة بن تميم] وَوَلَدَ سَدُوْسِ بْن دارِم الْحَارِثَ بْنَ سدوس وَوَلَدَ الْحَارِثُ نَفَراً ، وَأُمُّهُمْ بَسَّةُ بِنْتُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ بِهَا يَعْرفُونَ يُقَالُ لهُم : بَنُو بَسَّة .

ويُقَالُ أيضاً لِبَنِي مُعْرِض بْنِ خَيْبَرِيّ بْنِ دَارِم : بَنُو بَسَّة لِأَنَّهُ خَلَفَ عَلَى بَسَّة هَذِهِ بَعْدَ عَمِّه .

وفي رَبِيْـعَةَ : سَدُوْسُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُهْل بن عُكَابَة بْنِ صَعْبِ بْنِ عَليٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِل .

وفي سَدُوْس ، يقول عُبَيْد بن قُراد الْبَهْرائيُّ :

وَلَوْلاَ سَـدُوْسٌ وقـد شَـمَّـرَتْ بِـيَ الْحربُ زَلَّتْ بِنَعْلِي الْقَدَمْ

وكَانَ أَصْلُ ذَلِكَ — فِيْمَا قَالَهُ أَبُو الْمُنْذَر أَنَّ مَلِكاً مِنْ ملوكِ الْيَمَنِ كَانَ فِيْ يَدَيْهِ أَسْرَى مِنْ رَبِيْعَة وقُضَاعَةَ وغَيْرِهِمْ ، فَوَفَدَ عليهِ وَفْدٌ من وجوهِ مَعَدٍّ وغَيْرِهِمْ فيهم سَدُوْسُ بْنُ شَيْبَانَ ، وعَوْفُ بْنُ مُحلِم بْنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعَوْفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جُشَمِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاة بْنِ عَامِرِ الضَّحْيَانِ النَّمرِيُّ ، وجُشَمُ بْنُ هِلاَلِ بْنِ رَبِيْعَةَ ابْنِ زَيْدِ مَنَاةَ الضَّحْيَانِ ، فَلَقِيَهُمْ هَذَا الْبَهْرَانِيُّ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوهُ عِدَّةَ مَنْ يَسْأَلُونَ فِيْهِ . فَكَلَّمُوهُ فِي الأُسَارَى وفِي جُمْلَتِهِم البهرانيُّ فَأَطْلَقَ لَهُمْ جَمِيْعَهُمْ . فقالَ عُبَيْدُ بْنُ قِرَادٍ في ذَلِكَ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِعَوْفِ الْفَعَالْ ... وَعَوْفٍ وَلابْنِ هِلاَلٍ جُشَمْ
تَدَارَكَنِي بَعْدَمَا قَدْ هَوَيْتُ ... مُسْتَمسكاً بِعَرَاقِي الْوَذَمْ
وَلَوْلاَ سَدُوْسُ وَقَدْ شَمَّرَتْ ... بِيَ الْحَرْبُ زَلَّتْ بِنَعْلِي الْقَدَمْ
وَنَادَيْتُ بَهْرَاءَ كَيْ يَسْمَعُوا ... وَلَيْسَ بِآذَانِهِمْ مِنْ صَمَمْ

فَاحْتَبَسَ عِنْدَهُ بَعْضَ الْوَفْدِ رَهِيْنَةً ، وَقَالَ لِلْبَقِيَّةِ : ائتُوْنِي بِرُؤَسَاءِ قَوْمِكُم لآخُذَ عَلَيْهِمْ مَوَاثِيْقَهُمْ بِالطَّاعَةِ لِيْ ، وَإِلاَّ فاعْلَمُوا أَنِّيْ قَاتِلٌ أَصْحَابَكُمْ . فَرَجَعُوا إلى قَوْمِهِم بِذَلِكَ ، فَبَعَثَ كُلَيْبٌ فِي رَبِيْعَةَ فَجَمعهُمْ . وبَعَثَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ السَّفَّاحَ ، وهو سَلَمَةُ بْنُ خَالِدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ تَيْم بْنِ أُسَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حُبَيِّبْ بْنِ عَمْرو بْنِ غَنْمِ بْنِ تَغْلِبَ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُوقِدَ لَهُمْ عَلَى خَزَازٍ لِيَهْتَدُوا بِنَارِهِ فَإِن غَشِيَهُمْ الْعَدُوُّ أَنْ يَرْفَعَ نَارَيْنِ . وبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ اجْتِمَاعُ رَبِيْعَةَ فَأَقْبَلُوا بِجُموعِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ تِهَامَةَ بِمَسِيرِ أَهْلِ الْيَمَنِ انْضَمُّوا إِلى رَبِيْعَةَ . وهَجَمَتْ مَذْحِجُ عَلَى خَزَازٍ لَيْلاً ، فَرَفَعَ السَّفَّاحُ نَارَيْنِ .

ومنهُم عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانِ الْقَائِلُ يَهْجُو الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ : وَيَنْسُبُهُ إِلى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ حَجَّاماً وجدتُ ذَلِكَ بِخَطِّ عليّ ابنِ إِسْمَاعِيْلَ الْمِنْطِيقِ اللُّغَوِيّ .

يَا بْنَ الَّذِيْ ذَلَّتِ الرِّقَابُ لَهُ ... قَاتَلَهُ اللهُ أَيَّمَا رَجُل

أَبوكَ أَوْهَى النِّجَادُ عَاتِقَهُ   كَمْ مِنْ كَمِيٍّ أَدْمَى ومنْ بَطل
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ ومِنْ دَمِهِ   لَمْ يُمْسِ مِنْ ثَائِرٍ عَلَى وَجَل
فِي كَفِّهِ مُرْهَفٌ يُقَلِّبُهُ   يَقُدُّ أَعنَاقَ سَادَةٍ بُطُل

قال ابنُ حَبِيْبَ : كُلُّ سَدُوسٍ في الْعَرِب فَهُوَ مَفْتُوحُ السِّيْن إلاَّ سُدُوْس بْنَ أَصمَعَ .

سُدُوْسٌ :

في مَذْحِج : سُدُوسُ بنُ أَصْمعَ بْنِ أَبَيِّ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ نَبْهَان بن عَمْرِو بْنِ الْغَوْثِ بْن طَيِّءٍ ، وَأَخُوهُ خالدُ بْنُ أَصْمَعَ الَّذِي نَزَل بِهِ امْرُؤُ الْقَيْس بن حُجْرٍ الْكِنْدِيُّ ، وفِيْهِمْ يَقُولُ :

إِذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِراً فَفَاخِرْ   بِبَيْتٍ مِثْل بَيْتِ بَنِي سُدُوْسَا
بِبَيْتٍ تُبْصِرُ الرؤساءَ فِيْهِ   قِيَاماً لا تُنَازَعُ أَوْ جُلُوسا

سَيَلُ :

في الأَزْد : سَيَلُ ، بوزن فعل ، محرّكة العين ، وعينه ياء منقوطة من أسفل نقطتين ، وابنه سعد بن سَيَلُ ، حَمُوكلاب بْنِ مُرَّة بن كعب بن لؤيٍّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة .

وسَيَلُ : اسم جبل عالٍ سُمِّيَ به والد سعدٍ لِطُوْلِهِ ، وهو خير بن حَمَالة — ويقال : (حِمَالة (بكسر الحاء) — بن عوف بن غَنْمِ بن عامر . وهو الجادر بن عمرو بن جَعْثَمة — وقد قيل : خثعمة وحعشمة ، والأوّل أصحّ الثلاثة الأقوال — بن يشكر بن مبشّر بن صعب بن دُهْمَان بن نَصْر بن الأزد ، وإنَّما سُمِّيَ عامرٌ : الجادِر فيما أخبرني به رجال من أهل العلم على اختلاف رواياتهم ، لأنه تزوّج بنت الحارث بن مُضاضٍ الجُرْهُميِّ وكانت جُرْهُمُ إذْ ذاك ولاةَ البيت ، وكان الحاجّ يتمسكون بالكعبة ويأخذون من طينها

وحجارتها تبرُّكاً بذلك . وأنَّ عامِراً كان مُوكلاً بإصلاح ما تشعَّث من جُدُرِها . فَسُمِّيَ الجادِرَ وسُمِّيَ وَلَدُهُ : الْجَدَرَة . وقد قيل : إنه بنى جداراً للكعبة فَسُمِّيَ جادِراً لذلك . والأول أثبت .

وفي سعد بن سَيَل يقول أبو دُوادٍ الإيَادِيُّ :

ما أرى في النّاس طُرّاً رَجُلاً حَضَرَ البَاس كَسَعْدِ بن سَيَلْ
فارِسٌ أضْبَطُ فيه عُسْرَةٌ وإذَا ما واقَفَ القِرْنَ نَزَلْ
وَتَراهُ يَطْرُدُ الْخَيْل كَمَا يَطْرُدُ الحُرُّ القَطَاميُّ الْحَجَل

وكان سعد أولَ من حَلَّى السُّيوفَ بِالْفِضَّة والذَّهب . وكان أهْدَىَ إلى كلابٍ مع ابنتهِ فاطمةَ سَيْفَيْنِ مُحَلَّيْن فَجُعِلا في خزانة الكعبة .

أخبرني الدهكيُّ في كتابه الذي سماه بكتاب قريش ، قال : كان كلابُ بن مُرَّة سَيِّداً في قريش ، ويدعى ذَا الْغُرَّة ، لنور كان يُشْرِقُ بين عينيه ، وخرج في بعض أسفاره ، فوقع لِحَيٍّ من اليمن ، فرآه منهم شيخٌ مُسِنٌّ قد عَشيَ بَصَرُهُ ، وكان عنده علمٌ ، فقال : من أنت ؟ فانتسب له : فقال : نعم ، قدكان جدّك مالكُ بن النَّضر لي أخاً وصاحباً . أخبرني عن الغرّة البيضاء التي كانت في جدّكَ مالكٍ وآبائه مِنْ قَبله ، أهي بك ؟ قال : نعم . قال : فإن كنته فتزوّج أطْهَرَ النساء ، ذات الدَّلِّ والحياء ، بنتَ فارس الهيجاء ، الفتاة الناعمة الدهشمة الحازمة ، التي تُدْعى فاطمة . قال : ومن هي ؟ قال : ما رأيتها ببصري ، ولكن بلغها علمي ، هي بنت سَعْدِ بْن سَيَل ، ذي القواطع والأسَلْ ، فانصرف كلاب وقد صارت المرأةُ شُغْلَهُ ، فقال كلاب :

أفاطِمُ هَلْ ما ألْقينَّكِ مَرَّةً ؟ وهَلْ يَجْمَعُ الدّانِيْنَ صَيْفٌ ومَرْبَعُ ؟
سَأَبْغيْكِ في الأرْضِ العَرِيْضَةِ جاهِداً فأيْأَسُ أو أُعْطَى الّذِي فيهِ أطْمَعُ

ولم يزل كلاب يُرِيغُ سَعْداً حتّى وَقعَ عليهِ ، ووفق في الْخطْبَةَ إليه ، فزوجة ابْنَتَهُ فاطِمَةَ ، فَنقَلَهَا إلى دَارِ قَوْمِهِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زُهْرَةَ ، وهُوَ بِكْرُهُ وبِكْرُهَا ، وبِهِ كان يَكْتَنِي ، وولدتْ له زَيْداً . ومَاتَ وَزَيْدٌ صَغِيْراً . فَوَرَدَ مكّةَ رَبِيْعَةُ بْنُ حَرَام بْنِ ضِنَّةَ بْنِ عَبْدِ كَبِيْرِ بْنِ عُذْرَةَ ، فاحْتَمَلَهَا إلَى بِلادِهِ ، فخلَّفَتْ زُهْرَةَ في قَوْمِهِ ، وَأَخَذَتْ زَيْداً لِصِغَرِ سِنِّهِ ، فَسُمِّيَ زَيْدُ قُصَيّاً لِقَصَآئِهِ عَنْ قَوْمِهِ وولدت لِرَبِيْعَةَ بْنِ حَرَام : رِزَاحَ بْنِ رَبِيْعَةَ ، وحُنَّ بْنَ رَبِيْعَةَ .

ونَحْنُ نَذْكُرُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ مُسْتقصاةً في مَوَاضِعِها ، لِيكون ذَلِكَ أَبْعَدَ بِقَارِيءِ هَذَا التَّعْلِيْقِ مِنْ مَلَلِ بَعْضِ أَبْوَابِهِ وبالله التوفيق .

سَبَلُ :

وفي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ : سَبَلُ بْنُ يَثْرِبِيّ بن امْرِىءِ الْقَيْسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وهوَ جَدُّ الْمَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ سَبَلِ بْنِ يَثْرِبِيّ .

سَامَةُ :

في قُرَيْشٍ : سامَةُ بْنُ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ النَضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاس بْنِ مُضَر . وقد اختلف في أمره وَقيلَ : إِنَّهُ وَكَعْباً أخاه كَانَا يَشْرَبَانِ فَجَرَى بَيْنَهُمَا لِحَاءٌ فَفَقَأَ سامَةُ عَيْنَ كَعْبٍ وخَرَجَ هَارِباً فَأَتَى عُمَانَ .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : في كتاب «نواقِلِ بني نزار» : وَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ بَنِي كِنَانَةَ فَافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ ، بَنُو النَّضْرِ بن كِنَانَةَ ، وعَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ لُؤَيٍّ ، وَبَنُو عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ وعليهم يَعْمُرُ بْنُ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، ويَعْمُرُ هَذَا هُوَ الشُّدَّاخُ وَقَدْ قِيْلَ : الشَّدَّاخُ : بِفَتْحِ الشِّيْن ، والأَوَّلُ أَثْبَتُ عند الْكَلْبِيّ وَإِنَّمَا سُمِّيَ الشُّدَّاخُ لِشَدْخِهِ الدِّمَاءَ بِتَحَمُّلِهِ لَهَا . قال : ثم أصْطَلَحُوا فَوَضَعَ عامِرٌ ابْنَهُ سَعْداً عند يَعْمُرَ ،

وَسَعْدٌ هم الذين يُقالُ لَهُمْ : بُنَانَةُ بحاضِنَة لَهُمْ ، فَوَضَع يَعْمِرُ ابْناً لَهُ عِنْدَ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ . فَشَرِبَ سَامَةُ فَسَكِرَ ، فَمَرَّ بِالْغُلَامِ جَفْرٌ لِسَامَةَ ، فَرَمَاهُ الْغُلَامُ فَوَقَذَهُ فَضَرَبَهُ سَامَةُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ ، وخَرَجَ هارِباً مِنْ عَامِرٍ أَخِيْهِ ، وقُتِلَ ابْنُ عامِرٍ بِهِ فَاقْتَتَلَتْ فِي ذَلِكَ الْفِتَّانِ ، وَكَتَبَ سَامَةُ بْنُ لُؤَيٍّ إِلَى قومه .

رُبَّ كَأْسٍ شَرِبْتُهَا ثُمَّ أُخْرَى ... لَمْ تَكُنْ مُرَّةً ولا مُهْرَاقَهْ
وخَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتُ رَذِيًّا ... بَعْدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ ورَشَاقَهْ
وفَتَاةٍ سَبَيْتُ يَا بْنَ لُؤَيٍّ ... ذَاتِ دَلٍّ كَرِيمَةٍ بَرَّاقَهْ
أَبْلِغَا عَامِراً وكَعْباً رَسُولاً ... إِنَّ نَفْسِي إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَهْ
إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِيْ فَإِنِّي ... غَالِبِيٌّ خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَهْ

ورُوِي لنا عن ابْنِ هِشَامٍ النَّحْوِيِّ أنه قالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليه وسلم فَانْتَسَبَ إِلَى سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَقَالَ : «الشَّاعِرُ» ؟ فقَالَ لهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَأَنَّكَ أَرَدْتَ قَوْلَهُ :

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَا بْنَ لُؤَيٍّ ... حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

فقال : «أَجَلْ» :

وقال بَعْضُهُم : إِنَّ سَامَةَ شربَ معَ أَخِيْهِ كَعْبٍ ، فَرَأَى كَعْباً وَقَدْ قَبَّلَ امْرَأَتَهُ ، فَأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ ، فَهَرَبَ إِلَى عُمَانَ ، فقَالَ في ذَلِكَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ الضُّبَعِيُّ :

وَقَدْ كَانَ سَامَةُ فِي قَوْمِهِ ... لَهُ مَطْعَمٌ ولَهُ مَشْرَبُ
فَسَامُوهُ خَسْفاً فَلَمْ يَرْضَهُ ... وَفِي الْأَرْضِ مِنْ خَسْفِهِم مَهْرَبُ

وَاخْتُلِفَ في إِعْقَابِ سَامَةَ ، فكَانَ هِشَامٌ وغَيْرُهُ يَرْوِي عَن عَلِي بْنِ أَبي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللهِ عليه : أَنَّ سَامَةَ لَا عَقِبَ لَهُ ولذلك خَبَرٌ سَنَذْكُرُهُ في مَوْضِعِهِ ، مِنْ هٰذا الْبَاب إن شاء الله وقَالَ آخرونَ : إِنَّه وُلِدَ لِسَامَةَ ابْنٌ يُقَالُ لَه : الحَارِثُ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ

تَيْمِ الأَدْرَم بْنِ غَالِبٍ. فَمَاتَتْ هِنْدٌ، فَحَمَلَ الْحَارِثَ مَعَهُ إِلَى عُمَانَ.

وَتَزَوَّجَ سَامَةُ نَاجِيَةَ بِنْتَ جَرْمِ بْنِ رِبَّانَ — وَهُوَ عِلَافُ بْنُ حُلْوانَ بْنِ عِمْرَانُ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ — بِعُمَانَ، أَوْ سِيفٍ مِن أَسْيَافِ الْبَحْرِ، فَوَلَدتْ لَهُ غَالِبَ بْنَ سَامَةَ. فَهَلَكَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخَلَفَ الْحَارِثُ بنُ سَامَةَ على نَاجِيَةَ نِكَاحَ مَقْتٍ فَعَقِبُ سَامَةَ مِنهُ.

وَقومٌ يقولونَ كانَ لنَاجِيَةَ وَلَدٌ من غَيْرِ سَامَةَ، وَكَانَ سَامَةُ مُتَبَنِّياً لَهُ، فَنُسِبَ إِليه، فَالْعَقِبُ لِذلِكَ الْوَلَدِ.

وَأَجْمَعُوا جَمِيعاً أَنَّ سَامَةَ بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ، إِذْ وَضَعَتْ رَأْسَهَا تَرْتَعُ، فَأَخَذَتْ حَيَّةً بِمِشْفَرِهَا فِي حَشِيْشَةٍ فَنَفَضَتْهَا فَوقَعَتْ عَلَى سَاقِ سَامَةَ، فَنَهَشَتْهُ فِي سَاقِه فَقَتَلَتْهُ، فقَالَ الشاعِرُ: وقِيلَ: إنَّ سَامَةَ قَالَ ذَلك لَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوتِ.

عَيْنُ بَكِّي لسامَة بن لُؤَيٍّ حَمَلَتْ حَتْفَهُ إليه الناقة
عَيْنِ بَكِّي لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ عَلِقَتْ مَا بِسَامَةَ العَلَّاقَة
رُمتَ دَفْعَ الْحُتُوفِ يابْنَ لُؤَيٍّ مَا لِمَنْ ذَاكَ بِالْحَتْفِ طَاقَةْ

قد تُخْلَطُ هٰذِهِ الأَبْيَاتِ بِالأَبْيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْهَا، وقيل: إنَّ قَوماً من وَلدِ سَامَةَ جَاؤُا إِلَى عَلِيٍّ عليه السَّلام فَانتَسَبُوا إِلَى سَامَةَ فقَال لَهُم: إِنَّ سَامَةَ لم يَدَعْ إِلَّا بِنْتاً يُقَالُ لهَا: عَاجَةُ، فإِنْ كُنْتُم مِن وَلَدِهَا فَأَنَا خَالُكُمْ.

قَالَ الْهَيْثَمُ: وَبَلَغنَا أَنَّ رَجُلاً من وَلَدِ سَامَةَ دَخَلَ عَلَى عليٍّ بْنِ أبي طالبٍ عَلَيهِ السَّلَامُ فقَالَ: مِمَّن الرَّجُلُ؟ فقَالَ: منْ قُرَيْشٍ. قَالَ: إِنَّ قُرَيْشاً قَدْ فَسَا وَضَرطَ، فَمِنْ أَيِّهِمْ أَنتَ؟: قَالَ: من بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ. فقَالَ عَلِيٌّ عليه السَّلَامُ: إِنَّ سَامَة كانَ لَا يُولَدُ لهُ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ سَوْدَاءُ، فوثَبَ عَلَيْهَا عَبْدٌ له أَسْوَدُ، فَإِن كُنْتَ مِمَّن يَنْتَمِي إِلَى سَامَةَ، فَأَنْتَ مِن وَلَدِ الْعَبْدِ. فَأَغْضَبَ ذَلِكَ الرَّجُلَ وَخَرَجَ فَأَخْبَرَ قَوْمَهُ، فغَاظَهم، وكان في جُمْلَتِهِم الْخِرِّيْتُ بْنُ رَاشِدٍ السَّامِيُّ، فَغَاظَ ذَلِكَ الْخِرِّيْتَ حَتَّى حَمَلَهُ على مُخَالَفَةِ عليٍّ عليه السلام، وَكَانَ من مخالفته إياه مَا حُدِّثنا به عن أبي

مِخْنَفٍ ، قال : كَانَ الْخِرِّيتُ بْنُ راشدٍ السَّامِيُّ مع عليٍّ عليه السَّلام ، في ثلاث مِئَةٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ فَشَهِدَ مَعَهُ الْجَمَلَ بِالْبَصْرَةِ ، وشَخَصَ معهُ إِلَى صِفِّينَ ، فشهد مَعَهُ الْحَرْبَ ، فلما حُكمَ الحكَمَانِ ، مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ عليٍّ رضوانُ اللهِ عليْهِ بِالْكُوفَةِ ، فقَالَ لَهُ : واللهِ لا أُطَعْتُ أَمْرَكَ ، وَلَا صَلَّيْتُ خَلْفَكَ . فقال له عليٌّ عليه السَّلامُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، إِذَنْ تَعْصِي رَبَّكَ وَتَنْكُثُ عَهْدَكَ ، ولا تضُرُّ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَلِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ قالَ : لِأَنَّكَ حَكَّمْتَ فِي الْكِتَابِ ، وَضَعُفْتَ عَنِ الْحَقِّ حِينَ جَدَّ الْجِدُّ ، وركَنْتَ إِلى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَأَنَا عَلَيْكَ زَارٍ ، وعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ . فَدَعَاهُ عليٌّ عليه السلامُ إِلَى أَنْ يُنَاظِرَهُ ويُفَاتِحَهُ فقال : أَعُودُ إِلَيْكَ . ثم أَتَى قَوْمَهُ فَأَفْسَدَهُمْ وَسَارَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ مِنَ الْكُوفَةِ . وَلَقِيَهُمْ رجلٌ «مُسْلِمٌ» يقَالُ له : زاذَان فَرُّوخ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا نفر : فسأَلُوهُ عَنْ دِينِهِ ، فقَالَ : مُسْلِمٌ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ عَلِيٍّ ، فقال : إِمَامُ هُدىً . فَقَطَعُوهُ بِأَسْيَافِهِم . ولَقُوا يَهُودِيّاً ، فقَالَ : أنا يَهُودِيٌّ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ ، وقالوا : احْفَظُوا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ . وهذا من أعجب ما يكون. فَأَتْبَعَهُمْ زِيَادُ بن خَصْفَة ، مِنْ بَنِي تَيمِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَة بْنِ عُكَابَةَ ، مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ عليه السلام ، في كَنَفٍ مِنَ الْجُنْدِ ، فَلَحِقَهُمْ بِالْمَذَارِ ، وَقَدْ أَرَاحُوا هُنَاكَ ، فَدَعَا زِيَادُ الْخِرِّيتَ لِأَنْ يَنْتَبِذَا فَيَتَنَاظَرَا ، فَتَنَحَّيَا حَجْرَةً مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فنَاظَرَهُ فلم يَنْجَحْ فِيهِ الْقَوْلُ ، فَاقْتَتَلَ الْجَيْشَانِ قِتَالاً شَدِيداً ، وحالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فتحَاجَزُوا وصَارُوا إلى الْأَهْوازِ ، واسْتَضَمُّوا أَوْبَاشاً مِنْ أَعْلاجٍ وأَكْرَادٍ ، ولَفِيفِ القَبَائِلِ ، وكَتَبَ زِيادٌ إِلَى عَلِيٍّ عليه السَّلام بِذَلِكَ فكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُوم . وقامَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَاحِيُّ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ ، إِنَّ لِقَاءَنا هَؤُلاءِ القَوْمِ بِأَعْدَادِهِمْ إِبْقَاءٌ عَلَيْهِمْ ، والْوَجْهُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ عَشَرَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيَجْتَاحُوهُمْ . فَأَمَرَهُ بِالشُّخُوصِ ، وَنَدَبَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَلْفَيْنِ ، فِيهِمْ : يَزِيدُ بْنُ الْمُغَفَّلِ الْأَزْدِيُّ . وكَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنْ يُشْخِصَ جَيْشاً إِلَى الْأَهْوازِ ، لِيُوَافُوا مَعْقِلاً بِهَا ويَنْضَمُّوا إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ خَالِد بْنَ مَعْدَانَ الطَّائِيَّ فِي أَلْفَي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَلَحِقُوا بِهِ ، فَلَمَّا وافَوْا مَعْقِلاً نَهضَ لِمُحَارَبَة الْخِرِّيتِ ،

فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً ، وَقُتِلَ النَّاجِيُّونَ ، وَوَلَّوا مُنْهَزِمِينَ ، حَتَّى لَحِقُوا بِأَسْيَافِ الْبَحْرِ . وبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِمْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، ومن عبْدِ القَيْسِ ، فَأَفْسَدَهُمْ الْخِرِّيتُ عَلَى عليٍّ عليه السلام ، واستضمَّهُمْ إِلَيْهِ ، وكَتَبَ عَلِيٌّ عليه السلام إِلى أَهْلِ الأَسْيَافِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ ، وأَمَرَ معْقِلَ بْنَ قَيْسٍ أَنْ يَنْصِبَ لَهُمْ رَايَةَ أَمانٍ ، فَنَصَبَهَا فَانْفَضَّ عنِ الْخِرِّيْتِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، وكَانَ الْخِرِّيتُ يُوهِمُ الْخَوَارِجَ أَنَّهُ عَلَى رَأْيِهِمْ ويُوهِمُ الْعُثْمَانِيَّةَ أَنَّهُ يُطْلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْقِلاً عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وأَنْشَبَ الْحَرْبَ . فَصَبَرَ أَصْحَابُ الْخِرِّيْتِ سَاعةً وَحَمَلَ النُّعْمَانُ بْنُ صُهْبَانَ الرَّاسِبِيُّ — وقيل : الْجِرْمِيُّ — عَلَيْهِ فعَارَكَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَتَلَهُ ، وانْفَضَّ جَمْعُهُ . وكَتَبَ مَعْقِلٌ إِلى عليٍّ عليه السلام كِتَاباً : إِنَّا نَصَبْنَا لَهُ رَايَةَ أَمانٍ ، فَعَادَتْ مِنْهُمْ طائِفَةٌ ، وبَقِيَتْ أُخْرَى ، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَضَرَبَ اللهُ وُجُوهَهُمْ ونُصِرْنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِماً فَمَنَنَّا عَلَيهِ وَأَخَذْنَا بَيْعَتَهُ ، وقَبَضْنَا صَدَقَةَ مَالِهِ ، وَأَمَّا مَنِ ارْتَدَّ فَإِنَّا عَرَضْنَا عَلَيْهِمْ الإِسْلَامَ إِلَّا رَجُلاً واحِداً قَتَلْنَاهُ ، وأَمَّا النَّصَارَى فَإِنَّا سَبَيْنَاهُمْ وأَقْبَلْنَا بِهِ ، لِيَكُونُوا نَكَالاً لِمَنْ بَعْدَهُم مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

وكان مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرة الشيبانيُّ عامِلاً على [أَرْدَشِيرْ خُرَّة] منْ فارس . فَمَرَّ بِهِم عليه وهم خَمْسُ مِئَة إِنْسانٍ ، فَصَاحُوا : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، يا فَكَّاكَ الْعُنَاةِ ، وَحَمَّالَ الأَثْقَالِ ، وغِيَاثَ الْمُعَصَّبِينَ ، أُمْنُنْ عَلَيْنَا وافْتَدِنَا فَأَعْتِقْنَا . فوجه مَصْقَلَةُ إِلى مَعْقِلٍ ، فَاشْتَرَاهُمْ منه .

ويُقَال [........] واسْتَنْظَرَهُ بِالْمَال . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَوَرَدَ عَلَى عليٍّ عليه السلام فَصَوَّبَهُ فيما صَنَعَ ، وامْتَنَعَ مَصْقَلَةُ مِنَ الْبَعْثَةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وكسره[٢] ، وخَلَّى سَبِيلَ الأَسرى ، ثُمَّ طُولِبَ بِالْمَالِ طَلَباً حَثِيثاً ، فَاحْتَالَ حتَّى مَضَى إِلى مُعاوِيَةَ . فقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : يَرْحَمُهُ اللهُ ، فَعَلَ فِعْلَ السَّيِّدِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْدِ ! ! . وقالوا لِعَلِيٍّ عليه السلام حين هَرَبَ مَصْقَلَةُ : ارْدُدْ سَبَايَا بَنِي نَاجِيَةَ إِلَى الرِّقِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَسْتَوْفِ أَثْمَانَهُمْ .

فقال صلَّى اللهُ عَلَيْه : لَيْسَ ذَاكَ فِي الْقَضَاءِ ، قَدْ عَتَقُوا بِمَا أَعْتَقَهُمْ مُبْتاعهم ، وصَارَتْ أَثْمَانُهُمْ دَيْناً عَلَيْهِ .

وقال مَصقلةُ لَمَّا هَرَبَ :

لَعَمْرِيْ لَئِنْ عَابَ أَهْلُ الْعِرَا　　قِ عَلِيَّ انْتِعَاشِيْ بَنِي نَاجِيَهْ
لَقَدْ زِدْتُ فِيْهِمْ لإِطْلَاقِهِمْ　　وَغَالَيْتُ إِنَّ الْعُلَا غَالِيَهْ

قالوا : وَكَتَبَ وُجُوهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى مصقلة يَذمُّونَ رَأْيَهُ فِيْ لِحَاقَه بِمُعَاوِيَةَ وَتَرْكِهِ عَلِيًّا عليْهِ السَّلَامُ ، فَأَقْرَأَ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ عِنْدِي لَغَيْرُ ظَنِيْنٍ ، فَلا عَلَيْك أَنْ لَا يَفُوتني مِثْلُ هَذَا .

وحَدَّثَ عليُّ بْنُ إبراهيم التَّميميُّ ، عن ابن أبي شَيْخ القنويِّ ، عن عبدالله بن المعتَّز ، عن أَحْمَدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ ، قال : حَدَّثَني عبدُالله بْنُ صالحٍ العجليُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ ، قال : قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَلَقِيْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ الْكِنَانيَّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ قوماً يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلام سَبَى بني نَاجِيَةَ وهم مُسْلِمُونَ . فَقَال : إِنَّ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَاحِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَرْبِ الْخِرِّيْتِ الْحَرُوريِّ سَارَ عَلَى أَسْيَافِ فَارِس ، فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ فَقَال : مَا أَنْتُم ؟ فقالوا : قَوْمٌ مُسْلِمُونَ فَتَخَطَّاهُمْ ، ثُمَّ أَتَى قوماً آخَرِيْنَ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَصَارَى ، وكُنَا أَسْلَمْنَا ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، لِعِلْمِنَا بِفَضْلِهَا عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَدْيَانِ ، فَوَضَعَ فِيهِمِ السَّيْفَ فَقَتَلَ وَسَبَى ، وهُمُ الَّذِيْنَ بَاعَهُمْ مِنْ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ .

وَمِنْ بَنِي سَامَةَ : كَابِسُ بْنُ رِبِيْعَةَ بْنِ مَالِكِ بْن عَدِيِّ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ جُشَمِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَامَةَ ، كَانَ يُشَبَّهُ بِرَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وَكَانَ بِالبَصْرَةِ فَبَلَغَ خَبَرُهُ مُعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إلى عَبْدِاللهِ بْنِ عَامِرٍ ، عَامِلِهِ عَلى الْبَصْرَةِ ، أَنْ يُوفِدَهُ عَلَيهِ مُكْرِماً

فَأَوْفَدَهُ . فلَمَّا دَخلَ عَلَيْهِ نَزلَ عَنْ سَرِيْرِهِ ، وقَامَ فتَلَقَّاهُ وقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وأَقطَعَهُ المرْغابَ بِالْبَصْرَةِ .

وكانَ بَنُو الْجَهْمِ بْنِ بَدْرٍ يَدَّعُونَ أَنَّهُم مِنْ وَلَدِ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَمَا أَدْرِي مَا صِحَّةُ ذَلك . وكَانَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي طَاهِرٍ يَرَى أَنَّهُمْ أَدْعِيَاءُ ، وَأَنَّهمْ إِنَّما هم مَوالٍ لِقَوْمٍ مِنْ آلِ سَامَةَ . ومَا يُوثَقُ عِنْدِي بِابْنِ أَبِي طَاهِرٍ ، لِأَنَّني رَأَيْتُهُ مُلْهَماً بِنبْزِ الأَشْرافِ وبتجريحِ الصِّحَاحِ ، وَرَأَيْتُهُ يَنْفِي جَمَاعَةً عَنْ أَنْسَابٍ هِيَ ثابِتَةٌ لَهُمْ فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ مِثْل آلِ (.....) وَآلِ قَحْطَبَةَ وآل مُوسَى بْنِ كَعْبٍ ، وَغيْرِهم ــ

عُدسُ :

فِي تَمِيمٍ : عُدُسُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بن دَارِم بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ هذا قَوْلُ ابْنِ الْكَلبِيِّ ، وأَبُو عُبَيْدَةَ يُخَالِفُهُ ، فيقُول : (هُوَ) عُدَسُ ، وكذلك ابْنُ الأَعْرابِي أيضاً يَقُولُهُ بِفَتْحِ الدَّالِ ، وَقَوْلُ ابْنِ الْكَلبِيِّ أَثْبَتُ .

وَأَصْلُ العَدْس في اللُغَةِ الْقُوَّةُ عَلَى السُّرَى ، قالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ رَاعِيَةً :

عَدُوسُ السُّرَى لاَ يأْلَفُ الْكَرْمَ جِيْدُها .

فَأَمَّا قَوْلهُم لِلْبَغْلَة عِنْدَ إِرادَةِ حَبْسِهَا (عَدَسْ) فَإِنَّ الْخَلِيْلَ ذَكَرَ أَنَّ (عَدَسْ) اسْمُ رَجُلٍ كَانَ عَنِيفاً بِالْبِغَالِ فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَإِذَا ذُكِرَ لِلْبِغَالِ اسْمُهُ انْزَعَجَتْ ، وَأَنَّهَا اسْتَمَرَّتْ طَبَائِعُهَا عَلَى ذَلِكَ ، ومَا أَدْرِي كَيْفَ هَذَا ؟

فَمِنْ عُدُسٍ هؤُلاَءِ : آلُ زُرارَةَ ، وهُمْ رؤَسَاءُ بَنِي تَمِيْمٍ ، وزُرارَةُ هُوَ صَاحِبُ يَوْمِ أُوارَةَ مع عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ مُضَرِّطِ الْحِجَارَةِ ، وكانَ من حَدِيثِ ذلك أَنَّ المُنْذِرَ بْنَ مَاءِ السَّماءِ ــ ومَاءُ السَّماءِ أُمُّهُ امْرَأَةٌ مِنَ النَّمِرِ ــ وَهُوَ الْمُنْذِرُ بنُ امْرِىءِ الْقَيْسِ ــ وَقَد اسْتَقْصَيْنَا الْكَلاَمَ عَلَى أَنسابِهِمْ وأَخبارِهِمْ في كِتَابِ «أَدَبِ الْخَواصِّ» فَغَنِيْنَا عَنْهُ

فِي هذَا الْمَوْضع ــ كان قَد وَضعَ ابْناً لَهُ يُقَالُ لهُ : مَالِكٌ ، ويُقال : أَسْعَدُ ــ عِنْدَ زُرَارَةَ بْن عُدُس ، وَكَانَ صَغِيْراً فلمَا كَبِرَ خرَجَ يَوْماً يَتَصَيَّدُ ، فَمَرَّ بإبلٍ لِسُوَيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بِنْ دَارِمِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ سُوَيدِ بِنْتٌ لِزُرارَةَ فَتعرَّضَ الْغُلاَمُ لإبِلِ سُوَيْدٍ وَنَحرَ بَكْراً مِنْهَا ، فاستَيْقَظَ سُوَيْدٌ ، وَكَانَ نَائِماً ، فَشَدَخَ رَأْسَهُ بِعَصاً فَقَتَلَهُ وهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ ، فَحَالَفَ بَنِي نَوْفَل بْن عَبْدِ مَنَافِ بْن قُصَيٍّ ، فَلَمَا بَلَغَ ذَلِكَ عَمْرو بْنَ الْمُنْذِرِ ، وهُوَ عَمرو بْنُ هِنْدٍ فَاضَتْ عَيْنَاهُ حُزْناً عَلَى أَخِيْهِ ، وَهَرَبَ زُرَارَةُ ، فطَلَبَهُ عَمرو فَلَم يَجِدْهُ ، فَوَجَدَ امْرَأَةً لَهُ حُبْلَى ، فقَالَ لَهَا : مَا فَعَلَ زُرَارَةُ الْغَادِرُ الْفَاجِرُ الْمُنْتِنُ ! !

فقَالَتْ : إِنْ كَانَ واللهِ مَا عَلِمْتُهُ لَطَيِّبَ الْعَرَق ، سَمِيْنَ المَرَق ، لاَ يَنَامُ لَيْلَةَ يَخَافُ ، وَلاَ يَشْبَعُ لَيْلَةَ يُضَافُ ، فَبَقَرَ بَطْنَهَا . فقال زُرَارَةُ : إِنِّيْ لَمْ أَقْتُل أَخَاهُ ، والصِّدْقُ أَنْجَى فجاء إليه فصَدَّقَهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجِيْءَ بِسُوَيْدٍ . فَقَال : قَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ . قَالَ : فَوَلَدُهُ فجاءَ بِوَلَدِهِ وأَهْلِهِ فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمْ أَنْ يُقْتَلَ ، فَجَعَلَ يَتَعَلَّقُ بِجَدِّهِ زُرَارةَ ، فقَالَ زُرَارَةُ : يَا بَعْضِي سَرِّحْ بَعْضاً ، فَذَهَبَتْ مَثَلاً ، وَقُتِلُوا أجْمَعُونَ ، وآلَى عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ لَيُحَرِّقَنَّ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِئَةَ رَجُلٍ فَخَرَجَ يُرِيْدُهُمْ ، وَبَعَثَ عَلِيَ مُقَدِّمته ، عَمْرَو بْنَ ثَعْلَبَةَ بن مِلْقَطٍ الطَّائِيَّ فَوَجَدَ القَومَ قَدْ نَذِرُوا بِهِ ، فَأَخَذَ مِنْهُم ثَمَانِيَةً وَتِسْعِيْنَ رَجُلاً بِأَسْفَل أُوَارَةَ من نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْن ، وَلَحِقَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ فَضُرِبَتْ لهُ قُبَّةٌ وأَمَرَ بِأُخْدُودٍ فَخُدَّ لَهُمْ ، وأُضْرِمَت النَّارُ حتَّى إِذَا تَلَظَّتْ قَذَفَ بالثَّمانِيَةِ والتِّسْعِينَ فِيهَا فاحْتَرقُوا . وأَقْبَلَ رَاكِبٌ مِنَ الْبَرَاجِمِ مِن بَنِي كُلْفَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَقَدْ رَأَى الدُّخَانَ فَأَنَاخ بَعِيْرَهُ . وأَقْبَلَ فَاستَطْعَمَ ، فقَالَ عَمْرٌو : مِمَّنْ أَنتَ ؟ قَال : مِنَ الْبُراجم : قَالَ عَمْرٌو : إِنَّ الشَّقِيَّ رَاكِبُ الْبُراجِمِ فَذَهَبَتْ مَثَلاً ، ورُمِيَ في النَّارِ فَاحْتَرَقَ ، ثُمَّ عَيَّرَتِ الْعَرَبُ بَنِي تَمِيمٍ بِذَلِكَ فقِيْلَ فِيْهم :

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِيْ تَمِيمٍ   بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

تاج العروس
من جواهر القاموس
— ٢١ —

[تتمة ما نشر في ص ٩٢٦/ ٩٥٦ — من السنة الخامسة عشرة عن الجزء الثالث عشر من الكتاب] .

٣٧ — ص : ٤٦٥ — :

(قال ابنُ أَحْمَرَ :

لا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَمْرٍ وَلَيْلَتِهِ   لا عَنْ رِضَاكَ ولا بالكُرْهِ مُغْتَصِبَا

وَأَقَامَ عَمرُ بْنُ هِنْدٍ ثَلاثاً لا يَرَى أَحداً ، فتَمَّمَ الْمِئَةَ بِامْرَأَةٍ من بَنِي نَهْشَلٍ — وَقِيلَ : إِنَّها ابْنَةُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ . أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ وَوَجَدتُّ بخَطِّ أبي حَاتِمٍ السِّجْسانيِّ عن الأَصْمعيِّ قَالَ : سَمِعَتُ امرأةً زُرارِيَّةً في الإِسْلامِ مُؤَذِّناً يَقُولُ : أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، فقَالَتْ : مَا لِزُرارَةَ لا أَسْمَعُ لَهُ ذِكْراً ؟!

وَابْنُهُ : حَاجِبُ بْنُ زُرَارَةَ ، ويُكَنَّى أَبَا عِكْرِشَةَ ، وَكَانَ اسْمُهُ زَيْداً ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ حَاجِباً لعظَمِ حَاجِبَيْهِ . في قَولِ أَبي الْيَقْظَانِ ، وهُوَ صَاحِبُ الْقَوْسِ الَّتِي رَهَنَهَا عِنْدَ كِسْرَى .

وأَخْبَارُ آلِ زُرَارَةَ طِوَالٌ مُمْتِعَةٌ ، وَوَقائِعُهُمْ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنْ طَلَبُ الاخْتِصَارِ يوجِبُ حَذْفَ ذَلك كُلِّهِ .

تاج العروس

من جواهر القاموس

— ٢١ —

[تتمة ما نشر في ص ٩٢٦/ ٩٥٦ — من السنة الخامسة عشرة عن الجزء الثالث عشر من الكتاب] .

٣٧ — ص : ٤٦٥ — :

(قال ابنُ أَحْمَرَ :

لا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَمْرٍ وَلَيْلَتِهِ ... لا عَنْ رِضَاكَ ولا بالكُرْهِ مُغْتَصِبَا

وَأَقَامَ عَمْرُ بْنُ هِنْدٍ ثَلاثاً لا يَرَى أَحداً ، فتَمَّمَ الْمِئَةَ بِامْرَأَةٍ من بَنِي نَهْشَلٍ — وَقِيلَ : إِنَّها ابْنَةُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ . أُخْتُ ضَمْرَةَ بْن ضَمْرَةَ وَوَجَدتُّ بخَطِّ أبي حَاتِمٍ السِّجْسانيِّ عن الأَصْمعيِّ قَالَ : سَمِعْتُ امرأةً زُرارِيَّةً في الإِسْلاَمِ مُؤَذِّناً يَقُولُ : أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، فقَالَتْ : مَا لِزُرَارَةَ لا أَسْمَعُ لَهُ ذِكْراً ؟!

وَابْنُهُ : حَاجِبُ بْنُ زُرَارَةَ ، ويُكَنَّى أَبَا عِكْرِشَةَ ، وَكَانَ اسْمُهُ زَيْداً ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ حَاجِباً لعظَم حَاجِبَيْهِ . في قَوْلِ أَبي الْيَقْظَانِ ، وهُوَ صَاحِبُ الْقَوْس الَّتِي رَهَنَهَا عِنْد كِسْرَى .

وأَخْبَارُ آلِ زُرَارَةَ طِوَالٌ مُمْتِعَةٌ ، وَوَقَائِعُهُمْ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنْ طَلَبُ الاخْتِصَارِ يوجِبُ حَذْفَ ذَلك كُلِّهِ .

أحال المحقق إلى «اللسان» .

ورواية البيت — كما ورد في كتاب «بلاد العرب» لِلُغْدَةَ الأصبهاني — ص ٢٨ غير منسوب —:

لا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَرْنٍ ، ولَيْلَتِهِ لا إنْ رَضِيْتَ ، ولَا إنْ كُنْتَ مُغْتَضِبَا

أورده شاهداً على قَرْنٍ الموضع المعروف .

وهذه الرِّواية أوضح .

٣٨ — ص : ٤٧١ —:

(والْقَمْرِيُّ ، بِالْفَتْح : وَادٍ يصُبُّ جَنُوبِيَّ غَمْرَةَ ، وشَمَالِيَّ الدَّبِيْل ، كذا في مُخْتَصَرِ الْبُلْدَانِ) . انتهى .

وقد ظننته يقصد كتاب «مراصد الاطلاع» وهو مختصر كتاب «معجم البلدان» ولكنني لم أَجِدْهُ في ذلك الكتاب ، ولا في أصله «معجم البلدان» ومهما يكُنْ فَضَبْطُ الكلمة — كما وردت في مطبوعة «التاج» غيْرُ صَحِيْح ، والصَّحِيْحُ كَسْرُ القافِ وإسكان المِيْم وفَتْح الرَّاء بعدها أَلِفٌ مقصورة (الْقِمْرَى) والموضع لا يزال معروفاً وكذا يُنْطَقُ الآن ، وأَوَّلُ مَنْ رأيْتُهُ ذَكَرَ هذا الموضع أبو علي الْهَجَرِيُّ ، فقد قال عنه — ص ٣٣١ .

(وسألت الخفاجي عن صاحة ، وهو جبل عظيم أحمر ، فقال : هو بَيْنَ القِمْرَى — مقصورة — وبَيْنَ دَبِيْل العارض ، ولا دَبِيْل غيره ، بلد) انتهى . وهذا في نوادره الهجري ، مخطوطة دار الكتب المصرية (الورقة ٣٥٥) والْقِمْرَى وادٍ يقع في جنوب نَجْدٍ ، وانظر لتحديد موقعه «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (عالِيَة نَجْد) — ص ١٠٨٥ — تأليف الأستاذ سعد بن عبدالله بن جُنَيْدِل .

٣٩ — ص : ٤٧٦ —:

(والْقِنُّورُ ، كَتَنُّور : مَلَّاحَةٌ بالبَادِيَة ، مِلْحُها غَايَةٌ جوْدَةً) ، قالَ الأزهريُّ : وقدْ رأيْته بالْبَادِيَة) انتهى .

وأُضِيْفُ : ما أوْسَعَ البادية !! وهذا التَّعْرِيفُ وعَدَمُهُ سِيَّان .

قُنُّورُ ــ الْمَلَّاحة وهي المَمْلَحة عند أَهْلِ نَجْدٍ ــ لا تزال معروفة باسمها ، إنَّها أرْضٌ سبخة تقع في الشمال الشرقي من قرية ثاج ، بنحو ٣٥ كيْلاً ، وفي جانبها آبارٌ ، وفيها مَمْلَحَةٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا الْمِلْحُ الْحَجَرِيُّ أَلْوَاحاً ، وهو من أجود أنواع المِلْحِ ، ويَمُرُّ بها الطَّرِيقُ الكِنْهِرِيُّ المتَّجه من الجُبَيْلِ إلى نَجْدٍ .

قال الصِّمَّةُ بنُ عبدالله الْقُشَيْرِيُّ :

أَقُول لصاحِبِي والْعِيْسُ تَهْوِي　　بِنَا بَيْنَ الْمُنِيْفَةِ فَالضِّمَارِ

عَنَّتْ لي ملاحظة عند قراءة هذا البيت ، وهي وقوع الاختلاف في كلمة (الضّمار) فقد وردت في كتب أخرى (الغمار) بالغين بدل الضّاد المعجمة . ووقوع تصحيف أحد الحرفين بالآخر ، سَهْلٌ لِتَشَابُهِهِمَا في الصورة .

وقد ورد البيت في كتاب «المناسك» ومؤلفه من أهل القرن الثالث الهجري ، وفي «الحماسة» لأبي تَمَّام بالغين (الغمار) وفسره صاحب «المناسك» ــ ص ٦٠٣ بقوله : (الغمار غمرة وما وَالاها إلى طريق البصرة . ووجرة من الْغِمار . وهي جبال غمرة) .

أما الضِّمار فلم أرَ ــ فيما اطلعت عليه ــ من حدد موضع الضِّمَار ، بل يقال : الضّمار موضع ، بدون تحديد .

ولهذا أرى أن صواب الاسم (الغمار) بالغين المعجمة ــ كما ورد في أقدم النصوص التي وصلت إلينا .

أما قائل هذا البيت فالصاغاني في كتاب «التكملة» صَحَّحَ أنه جعدة بن معاوية القُشَيْري .

وصاحب «المناسك» نسبه مع أبيات أخرى لشاعر مجهول يدعى علي بن محمد .

٤١ ـــ ص ١٣ ـــ :

(وعَرْعَر : موضع بل عِدَّةُ مَواضِعَ نَجْدِيَّةٍ وغيرها . وعَرْعَرُ : وَادٍ بنَعْمَانَ ، قُرْبَ عَرَفَةَ . قال امْرُؤُ القَيْسِ :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَقْصَرَا ... وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيٍ فَعَرْعَرَا

وَيُرْوَى : بَطْنَ قَوٍّ) انتهى .

بَيْتُ امرىء القيس ينطبقُ على وادٍ يقع خارج مُسَمَّى نَجْدٍ ، في جانب السماوة الشرقي الشمالي بقرب العراق داخل المملكة السعودية ، ولهذا قال عنه أبو زياد الكلابي ــ وهو من أعلم الناس ببلاد نَجْد ــ : عَرْعَرُ موضعٌ ولا نَدْرِي ما هو كما في « معجم البلدان » .

وهو وادٍ مرَّ به امرؤ القيس في رحلته إلى قيصر حيث يقول :

بَكَى صاحِبِيْ لَمَّا رأى الدَّرْب دُونَهُ ... وأَيْـقَنَ أَنَّـا لَاحِـقَـانِ بِقَيْصَرَا

وقد حَدَّدَ الهجري موقع عَرْعَر وظَبْي فقال ــ « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ») ٢٣٤ ــ : إذا خَرَجْتَ من فَيْدَ تُرِيْدُ بالِسَ وحِمْصَ من الشام ، فأنتَ داخلٌ تَحْتَ مَهَبِّ الشَّمَال ، سلكْتَ ناحيَةَ الصُّحُرُ ، ثم اللُّغْطِ ، أرض بها مياه ، ثم تَهْبِطُ من اللُّغْطِ في أول رَمْلِ عالج ، ثم الحزيز حزيز كلب ، ثم تَهْبِطُ من الحزيز في الوصل بين الأوداة . وبين الحزيز ، وَإِنَّما هي الأَوْدِيَةُ ، ولكنها لغة طيِّءٍ فأول وادٍ من أودِيَة الأوداةِ : ذُو القَوْر ثم أُحامِرُ ثم عَرْعَر ، ثم أُبْلِيٌّ ــ وزن عُبْلِيٍّ ــ ثم تُبَلُ ، ثم بطن ظَبْيٍ ــ هذه كلها أودية ــ ثم النَّبِيُّ : بَلَدٌ سَهْلٌ ، والبِشْرُ والفُرَاتُ قريبٌ مِمَّا أَسْمَيْتُ وكل ما أسميتُ يصبُّ في الفرات .

انتهى باختصار ــ.

وأُضِيْف : لا تزال هذه الأودية معروفة ، وقد تحدثت عنها في (قسم شمال المملكة) من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » . وقد أُنْشِئَتْ مدينةٌ في وادي عَرْعَر بعد مَدِّ أنابيب النفط من شرق الجزيرة إلى الشام ، عُرِفَتْ باسم عَرْعَر هي قاعدة إمارة

الحدود الشمالية الشرقية .

واستشهادُ صاحب « التاج » ببيت امرىء القيس على عَرْعَر الذي قال عنه إنَّهُ وادٍ بِنَعْمَانَ ، قُرْبَ عرفة — استشهادٌ في غيرِ مَحَلِّه .

وعرعر الذي يقصده بعيد عن نعمان وعَنْ عَرَفَة . وإنَّما أخذ الكلام مما جاء في « معجم البلدان » وَنَصُّهُ :

وفي كتاب (السكوني) وذكر الأُبحَّ بْنَ مُرَّة في خَبَرٍ فقال : ضِيْمٌ من عَرْعَر ، وعَرْعَرُ من نَعْمَانَ ، في بلاد هُذَيْلٍ ، قال الأُبَحُّ بنُ مُرَّة الْهُذَلِيُّ :

لَعَمْرُكَ سَارِي بْنَ أَبِي زُنَيْمٍ لَأَنْتَ بِعَرْعَرَ الثَّأْرُ الْمُنِيْمُ
عَلَيْكَ بَنِي معاوية بْنِ صخر وأَنْتَ بِعَرْعَرٍ، وَهُمُ بِضِيْمِ

وأمَّا نَصْرٌ فقال : عَرْعَرُ وادٍ بِنَعْمَانَ ، قُرْبَ عَرَفَةَ ، وأيضاً في عدة مواضعَ نَجْدِيَّة وغيرها . فإنَّه لو كان بِنَجْدٍ لعرفه أبو زيادٍ لأنها بلاده . انتهى .

ويلاحظ على كلام صاحب « معجم البلدان » :

١ — السكوني في المطبوعة خطأً ، والصواب السُّكَّرِي ، فهو مؤلف كتاب « شَرْح أشعار الْهُذَلِيِّين » . و وفيه شعر الأبح — ص ٦٦٧ — ولكن الكلام المتعلق بعَرْعَر لم يَرِدْ في مطبوعةِ الكتاب وإنَّما ورد : (عرعر وضِيْمُ مكانانِ) ولكن جاء في ص ٨٠٥ من الكتاب ما يفهم منه بُعْدُ عَرْعَر عن نَعْمَانَ ، فقد ورد في ذكر (يوم نِيَاتٍ) ما ملخصه : إن قوما مِن هُذَيل أغاروا على بني خَوْفٍ من فَهْم ، فبَيَّتُوهُم ثم عادوا ومَرُّوا برَجُل هذليٍّ فأطعمهم ثم أمرهم بالذِّهاب وخرج يسوقهم حتَّى أوصلهم إلى نُمَارٍ ، ثم رجع ، فلقي طلب فَهْمٍ فسألوه عن القوم ، فقال : لقيت قوما بِثَنِيَّة عَرْعَر ، مع الصُّبْح ، وهُمُ الآن بِعُرَنَةَ أَوْ نَعْمَانَ ، فارْتَدُّوا عَنْهم . انتهى .

وعلى هذا فلا يخلو الأمر من أن يكون ياقوت استنتج مما قرأه في كتاب السكريّ ما نسبه إليه ، وهو استنتاج غير صحيح ، أو أنَّ السكريَّ قال ما نسبه إليه من أن عَرْعَر من نُعْمَان ، وهذا خطأً أيضاً .

ويبقى احتمال ثالث هو أن القول لغير السكريّ ، وهو (السكوني) وأرى هذا بَعيداً ، فياقوت وإن أكثر النقل عن السكوني ، إلّا أنَّ ما نقل عن هذا كله يتعلق بمواضع بعيدة عن بلاد هُذَيْل ، بخلاف السكري ، جامع شعر هذيل ، وشارح ذلك الشعر .

وأيّاً كان القائل بأن عَرْعَر من نَعْمَان ، فالواقع أنَّهُمَا مُتَبَاعِدَانِ .

وعَرْعَرُ — الوارد في شعر الأبحِ الهُذَلِيِّ ، لا يزال معروفاً ، وهو من فروع وادي ضِيْم المعروف الآن أيْضاً ، وهو مِنْ بلاد النَّدَوِيِّيْن من هُذَيل ، واقع جنوب مكة على مقربة من ميقات إحرام القادمين من الجنوب — تهامة واليمن — ووادي السعدِيَّة (يَلَمْلَم) بعيد عن عرفات ، وعن وادي نَعْمَانَ والذي أوقع المتقدمين بالخطأ في قولهم إنه في نَعْمَان وروده في أخبار هذيل وأشعارهم مقروناً بذكر نَعْمَان — وانظر لتحديد عرعر مقال لصعيب بن حِدْرجان النَّدْوي الهذلي نشر في جريدة « النَّدْوَة » تاريخ ١٤٠٠/٤/٢٥ هـ .



٤٢ — ص ٢٦ —:

(وعَزْوَرَةُ ، بلا لامٍ : ع ، قُرْبَ مكَّة) ، زِيدَتْ شرفاً . وقيل : هو جَبَلٌ عن يَمْنَةِ طريق الحاج إلى مَعْدِن بني سُلَيْم ، بينهما عَشَرَةُ أَمْيَال ، أو عَزْورَة : ثَنِيّة المَدَنِيِّين إلى بَطْحَاءِ مَكَّة) ، زِيدَتْ شرفاً . انتهى .

كل ما أورده صاحب « التاج » هنا ورد في « معجم البلدان » بدون هاء) عَزْوَرَ — وَأَرى هذا هو الصواب : إذ أورد ياقوت شاهداً على ثنية المدينيين قول ابْنِ هَرْمَةَ :

وَلَمْ يَنْسَ أَظْعَاناً عَرَضْنَ عَشِيَّةً طَوَالِعَ مِنْ هَرْشَا قَوَاصِدَ عَزْوَرا

وهي ثَنِيَّة الْجُحْفَةِ التي ذكرها صاحب « التاج » بعد كلامه المتقدم .

والثَّنِيَّةُ المذكورة في طرف حَرَّة تُعْرَف الآن باسم الْعَزْوَرة والثنية تُدْعَى الآن (رِيْع أُمِّ الْكُلِيِّ) — جمع كُلْيَةٍ — أنظر « العرب » س ٨ ص ١٧٥ .

٤٣ — ص ١٤٠ :—

(وبئْرُ عُمَيْرٍ) ، كزُبَيْرٍ : (في حَزْم بني عُوَالٍ) ، بالضّمّ ، هكذا في النُّسَخ ، وضَبَطه الصاغانيْ عَوَال بالفتح . انتهى .

ولكن أيْن حَزْمُ بني عوالٍ ؟ الكلام هُنَا مبتور من كلام عَرَّام بن الأصبغ السُّلَميّ ، صاحب كتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها» قاله في وصْفِ الطَّرف أحد منازل طريق المدينة من نَجْدٍ ، المعروف الآن باسم (الصُّوَيْدِرَة) قال : ثم الطَّرَف لِمَنْ أَمَّ الْمَدِيْنَةَ ، يكتنفه ثلاثة جبالٍ ، أحدها ظَلِمُ وحَزْمُ بني عَوَالٍ ، وفي عَوالٍ آبارٌ منْها بِئْرُ أَلْيَة ، وبئر هَرْمَة ، وبئر عُمَيْر ، وبئر السِّدْرَة ، وليس بهؤلاء ماء يُنتفع بهِ . انتهى مُلَخَّصاً .

وحزم بني عوال هذا هو حَرَّة سوداء مُطِلَّةٌ على الطَّرف (الصُّوَيْدِرة) من الجهة الجنوبية ، يخترقها وادي الشُّقْرَة المنحدر من الصُّوَيْدرة ، حتى يجتمع مع وادي العقيق في قاع حَضَوْضَا .

وقد كتب اسم تلك الحرة في المصورات الجغرافية (الخرائط) خَطأً اسم (حَرَّة كرماء) تحريف كلمة (هَرْمة) التي لا تزال معروفة ومعدودة من هجر هُجَر بني عوف ، من قبيلة حَرْب .

أمّا ظَلْمٌ الوارد في كلام عَرَّام فيدعى أظلم — ولعله هو الصواب — ويقع شرق الطرف (الصويدرة) .

٤٤ — ص : ٢٨٤ —

(وذات الْغَارِ : وَادٍ بالحِجَازِ فَوْق قَوْرَانَ) انتهى .

يظهر أنَّ مصدر هذا القول ما جاء في كتاب «أسماء جبال تهامة» لِعَرَّام ، ونَصُّهُ : وذُو مَجَرٍ غَدِيْرٌ كبير ، في بطن وادي قَوران ، وبأعْلاهُ ماءٌ يقال له لَقْف ، وما يقال له شَسٌّ ، وفوق ذلك بِئْرٌ يقال لها ذات الْغَار ، عَذْبَةٌ ، كثيرة الماء ، تسقي بَوَادِيهم . انتهى مُلَخَّصاً . وقال ياقوت : ذات الغار بِئْرٌ عذبة ، كثيرة الماء ، من ناحية السوارقية ، على نحو ثلاثة فراسخ منها .

وعلى ما تقدم فذات الغار بئر ، وليست وادياً كما ورد في كلام صاحب «التاج» .

٤٥ ــ ص ٤١٠ ــ :

(وُقْرَةُ : أيْضاً مَوْضِعٌ بالحِجَازِ ، في ديار فراس ، منَ جِبَالِ تِهَامَةَ لهُذَيْل) انتهى .

وجه الإشكال هُنَا كيف يكون في ديار بني فراس ــ وهؤلاء من بني مالك من كنانة ــ ثم يكون لِهُذَيْل .

لا شَكَّ أنَّ الكلام غير مستقيم ، وعادة مؤلف «التاج» رحمه الله ــ اختصار الكلام اختصاراً ينشأ عنه اضطراب في المعنى وعدم استقامة .

٤٥ ــ ص ٣٣٩ :

والفَقِيرُ : رَكِيَّة بِعَيْنِها معروفة . قال :

ما لَيْلَةُ الفَقِيرِ إلاَّ شَيْطَانْ   مَجنونة تُودي بروح الإنسان

وجاء في ص ٤٦٠ ــ في رسم (قفر) ما نَصُّه : (والفقير ماء ، ويقال : بِئْرٌ بأرض عُذرة ــ وفي بعض النسخ : في طريق الشام ، كذا في مختصر البلدان) انتهى .

ويظهر أن صاحب «القاموس» وشارحه عَوَّلاَ على ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت ــ رحمه الله . فقد ذكر (القُفَيْر) بضم القاف وأورد شاهداً عليه لابن مُقْبل . ثم أورد الاسم مفتوحاً (القَفِير) وقال : هو ماءٌ في طريق الشام بأرض عُذَرَة . كما أورد في رسم (الفَقير) أنَّه رَكِيٌّ بعينه ، ومفازة بين الحجاز والشام ، وأورد الشاهد :

ما لَيْلَةُ الفقِيرِ إلاَّ شَيْطَان

وكلُّ الأقوال تنطبق ــ فيما أرى على مُسَمًّى واحِدٍ ــ وهو ماءٌ لا يزال معروفاً ، ولكن باسم الفُقير ــ بالفاء مضمومة بعدها قاف مفتوحة فمُثَّناةٌ تحتيَّةٌ ، فراء .

فهذا الماء :

١ ــ بين الشام والحجاز

٢ ــ كان في بلاد عُذْرَةَ في وادي القُرَى

وقد أصبح الفُقَيْرُ الآن قرية سكانها الفريعات والرشود والمحاسنة أفْخَاذٌ من قبيلة بَلِيٍّ التي حَلَّتْ منازل عُذْرَة ، وكانت قَدِيماً تُجاورها ، وهو من قرى بلدة العُلا ، يَقَعُ غَرْبَها بقرب موقع ذي المَرْوة ، المعروف الآن باسم (أم زَرْب) (وانظر مجلة « العرب » س ١٢ ص ١٨٦) وكتاب « شمال المملكة » ص ١٠٣٥ (وما بعدها) .

٤٦ — ص ٤٩١ — :

(وقُوارَةُ : موضع بَيْنَ البَصْرَةِ والمَدينة ، وهو من مَنازل أَهْلِ البَصْرَة إلى المدينة) انتهى .

الذي من منازل حاج البصرة إلى المدينة هو الفوّارة — بالفاء لا بالقاف . فما هنا تصحيف وقع فيه السكوني — إن كان نقلُ ياقوت عنه في « معجم البلدان » صحيحاً .

وقد نَبَّهت على هذا في حاشية كتاب « المناسك » في وصف الطريق — طريق حاج البصرة — من النِّباج الى المدينة ، وقد حُدّد في ذلك الكتاب تحديداً واضحاً .

والقُوارة والفوَّارة بلدتان معروفتان الآن في بلاد القصيم ، أوْفى الحديث عنهما الأستاذ الشيخ محمد العبودي في كتاب « بلاد القصيم » أحد أقسام المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

والتي يقع على الطريق — طريق حاج البصرة إلى المدينة — هي الفوَّارة ، أما القُوارة فمنحرفة عنه نحو الشمال .

٤٧ — ص ٤٩٥ — :

(والقَهْرُ : موضع ببلاد بَني جَعْدَة ، قال المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ :

سُفْلَى العِرَاق وأنْتَ بالقَهْرِ

وأنشد الصاغاني لِلَبِيْد :

فَصُوائِقٌ إنْ أيْـمَـنَتْ فَـمَـظِـنَّـةٌ منها وحَافُ القَهْرِ أو طلخَامُها

وفي «مختصر البلدان» : هو جَبَلٌ في ديار الحارث بن كُعْبٍ وأسافِل الحجاز ، ممّا يَلي نَجْد ، منْ قِبَل الطائف). انتهى.

القول بأن القَهْرَ الجبَل من قبل الطائف غير صحيح ، فهو واقع في الطرف الشرقي الجنوبي من سراة قحطان ، وهذه السراة هي أسفل السَّروات . والطائف يقع في أعلى السروات. وأقرب البلاد إلى القهر شرق بلاد عَسِيْر، وجنوب بلاد الدواسر.

والقَهْر — قديماً في جنوب بلاد جَعْدَةَ المتصلة ببلاد بني الحارث بن كعب .

إنه سلسلة من الجبال ، تمتد من الشمال صَوْبَ الجنوب حتى تتصل بسلسلة جبال السراة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلاد عسير (تقع سلسلة جبال القهر بين خطي الطول ٤٤/٠٠° و٤٤/٢٨° وبين خطي العرض ١٩/٣٠° و٢٠/٠٠°) . (وانظر مجلة «العرب» س ٨ ص ٣٣) .



استدراك :

يضاف إلى ما ورد في الكلام على (عقر) ص ٩٣١ من مجلة «العرب» السنة الماضية بعد كلمة (فات المحقق تخريجه) :

والبيت من قصيدة طويلة وردت في — ص ٢٣٩ من كتاب «شرح أشعار الهذليين» تحقيق الأستاذ عبد الستار فرَّاج الذي راجع تحقيق هذا الجزء من كتاب «تاج العروس» ، والقصيدة منسوبة لمالك بن الحارث الهذلي ، ولتأبَّطَ شراً الفهمي .

حمد الجاسر

رحلة التميمي التونسي إلى الحج

— ١ —

زرت مدينة تونس في شهر رمضان ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) فسعدت برؤية بعض من عرفتهم من الإخوة، ومنهم أخي الأستاذ إبراهيم شبّوح، من علماء الآثار البارزين، ومن المعنيين بتحقيق التراث.

وكنت عَرَفْتُ الأستاذ إبراهيم أثناء طلبه العلم في كلية الآداب في مصر، وقويت الصلة بيننا، وتصاحبنا مراراً في السفر، إلى (اصطنبول) للبحث عن المخطوطات النادرة، ولبعض البلدان الأوربية.

وآخر عهدي بالأستاذ شبوح كان عند قيام حوادث لبنان. فلما زرت تونس حرصت على لقائه، فمررت بصاحب (المكتبة العتيقة) بقرب جامع الزيتونة. فبعث معي من أرشدني إلى المكان الذي يعمل فيه الأستاذ (قسم الآثار) فلم أجده، ولكنه حين علم بذلك أكرمني بالزيارة، وأفضل بتكرارها.

وقدم لي في إحدى المرات نسخة مُصَوَّرَة لرحلة عالم تونسي زار الحجاز في أول عشر الأربعين من القرن الماضي.

ولقد تصفحت تلك الرحلة، فرأيتها لا تخلو من فوائد، وإن كانت لا تندرج ضمن رحلات الحج، التي حاولت جمع ما استطعت جمعه منها، ثم دراسة ما جمعت، ثم محاولة استخلاص ما أرى في استخلاصه فائدة، وترتيبه حسب موضوعاته، ثم نشرهُ، فهذه الرحلات تقف عند نهاية القرن الثالث عشر الهجريّ، إذْ ما بعد ذلك من الزمن بلغت الرحلات المدوّنة عن الحج درجةً من الكثرة، يصعب معها حصرها وجمعها.

وها أنا أحاول عَرْض ما عَنَّ لي مما قد يكون في عرضه فائدة للقارىء ولا تفوت الإشارة إلى أن مؤلف تلك الرحلة عاش في عصر جمود فِكْرِيٍّ، سيطر على العقول في

أكثر الأقطار الإسلامية ، ولهذا يجد القارئ منه اهتماماً عظيماً بأمور اتصفت بالدين وليست منه ، وهذا ما لا أتعرض له ، لأنه يكاد أن يكون صفة عامةً لكثير من العلماء ، منذ قرون طويلة .

ترجمة المؤلف :

أوجز لي الأستاذ إبراهيم شبُّوح ترجمته على هذا النحو :

محمد بن صالح الْجُودي التميمي القيرواني .

ولد في مدينة القيروان — في القطر التونسي — في شوال سنة ١٢٨٧هـ .

وقد بلغ من العلم مبلغاً أهله لتولِّي الفتيا في بلده في سنة ١٣٢٩هـ .

ثم في سنة ١٣٥٧ أصبح رئيساً (باش مفتي) وله مؤلفات منها :

١ — رحلته إلى الحج .

٢ — قضاة القيروان ، من الفتح إلى الآن .

٣ — مورد الظمآن ، في تراجم علماء وصُلحاء القَيْروان — يقع في جزْءيْن كبيرين .

٤ — ثبت شيوخه ، وإجازات من لقيه من العلماء وقد توفي — رحمه الله — ليلة الثلاثاء التاسع من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاث مئة وألف (٢ ديسمبر سنة ١٩٤٣م) .

وصف النسخة :

يظهر أن المؤلف عاجلته المنيَّة قبل نقل رحلته من المسودة ، ولهذا وقع فيها كثير من الإضافات في الهوامش ، مع عدم وضوح كثير من الكلمات مما يدل على أنه كان يكتب لنفسه ، لا ليقرأه غيره .

وتقع في نحو ٨٨ صفحة في الصفحة نحو ٢٥ سطراً بخط مغربي .

محتواهـا :

استهل المؤلف رحلته ـــ بعد حمدالله والصلاة على محمد وآله وصحبه ، بقوله : (وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه ، الراجي غفران ذنبه ، محمد الجودي القيرواني : إني تعلق غرضي بحج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وذلك في سادس عشر شوال عام ١٣٣١ ـــ فاستأذنت الوزارة التونسية في السفر ، لحيث ذكر ، بمكتوب مؤرخ بالتاريخ المذكور ، فأجابني جناب الوزير الأكبر الشيخ يوسف جعيطا بمكتوب نصه : الحمدلله ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم :

الفاضل الزكي ، الثقة الشيخ محمد الجودي ، المفتي بالقيروان ، دام حفظه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد بلغنا مكتوبك المؤرخ ١٦ شوال و١٧ سبتمبر الجاريين ، في التعريف بعزمكم على السفر لحج بيت الله الحرام ، عام التاريخ ، وعلمناه .

ونعرفكم أنه لا مانع من ذلك .
ونسأله سبحانه لكم الأَمْنَ ، وأن يتقبل أعمالكم ودمتم بحفظ الله والسلام .

من الفقير إلى ربه تعالى ، أمير الأمراء ، يوسف جعيط ، الوزير الأكبر وفقه الله تعالى ، وكتب في ٢٨ شوال و٢٩ سبتمبر سنة (١٣٣١) ثم ذكر أنه شرع في بيع ما يلزم بيعه من الحيوان ، ليتهيأ للسفر . وأنه وَدَّع أهله وسار إلى تونس ، ونزل ببيت في المدرسة السليمانية ، في انتظار مجيء (البابور) يقصد الباخرة .

وأنه في ٢٤ ذي القعدة سافر بَحْراً فوصل (برت سعيد) وقال : (أقام البابور ببرت سعيد يومه ، إلى الليل ، ووجدنا صورة من نحاس ، قيل إنها صورة الأوروبي الذي فتح الفتحة بين البحرين الأحمر والمتوسط ، ووجدنا هنالك من البابورات كثيراً على أشكال مختلفة ، كاد أن يَمُرَّ بنا بعد كل ربع ساعة بابور . وعند غروب ليلة الجمعة غرة ذي الحجّة أقلع بنا البابور ، وسِرْنَا بوسط الْفَتْحَةِ الليل كله .

وهاته الفتْحَة يكتنفها جِسْرَانِ ، أحدهما وهو القِبْلِيُّ يمرُّ ... السكة الحديدية التي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه الراجي غفرانه محمد بن محمد الجودي التميمي القيرواني أني تعلق غرضي بحج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام وذلك في سادس عشر شوال عام ١٣٣١ واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف فلما صادفت الوزارة التونسية في السعي لحج تذكرة بمكتوب مؤرخ بالتاريخ المذكور جاءني جواب الوزير الأكبر الشيخ يوسف جعيط بمكتوب نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الفاضل الزكي الثقة الشيخ السيد محمد الجودي المفتي بالقيروان دام حفظه السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد بلغنا مكتوبكم المؤرخ في ٢٦ شوال و١٧ سبتمبر الجاري في التعريف بعزمكم على السعي لحج بيت الله الحرام على التاريخ وعليه فإنا نعرفكم أنه لا مانع من ذلك ونسأل الله سبحانه لكم الإعانة وأن يتقبل أعمالكم ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير إلى ربه تعالى الوزير الأكبر يوسف جعيط الوزير الأكبر وفقه الله تعالى وكتب ٢٨ شوال و١٩ سبتمبر ١٩١٣ عام ١٣٣١ الوزير الأكبر ما نصه يوسف جعيط ولما وصل المكتوب تهيأت للسفر وشرعت في بيع ما يلزم بيعه من الحيوان وغيره وبعثت منه إذا فيما يقوم بيعه وزرت مقامات الأولياء وفي مقدمتهم مقام الصحابي الجليل سيدنا أبي زمعة عبيد الله بن أرقم البلوي البلوي الذي لما استشهد في ٣٤ عام من الهجرة أوصى أن توضع ثلاث شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم كانت عنده في قلنسوة واحدة تحت لسانه واثنتان بعينيه ووضع ذلك وحفظه لأنه من البلوى أحد مقابر القيروان الآن وبه جدد الزيارة وجزته منه ... موضوعا حيث ذكر فيقتضي ما ولما رأيته عنده

قوله تعالى

(الصفحة الأولى من رحلة التميمي بخطه)

تذهب للسويس ومصر . وأمام ذلك بحرٌ قيل : هو نيل مِصْر .

وكان وصولنا لحيث ذكر بعد أنْ مررنا بِبَحْرٍ يُسَمَّى جون الكبريت ، وقع للناس فيه دَوْخَةٌ عظيمة ، وقاسينا الشَّدَائِدَ في البابور المذكور ، إذْكان بابور سِلْعَةٍ وفَحْمٍ ، ليس به (سكوندة) ولا ...

في مدينة جدة :

ثم ذكر أنه وصل (جدة ليلة الاثنين رابع حجة ، فأرسى بنا (البابور) وفي صبيحة الاثنين نزلنا بـ(فَلَايك) وسارت بنا إلى جدة ، وهي مَرْسى بعيدة عن البلد .

فدخلنا جدة وسلمنا (السراحات) للمكلّف من طرف الحكومة ، ودخلنا البلد فأول ما لاقيْنَاه أنه لا يطلب الإنسان شَرْبَةً من ماء إلّا بثمنٍ قدره (هلاله) لكل شَرْبَةٍ ، و(الهلالة) عبارة (مولوي؟) .

وسألنا عن (الميضات) فَأُرْشِدْنَا إليها ، حَذْوَ جامعها ، فوجدنا لا يتوضَّأُ الانسان إلّا بماء ، ذي ثمن قدره (هلالة) مع رداءة الماء ، وملوحته ، فتوضأنا وصلَّينا الظهر بجدة .

وأكتَرينا جمالاً حَمَلَتْنَا لمكة ، الجمل الواحد بثلاثة وعشرين (فرنكاً) ونصفاً .

فركبنا بعد صلاة الظهر ، وسار بنا الجمَّالون ، ولما خرجنا معهم وَجَدْنَا فَضَاضَةً وغِلْظَةً من الجَمَّالِين ، يطلبون من المال ، يسمى (البقشيش) فلم يسعنا إلَّا دفْعه ، وقدره نحو فرنكين) .

وسِرْنَا لَيْلاً ، وقبل نصف الليل وصلنا لمكان يُسَمَّى (بَحْرَة) بِتْنَا فيه على خوف شديد ، إذ أصحابه من البَدْو ، والجمَّالون منهم ، وكلهم مُسلحون .

وفي آخر الليل رَفَعْنَا ، وسِرْنَا ، ووصلنا مكة يوم الأربعاء ، عند الظهر ،

(للبحث بقية)

الزارة : قاعدة بلاد الخط قديما

(الخطُّ : ما يعرف الآن باسم القطيف والدمام والظهران ، الممتد على الساحل من الخفقي إلى قطر)

[كتب الأخ حسين علي القديحي من مدينة القطيف ، يستوضح عن مدينة الزَّارَة التي لها ذكر في كتب التاريخ ، في أخبار صدر الإسلام ، وفي حروب الرِّدَّة .

وقد تحدثت عنها في كتاب «المنطقة الشرقية — البحرين قديماً» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» في الجزء الثاني ،

ويظهر أن السائل الكريم لم يطلع على ذلك الجزء .

وها هو ما أوردت فيه] .

الـزَّارَة :

— بعد الزاي ألف مهموزة وقد لا تهمز تخفيفاً ، ثم راء فهاء ، وهي لغة الأَجَمَةُ — أي الشجر الكثير الملتف ، والسِّباع تأْوي الآجام ، ومن هنا قال بعض اللغويين أن اسم الزأْرة مشتق من زَئير الأسَد .

والزَّأْرة اسم بلدة من أَقْدَم مُدُن الْخَطِّ ، عُرِفَتْ إبَّانَ ظهور الإسْلام ، وجُهل تاريخها قَبْلَ ذلك .

وكانت مَقرَّ وَالي البحرين ، من قِبَل الفُرْس حين كان نفوذهم مُمْتَداً إلى هذه البلاد في العهد الجاهلي .

ذكر ياقوت في «معجم البلدان» في كلامه على المدينة ما نصه : (وكان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يَجْبي خراجها) انتهى .

وهذا النَّصُّ — مع غرابته — يَدُلُّ على سعة نُفُوذ مَرْزُبان الزَّارة ، وهو واليها من قبل الفُرْس ، ولكن لم يُعْرَف امتداد نفوذ هذه الدولة إلى غرب الجزيرة .

قال في «معجم ما استعجم» : الزارة مدينة من مدن فارس ، وهي التي بارز البراء بنُ مالكٍ مَرْزُبَانها فصرعه ، فقطع يديه فأخذ سِوَارِيْه ومنْطَقَتَهُ ، فقال عمر : كُنَّا لا نَخْمِسُ السَّلَبَ ، وإنَّ سَلَبَ الْبَرَاءِ بلغ مالاً ، وأنا خامسهُ . فكان أوَّلَ سَلَبٍ خُمسَ في الإسلام .

قال أبو عبيد : حدثنا يونس عن ابن سيرينَ أن ذلك السلب بلغ ثلاثين ألفاً .

ووقع في كتاب الرِّدَّة أنَّ الأساورةَ الذين كانوا مع المنذر بن النُّعمان المعروف بالغررو ، وهو الذي مَلَّكَتْ بكرٌ على أنفسها — حين ارتدوا انحازوا إلى الزارة فحُصرُوا ، فنزلوا على صُلْح ابن الحضرميِّ . فهذه الزارة هي بناحية البحرين ، لأنَّ هناك كانَتْ حروبهم عنْد ردَّتهم : انتهى .

وقال البلاذري في «فتوح البلدان»(١) : وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي كان وجهه لقتال بني تَميم حين عرضوا لِعِيْرِهِ — واسمه فيروز بن جشيش — بالزَّارة ، وانضم إليه مجوسٌ تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من أداء الجزية ، فأقام العلاءُ على الزارة لم يفتحها في خلافة أبي بكر ، وفتحها في أول خلافة عمر .

— ثم قال — : ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم ، ثم أتى الزَّارة وبها المُكَعْبر فحصره ، ثم إنَّ مرزبان الزَّارة دعا إلى المبارزة ، فبارزه البراء بن مالك فقتله وأخذ سَلَبَهُ فبلغ أربعين ألفاً . ثم خرج رجل من الزارة مُسْتأْمناً على أن يدل على شرب القوم ، فدلَّه على العين الخارجة من الزَّارة فسدَّها العلاءُ ، فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثُلُثَ المدينة ، وثُلُثَ ما فيها من ذهب وفضة ، وعلى أن يأْخذ النِّصْف مما كان لهم خارجها .

وأتي الأخنسُ العامريّ العَلاء فقال له : إنهم لم يصالحوك على ذراريهم وهم بدَارين .

ودَلَّهُ كرَّارُ النُّكرِيُّ على المخاضة إليهم .

— إلى أن قال : بارز الْبَرَاءُ بنُ مالك مرزبان الزارة فطعنه فوق صُلبه وأخذ سوَارَيْه ، ويَلْمَقاً(٢) كان عليه ، ومنطقةً ، فخمسه عُمَرُ لكثرته ، وكان أوَّلَ سَلَبٍ

خُمسَ في الإسلام .

وقال ابن الأثير في «النهاية» : وذكر مرزبان الزارة : الزأرة هي الأجمة سُمِّيت لزئير الأُسْدِ فيها . والمرزبان الرئيس المقدم ..

ومنه الحديث أن الجارود لما أسلم وثب عليه الحُطَمُ ، فأخذه وشَدَّهُ وِثاقاً ، وجعله في الزأرة . انتهى .

وجاء في «معجم البلدان» أيضاً قال أبو منصور : عَيْنُ الزارة بالبحرين معروفة .

والزَّارة قرية كبيرة بها ، ومنها مَرْزبان الزارة ، وله ذكر في الفتوح[٣] .

وفتحت الزارة سنة ١٢ في أيام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وصُوْلِحُوا . قال أبو أحمد العسكريُّ : الخطُّ والزارة والقَطِيفُ قرى بالبحرين وهَجَر .

وفي كتاب «البلدان»[٤] للحازمي : قال الأزهريُّ : عين الزارة بالبحرين معروفة ، الزارة قرية كبيرة ، وكان مرزبان الزارة منها ، وله حديث معروف في الفتوح . وقال الْعَسْكَرِيُّ : الخَطُّ والزارة والقطيف ودُرْنَا قرى بالبحرين وهجر .

وفي كتاب «المناسك»[٥] في الكلام على البحرين : (ثم الزأرة) ، وهي فرضة من فُرض البحر ، وهي لأحمد بن سالم العبدي ، وهو رئيس أهل القطيف ، وساكنها عبد القيس ، أكثر غِلَّتها النخل والسمك .

وعن أبي القموص زيد بن علي قال : حدثني الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد القيس : فقال لنا رسول الله صلى الله عليه : «أيُّ هَجَر أَعَزُّ؟» قلنا : الزَّارة .

وعن أنس ابن مالك قال : بارز البراءُ بنُ مالك مَرْزبانَ الزارة ، فطعنه طعنة فكسر القربوس[٦] ، فَخَلَصَتْ إليه فقتلته ، فَقُوِّمَ سَلَبُهُ بثلاثين أَلْفاً ، فلما صلينا الصبح غدا علينا عُمَرُ فقال لأبي طلحة : إنَّا كُنَّا لا نَخْمِسُ الأَسْلابَ ، وإنَّ سَلَبَ الْبَرَاءِ قد بلغ مالاً ، ولا أراني إلّا خامسه ، فقوَّمناه بثلاثين ألفاً ، وأُدِّيَتْ إلى عمر ستَّةُ آلاف . انتهى .

وخبر سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أعزّ بلدة في هجر ، وإجابة الوفد بأنّها الزّارة يَدُلُّ على مكانة الزّارة في ذلك العَهْدِ . وأنها أقوى مدينة في تلك المنطقة .

ثم وصفها بأن أكثر غَلَّتِها السَّمَكُ والتَّمْرُ ، لأنها متوسطة في واحة حدائق النخل ، ثم هي قريبة من شاطىء البَحْر ، فقد كانت ميناء — كما في النّصّ المتقدم .

وجاء في كتاب «الروض المعطار» ما نصه الزرادة[٧] : مدينة بناحية اليمن ، كان أبو سعيد الْجَنَّابِيُّ ، وهو من جزيرة جنابا ، من جملة من قام بدعوة القرامطة ، وكان يبيع الطعام بالزرادة ، وكان بها أيضاً رجل يعرف بإبراهيم الصائغ وكان داعيتهم أيضاً وجهوه غير مرة إلى ناحية فارس الأهواز لدعاء الناس ، وكان قيام القرمطي بالقطيف . انتهى . والزرادة تحريف الزارة ، وليستْ باليمن .

واتخذت الزّارة منفى ومَحْبِساً لمن تَغْضب عليهم الدولة في العهد الأموي :

ففي أخبار عبيدالله بن زياد حينما ولي البصرة سنة ستين ذكر ابن جرير[٨] أنه قال : — بعد أن عرَّف العرفاء على الناس : (وأيُّما عريف وُجد في عرافته من بُغيَة أمير المؤمنين أحدٌ لم يرفعه إلينا صُلِبَ على باب داره ، وأُلغيت تلك العرافة من العطاء ، وسُيِّر إلى موضع بِعُمَان الزارة) كذا ورد النص . ولعل صوابه (بعمان والزّارة) .

وذكر أيضاً[٩] : أنه سيّر عمر بن سعد إلى الزّارة .

وتقدم — في أول الكتاب — أنّ هذه البلاد كانت مَنْفَى لمن تغضب الدولة عليه .

والزارة هذه قاعدة الخطّ الذي يضرب المثلُ بحُمَّاه : (حُمَّى قَطِيْفِ الْخَطِّ أوْ حُمَّى فَدَكْ) .

وبقيت الزّارة — حتى النصف الأخير من القرن الثالث الهجري — تُعَدُّ أكبر مدينة في الخط (القطيف) كما يفهم من وصف صاحب كتاب «المناسك»[١٠] لها ، بأنها مَقَرُّ رئيس أهْل القطيف ، وأنها فُرْضَةٌ على البَحْرِ ، وهذا يدل على سَعَتِهَا وكِبَرِها ، نتصوَّرُ هذا حين نعلم أنَّ موقعها هو موقع قرية الْعَوَّامِيَّة التي أرى أنها في الأصل محلة من مَحَلَّاتها .

وقرب انتهاء القرن الثالث حرَّق القرامطة مدينة الزَّارة ، كما حرَّقوا مدينة هَجَر.

وفي الزارة نشأت دعوة القرامطة ، ومنها امتدت حركتهم حتى شملت البلاد ، كما فصّل ذلك متقدمو المؤرخين.

وجاء في «ديوان ابن مقرب»[11] : كانت رئاسة القطيف لبني جذيمة فجمع أبو سعيد القرمطيُّ جيشاً فأغار على القطيف حتى ملكها بعد أن حرَّق الزارة وهي مدينتها ؛ ودار مملكتها . وكانت الرئاسة فيها لبني أبي الحسن ، علي بن مسمار بن سلم بن يحيي ، من كَلْب عبد القيس وأبو سعيد هذا قتل سنة ٣٠١ .

وجاء في الديوان المذكور ما مُلَخَّصُه :

وذلك أن عبد القيس حين اختلفت كلمتهم ، وكثرت بينهم الحروب ، ضعفوا ووهنوا ، ووهن أمْرُهُم بالبَحْرَيْن ، فوثب القِرْمِطيُّ وهو أبو سعيد الحسنُ بن بهرام بن بهرشت على القَطيف ، وهو يومئذ ضامِنُ مُكُوسِها وضامِنُ فُرْضَتِهَا ، وكان قد جمع مالاً عظيماً استمال به قلوب الناس ، وكانت رياسة القطيف يومئذ وملكها لبني جَذِيْمَة ، من عبد القيس .

وكان أولو الأمْر فيهم بنو أبي الحسن عليّ بن مسمار ، وجمع القرمطيُّ جيشاً من أهلها ومن البادية ، ومن أهل عُمَان ، وحارب بهم أهل القطيف ، حتى ملكها بعد أنْ حرَّق الزارة وهي مدينتها ، ودار مملكتِها ، وسار حينئذ إلى الأحساء بجمـوع عظيمة . انتهى .

وآثار الحريق كانت باقيةً إلى عهدٍ قريب ، في موضع يُدْعَى الرَّمادة ، في المكان الذي كانت الزَّارة تقع فيه ، وقد غُرِسَ ذلك المكان بالنخيل ، وانمحت آثار العمران القديمة منه .

وكان اسم الزارة معروفاً إلى عهدنا الحاضر ، يطلق على موضع يقع في الجنوب الشرقي من قرية الْعَوَّاميَّة ، بجوارها .

وفي القرية نفسها حَيٌّ يعرف باسم (فريق الزارة) والْفريق يرادف كلمة المحلَّة .

وموقع الزارة غرب مدينة القطيف الآن بنحو خمسة أكيال ، قد أحاطت النخيل بها ، ويظهر أن شاطىء البحر قديماً كان يتصل بها ، أو أنها كانت تشمل مساحة من الأرض واسعة تصل إلى الساحل ، وبعد خرابها اتُّخذت تلك الأرض بساتين للنخيل .

ويحسن التنبيه على بعض أوهام وقعت في نصوص بعض المتقدمين حول الزَّارة :

١ ــ قول البكري وياقوت[١٢] وغيرهما أن الزارة من مُدُنِ فارس خطأ ناشىء عن وجود مرزبان من مرازبة الفرس فيها أثناء حصار المسلمين لها في حروب الردّة .

٢ ــ ذكر الزمخشريُّ في «الفائق»[١٣] ما نَصُّهُ : أن الجارُوْدَ لما أسلم وثب عليه الْحُطَمُ فأخذه وشَدَّهُ وثاقاً ، وجعله في الزارة .

ثم أضاف الزمخشري : في تفسير الزارة ــ : هي الأَجَمَةُ . ويقال للأسدِ : مرزبان الزأرة انتهى .

فالزمخشري قصد المعنَى اللغوي ، ولم يُدْرِك أنَّ الزأرة ــ في الموضعين ــ عَلَـمٌ لهذه المدينة .

٣ ــ أورد صاحب «الروض المعطار»[١٤] الزَّارة باسم (الزَّرادة) وعَدَّها من مُدُنِ اليمن ــ كما تقدم ــ وهذا خطأٌ مع أنه أورد اسم الزَّارة صحيحاً[١٥] وعَدَّها من مدن فارس ، وذكر مبارزة مرزبانها للبراء ، وساق خبره .

حواشي المقال :

---

(١) ص ٩٠ الطبعة الأولى .

(٢) اليلمق : القباء . والكلمة فارسية أصلها (يلمة) فعربت .

(٣) في «التهذيب» : ٢٤١/١٣ بدل كلمة (وله في الفتوح) : (وله حديث معروف) وكذا في «التاج» فيما نقل عن الأزهري . وأبو منصور هو الأزهري صاحب «التهذيب» .

(٤) الورقة : ٩ .

(٥) ص ٦٢١ .

(٦) القربوس : الخشبة المنحنية من سرج الفرس ، وللسرج قربوسان .

الزرق : الواردة في الأشعار

.. رأيتُ الشاعر ذَا الرُّمة ، يذكر الزُّرْقَ — في الدَّهناء — كثيراً ، ولكنني لم أهْتَدِ إلى معرفة موقعها من صحراء الدهناء الواسعة ، فهل من الممكن إرشادي إلى موقعها ؟

رماح — سعد بن ساير العتيبي

العرب : لقد جمع مؤلف كتاب «المنطقة الشرقية» أكثر النصوص الواردة في تحديد ذلك الموضع .

وها هو نَصُّ ما أورده في الكتاب المذكور ، وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

الزُّرْقُ :

— على لفظ جمع أزْرَق بضم الزَّاي — : هذا الموضع فيما يظهر من النصوص التي



---

(٧) ينقل المؤلف عن البكري (مخ ٦٨ وهو المصدر الوحيد الذي ورد عنده اسم هذا الموضع (الزرادة) — فيما أعلم — ولا أدري هل التسبت هنا بـ(الزارة) إحدى مدن البحرين أولاً ، على أن البكري نفسه ورد الإسم لديه في صورة (الواردة) وذكر الاسم في الترجانة : ٤٩٢ — وقارن بالطبري ٣ : ٢١٢٤ وأخبار القرامطة : ١١٣ .

(٨) ج٥ ص ٣٥٩ .

(٩) المصدر ص ٤٥٤ .

(١٠) : ٦٢١ .

(١١) مخطوطة الأستاذ صادق الكردي .

(١٢) مادة (زأر) .

(١٣) ذكر يوقات أيضاً أنها من مدن البحرين ، فكان الاسم عنده يطلق على مدينتين وهذا غير صحيح .

(١٤) ٢٨٥/٢٨٦ .

(١٥) ٢٨٢ .

الزرق : الواردة في الأشعار

.. رأيتُ الشاعر ذَا الرُّمة ، يذكر الزُّرْقَ — في الدَّهناء — كثيراً ، ولكنني لم أهْتَدِ إلى معرفة موقعها من صحراء الدهناء الواسعة ، فهل من الممكنَ إرشادي إلى موقعها ؟

رماح — سعد بن ساير العتيبي

العرب : لقد جمع مؤلف كتاب «المنطقة الشرقية» أكثر النصوص الواردة في تحديد ذلك الموضع .

وها هو نَصُّ ما أورده في الكتاب المذكور ، وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

الزُّرْقُ :

— على لفظ جمع أزْرَق بضم الزَّاي —: هذا الموضع فيما يظهر من النصوص التي



---

(٧) ينقل المؤلف عن البكري (مخ ٦٨ وهو المصدر الوحيد الذي ورد عنده اسم هذا الموضع (الزرادة) — فيما أعلم — ولا أدري هل التسبت هنا بـ(الزارة) إحدى مدن البحرين أولاً ، على أن البكري نفسه ورد الإسم لديه في صورة (الواردة) وذكر الاسم في الترجمانة : ٤٩٢ — وقارن بالطبري ٣ : ٢١٢٤ وأخبار القرامطة : ١١٣ .

(٨) ج٥ ص ٣٥٩ .

(٩) المصدر ص ٤٥٤ .

(١٠) : ٦٢١ .

(١١) مخطوطة الأستاذ صادق الكردي .

(١٢) مادة (زأر) .

(١٣) ذكر يوقات أيضاً أنها من مدن البحرين ، فكان الاسم عنده يطلق على مدينتين وهذا غير صحيح .

(١٤) ٢٨٥/٢٨٦ .

(١٥) ٢٨٢ .

سأوردها يقع خارج المنطقة التي أُلِّف هذا القِسْمُ من المعجم لتحديد مواضعها ، فهو في الدَّهْناء . ولكنَّ موضعاً ذكره ذو الرُّمَّة أكثر من ثماني عشرة مرَّةً ، وذكر مواضع داخلة في نطاق بحثنا أليْسَ جَديْراً بأن يُذْكر هنا ، لا سيَّما وهو من المواضع التي ينبغي ذكرها في «المعجم» في أحد أقسامه الأخرى وقد تحدثت عنه بإيجاز في قسم (شمال المملكة)[1] .

قال البكري في «معجم ما استعجم» : الزُّرْقُ هي أنقاء بأسفل الدّهناء لبني تميم .

قال ذو الرُّمَّة :

وَقَرَّبْن بِالزُّرْقِ الْجَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ مِنْ غِرْبَانِ أوْ راكِهَا الْخَطْرُ

وفي «معجم البلدان» : الزُّرْقُ رمال بالدهناء وقيل : هي قرية بين النباج وسُمَيْنَة ، وهي صعبة المسالك .

قال ذُو الرُّمَّة :

فَيَا أكْرَمَ السَّكْنِ الَّذِيْنَ تَحَمَّلُوا عَنِ الدَّارِ ، والمُسْتَخْلَفِ المُتَبَدَّلِ
كَأَنْ لمْ تَحُلَّ الزُّرْقَ مَيٌّ ولم تَطَأْ بِجَرْعَاءِ حُزْوَى ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَجَّلِ

وجاء في كتاب «المناسك»[2] : والسُّمَيْنَةُ بَيْنَ مُضْرِطٍ ومُرْبخ ، ينحدر من أحدهما ويصعد في الآخر بصعوبة شديدة ، فالأول منهما الذي يلي البصرة أصعبها ، فكان الحَجَّاج لما انحدر ، انْحَدَرَ ومعه جارية ، فلما استصعب على الجمَّالين الرَّمْلُ في هذا الموضع سألوا أصحاب الحجاج أن ينزلوا عن الإبل ، ليخَفِّفُوا عنها ، فيمشوا ، فلم يَبْقَ إلّا الحَجَّاجُ وجاريته فقال الراجز :

الـرَّمْـلُ لَا يَـرْكَـبُ فـيـه أَحَـد إلَّا الـنِّـسـاء وأَبُـو مُـحَـمَّـدْ

فالرجَّازُ حتى الساعة يرتجزون في هذا الموضع بهذا ، ويرتجزون أيْضاً :

يَـا حَـبَّـذَا الْقَمْرَاءُ ، واللَّيْلُ سَاجْ وطُـرُق مِـثْـلُ مِلَاءِ الـنُّـسَّـاجْ

وهذه الرملة بها الزُّرْق التي يذكر ذو الرُّمّة — ثم ذكر السُّمَيْنة وقال ثم من وراء هذا الرَّمل الشَّقائق وهي سبعة أحبُلٍ ، بينها سَبْعُ شقائق ، لكل حَبْلٍ منها اسمٌ ، ولكل شقيقة اسمٌ ، فزعم الناسُ أن قوماً ضَلُّوا في شقيقة منها ، فأخذوا ذاتَ اليسار ، وَمَضَوْا في الشقيقة ، فلم يزالوا في ضلالٍ حتى خرجوا في وادي اليمن (٤) من وراء بلاد اليمامة . وآخر شقيقة منها مِمَّا يلي مكة المَغَرَةُ وهي أرض حمراء ، كأنها صُبِغَت بالعصفر ، وحجارتها كذلك ، تتَّصِلُ بالحَبْلِ الذي يقال له حَبْلُ الحاضِرِ وهو آخرها ، وهو يُشْرِفُ على النَّبَاجِ نِبَاج ابْنِ عَامِرٍ . انتهى . ونقلته بطوله لأُوَضِّحَ خطأً ياقوت في قوله : (هي قرية بين النِّباج وسُمَيْنَة) فهي ليست قرية بل رمالٌ عظيمة ، وهي شرق السُّمَيْنَةِ وليست بينها وبين النباج ، بل بينها وبين الينسوعة .

ويظهر من قول صاحب « المناسك » : (وهي رَمْلَةٌ بها الزُّرْقُ) أي إنَّ الزُّرْق متصلة بهذه الرَّمْلَةِ الْعَظِيْمَة . إذ يفهم من شعر ذي الرُّمّة الذي سنورده بعد هذا أنّ الزُّرق تقع شرق الدَّهْنَاء ، على مقربة من حُزْوا والدَّحْل والشماليل والقرينة ، وتلك المواضع تقع في الجهة الجنوبية بعيدة عن طريق حاج البصرة الذي يَمُرُّ بفلج ، ويخترق شمال الدهنا من الينسوعة إلى السُّمَيْنَة وهناك الرملة العظيمة التي قال صاحب « المناسك » (بها الزُّرْق) ولم يقل : إنَّها الزُّرْق . ولهذا بعد أن عَرَضْت لقوله في قسم (شمال المملكة) قلت :

وخلاصة ما يفهم من النصوص المتقدمة :

١ — أن الزرق من أنقاء الدهناء ، ومنها نَقَا مُشْرِفٍ من أَطْوَل الأنقاء .
٢ — أنَّ الشماليْلَ من الزُّرقِ ، والشماليل بناحية معقلة ، وهذه لا تزال معروفة .
٣ — أنَّ ذا الرُّمة يقرن الزُّرق بحُزْوا وحُزْوا معروفة وهي بجهة مَعْقُلة .
٤ — مَعْقُلة وَحُزَوَا يقعان جنوب طريق الحجِّ البصري — أي جنوب الحفر حفر الباطنِ .

٥ — تحديد الحربي — وأقصد صاحب « المناسك » — وياقوت ، وقد أخذ عنه فيما يظهر من مقارنة النَّصيْن ، يدل على أنّ الزُّرْق تقع في الطريق البَصْرِيِّ بين الينسوعة

والسُّمَيْنَةِ ، وهذا التَّحديد يُخَالِفُ القول بأنَّها قُرْب مَعْقُلَة وحُزْوا .

ولا مَخْرج من هذا الا أن يقال إنَّ الزُّرْق يُقْصَد بها أعظم أنقاء الدهناء وأقصد الحبال ـــ وأطولها ، ومعروف أنَّ حبال الدهناء تمتدُّ من الجنوب إلى الشمال مسافاتٍ طويلة ، فقد تكون أطراف الزرق الجنوبية غرْب معقلة وحُزوا ، وتمتدُّ حتى تبلغ طريق البصرة من حَجْر ، وشماله إلى طريق البصرة إلى مكة .

وأضيف الآن : يظهر أن ياقوتاً اعتمد على ذاكرته في تعريف الزُّرق ، ولم يتقيّد بنص صاحب «المناسك» فوقع فيما وقع فيه من الخطإ .

وأما القول من أنَّ الشماليل من الزرق فمصدره ما جاء في حاشية على قول ذي الرُّمة : فَوَدَّعْن أقواع الشماليل .

الشماليل : موضع في الزُّرق ، وعرف ياقوت الشماليل بأنها حبال رمْل متفرقة بناحية مَعْقُلة ونعود لعرض بعض النُّصوص المتعلقة بتحديد موقع الزرق .

جاء في وصف طريق حَجْر (الرياض الآن) إلى البصرة في كتاب «بلاد العرب» (٥) بعد أن ذكر الدّهناء قال : والصُّبَيْغَاءُ وهي بَرْقَاءُ بمُنْقَطَع الدهناء ، إذا جُزْتَ الصُّبَيْغَاءَ وَقَعَتْ في أبْرَقٍ يقال له القُنْفُذ والأبْرَقُ رَمْلٌ مختلطٌ بآكام ـــ ثم إذا جُزْتَ القُنْفُذَ اسْتقبَلْتَ أول الصَّمَّان . وعَنْ يسارك قبل ذلك الزُّرق التي ذكرهُنَّ ذو الرُّمة ، وهي أجارع من الرمل ، وهي من أرْض سَعْدٍ ، من الدَّهْناء .

فأول ما تستقبلُ مِنَ الصَّمَّان حين تَدْخُلُهُ دَحْلٌ على الطريق يقال له خُرَيْشيم انتهى .

هذا الطريق الذي ذكره يخترق الدهناء بمقابلة خُرَيْشيم ، هو طريق مَعْقُلَه ، إذْ خُرَيشيم الدّحْل لا يزال معروفاً ، وهو واقع غرب مَعْقُلة غير بعيدٍ عنها ، بَيْنَ حُزْوَا وقريَةِ شَوْيَةَ . والزُّرْقُ ـــ على ما يفهم من الكلام المتقدم ـــ تقع قبل الوصول إلى هذا الدَّحْلِ الواقع في طرف رِمَال الدَّهْناء في الجهة الشمالية منه : (وعن يسارك قبل ذلك الزُّرق) وما عن يسارك من الحبال العظيمة عرق جَهَام وعرق جُهَيِّم ، ولا أدري هل يَصِحُّ الاستئناس باسم الزُّرق ـــ جمع أزرق ـــ للبحث عن صِلَةٍ بَيْن هذا اللَّون وبين لَوْنِ

الجُهْمَة التي منها سُمّي الْحَبْلَانِ المذكوران . قد يكون ذلك بجامع عدم صفاء اللَّون ، وما أقرب الزرق التي ذكرها صاحب « بلاد العرب » ووصفها غيره بالصعوبة والعظم من ذَينك الحبلين وما شرقها وجنوبها من الحبال إلى قرب مَعْقُلَة ، وتقدمت الإشارة إلى نحو هذا في رسم الخلصاء .

والآن لنعرض من شعر ذي الرُّمَّةِ ما ذكر فيه الزُّرْق لقد ذكرها أكثر من ثماني عشرة مرة :

فقال(٦) : في وصف الأطلال :

بِجَانِبِ الزُّرْقِ لمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا ... دَوَارِجُ الْـمَوْرِ والأَمْطَارُ وَالْحِقَبُ

الزُّرقُ : أكثبة رمال بالدهناء .

وقال(٧) : يصف الغيث .

أَسْقَى الإِلـه بـه حُزْوَى فجادَبه ... ما قابَلَ الزُّرْق من سَهْلٍ ومن جَلَد

وقال(٨) :

وعَيْنٌ أرَشَّتْـهَا بـأَكْنَافِ مُشْرِفٍ ... من الزُّرْقِ في سَفْكٍ ديارٌ الْحَبائِبِ

وقال(٩) : في وصف الظُّعْنِ :

فَـوَدَّعْـنَ أَقْـواعَ الشَّـمَـالِيْلِ بَعْدَمَا ... ذَوَى بَقْـلُـهَا : أَحْرَارُها وذُكُوْرُهَا
ولم يَبْقَ بِالْخَلْصَاءِ مِمَّا عَنَتْ به ... مِنَ النَّبْت إلا يُبْسُهَا وهَجِيرُهَا
فَمَا أيْأَسَتْنِي النَّفْسُ حتَّى رأيتُها ... بِحَوْمَانَةِ الزُّرْقِ اَحْزَأَلَّتْ خُدُوْرُهَا

الزرق : أكثبة بالدهناء :

وقال(٩) :

طـوالعُ مِنْ صُلْبِ الْقرِيْنَةِ بَعْدَمَا ... جرى الآلُ أشباه المَلَاءِ اليقايِقِ
وَقَدْ جعَلَتْ زُرْقَ الوَشِيج حُدَاتُها ... يَـميناً وحَوْضاً عَنْ شِمَالِ المرافِقِ

وقال (١٠) :

وَقَـرَّبْن بِـالزُّرْقِ الجمائِلَ بَـعْـدَمَـا تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أوْراكِهَا الْخَطْرُ

الزرق : أكثبة الدهناء . تقوّب : تَقَشَّر . غربان أوراكها : طرف رؤوس الأوراك الذي يلي الدنب .

الْخَطْرُ : هنا مصدر .

وقال (١١) :

إذا شِئْتُ أبْكَاني بجَرْعَاء مَالِكٍ إلى الدَّحْلِ مُسْتَبْدَى لِمَيٍّ ومَحْضَرُ
وبـالزُّرْقِ أطْلَالٌ لِـمَـيَّـةَ أقْـفَـرَتْ ثَلَاثَـةَ أحْوَالٍ تُـرَاحُ وتُـمْـطَـرُ

الزرق : أكثبة بالدهناء .

(للحـديث صلة)



حواشي المقال :

(١) ٦٣٢/٦٢٨ .
(٢) الجمائل : جمع الجمالة . والغربان هنا : الأزراك من خلف الظهر وقيل : رأس الورك تتوب : انقطع وانقشر .
الخطر : ما لصق بالوركين من البول .
(٣) ٥٨٤ .
(٤) لعل الصواب : (في وادي الرمل من اليمن) لأنه ذكر وادي الرمل وراء يبرين إلى حضرموت في اليمن .
(٥) ٣١٢ .
(٦) ديوانه : ٢٢ .
(٧) ١٦٨ .
(٨) ١٩٠ .
(٩) ٢٢٦ .
(٩) ٢٥٠ .
(١٠) ٥٦٦ .
(١١) ٦١٥ .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

الكباكبة : سكان كبكب

هذا الاسم يطلق على سكان جبل كَبْكَبْ ، المُطِلّ على عرفات ، وأكثرهم يرجعون في نسبهم إلى قبيلة هُذَيل ، وكان هذا الجبل وما حوله منذ العصور القديمة من منازل تلك القبيلة .

ولهذا ورد في كتب النسب الحديثة ومنها كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» . أنَّ الكباكبة من فروع قبيلة هُذَيْل . بصرف النظر عن أصول هؤلاء .

وقد كتب الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني — وهو من آل حسن سكان تلك الجهة يقول : إن إطلاق كلمة (الكباكبة) على أولئك خطأً يرتكبه العامة في تلك الناحية ، إذ السكان ينتمون إلى قبائل ذات أصول عريقة ومنهم آل حسن الذين يسكنون شمال وادي نعمان ، وأن أصلهم من الأشراف — أشراف المغرب العلويين ، انتقل جدهم محمد بن القاسم من ينبع إلى المغرب في حدود سنة ٢٥٠ هـ مع الحجاج — ثم قدم أحد أجدادهم وهو يوسف بن إسماعيل الصالحي الحسني التلمساني مع الجيش العثماني سنة ٩٢٣ إلى مكة برتبة (باشا جاويش) وعين ناظراً على عين زبيدة التي تنبع من وادي نعمان ، ثم اشترى بلاداً في هذه الجهة استقر بها بعض أعقابه إلى الآن وذكر الأخ الكاتب أن فروع أسرة آل حسن :

آل عبد المحسن ، وآل شاقي ، وآل حسين ، وآل حمدي ، وآل محسن وآل حاسن ، وآل أحمد ، وآل مشبّب وآل عالي .

وأنهم لا يزالون يسكنون شمال وادي نَعْمَان ، ومنهم من استوطن مكة المكرمة . وغيرها من مدن المملكة .

الزَّلّال في الدّرْعِيَّة :

جاء في مجلة «العرب» س ١٥ ص ٢٨٧ في حواشي مقال (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» — رقم الحاشية (١٢) ما نصه : الزَّلّالُ من الأمكنة القريبة من الدّرْعِيَّة . ويقول الأستاذ عبدالله بن خَمِيس ، وهو من أهل هذه البلدة إنه غير معروف الآن . انتهى وهذا القول اعتماداً على ما ورد في كتاب «معجم اليمامة» ج١ ص ٥٣٥ — تأليف الأستاذ عبدالله ونَصُّهُ : الزَّلّالُ مكان قرب الدرعية ، ورد له ذِكْرٌ في تاريخها . ولكننا الآن لا نعرفه ، وقد ورد ذكره في بيتين ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود — ثم أوردهما كما وردا في أصل المقال .

وأُضيف الآن أنَّ الأستاذ عبد المحسن الطَّوِيْل — وهو من أهل الدّرعيَّةِ ورئيس مركز التنمية فيها — أخبرني أنَّ الزَّلّال لا يزال معروفاً ، وقال في وصفه : إنه صِنْعٌ — مجرى سَيْلٍ — ينحَدر من شرق الدرعية إلى جهة نَخيل البلدة . بجانب (قُريوة) الموضع الذي فيه المقبرة القديمة التي فيها قبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — بجانبها من الجنوب ، وكان طريق الدرعية القديم يَمُرُّ به ، وهو بقرب (الناصريَّة) الجبل الواقع في تلك الجهة لا الناصرية المحلة التي غرب مدينة الرياض ، فتلك كانت تُعْرف باسم (الْفَوَّارة) والناصرية اسم حديث . وطريق الدرعية المُعَبّد الحديث المسلوك الآن من الرياض إلى الدّرعيَّة ، يَدَعُ الزَّلّالَ شماله .

«غَايـة الأمـاني»

ورد في ص ٧٨٤ س ١٥ — في مقال الدكتور يوسف شلحُد اسم كتاب «بغية الأماني ، في أخبار القطر اليماني» ليحيي بن الحسين بن القاسم . وصواب الاسم «غاية الأماني» .

وقد نبَّه إلى هذا الخطإ الأخ يحيي بن علي عكور ، من بلدة الروشن ، في بيشة . شكرا لله له ، ووفقه .

آل (أبا القرب) : من واهب ثم من شهران

اطلعت على مجلة العرب (ج ٧ و٨ س ١٥ / محرم وصفر ١٤٠١ هـ) . على مقالة د. محمد بن سعد الشويعر . حيث ذكر في مقالته آنفة الذكر أن قبيلة (آل أبا القرب) في منطقة الجنوب وقد لحقوا (بِسُبَيْع) حينما سرد أفخاذ الحُقُبَان من الدواسر ومساكنهم .

وبما أن لحمة (آل أبا القرب) المشار إليهم يسكنون في المنطقة الممتدة بين بِيْشَة وخَيْبَر الجنوب ، وأنهم من فروع بني واهب الآن من شَهْران وليسوا من سُبَيْع كما ذكر الدكتور محمد .

وقد أشار إليهم الدكتور جابر الطيب بن علي في أحد اعداد مجلة العرب عندما ذكر سكان وادي هِرْجاب .

لذا أحببت ايضاح ذلك .

الباحة/ إمارة العقيق : سعيد بن مناحي الشهراني

المراشدة من فروع عتيبة

عند مراجعتي للمقال الوارد في مجلة العرب ج ١١ و١٢ س ١٥ لاحظت بعض الأخطاء التي وقعت مني في المقال المذكور نبهني عليها بعض الإخوان العارفين وهذه الملاحظات هي :

١ — ورد في المقال : أن الضعفان المعروفين من المثاقبة من المراشدة اليوم ورد أنهم حلفاء من بني عبدالله من مطير هذا لا يوافق عليه اليوم العارفون بالنّسب من الضعفان مع اعترافهم بأنهم من قبيلة مُطير والحقيقة أن ما ذكرته في مقالي السابق عن : الضعفان هو : ما سمعته من كبار السن العارفين بالأنساب والله أعلم (ثم مدحهم الكاتب وأورد ثلاثة أبيات من نظمه في مدح الضعفان نسل عواض بالكرم والشجاعة .

٢ — وقع خطأ وهو رسم صفة الوسم المعروف الذي يتخذه المراشدة اليوم وسماً لهم

على الإبل فقد جاء رسمه في المقال ناقصاً وصفته المعروفة هي | ٠ | ومن تحته الشاهد وهو كما ذكرت على رقبة المطيّة واسمه : الأثاثي — بالثاء — تشبيهاً بالأثاثي المعروفة ولا يسمى الباب وليس الباب من وسم المراشدة .

٣ — وقع خطأ مطبعي في اسم عايد حيث ذكر عابد وصوابه : عايد — بالياء المثناة .

٤ — عندما قرأ شاعي بن غازي المرشدي وهو من العارفين بالأنساب عندما قرأ ذلك المقال أبدى لي عدة ملاحظات أجملها فيما يلي :

أ — الطرورة : ليسوا من ذوي حميد وإنما هم خصلة من الغرامين من ذوي محمد من المراشدة أيضاً .

ب — ليس من المراشدة فخذ يسمى الخذمان .

جـ — ذوي جحرف ليسوا من الحسانية بل من الفهارين من ذوي حميد .

د — خصلتا : القوسة والكسور ليستا من الفهارين بَل من العناترة من ذوي حميد .

هـ — المقارنة : ليسوا من العناترة بل هم فخذ آخر من ذوي حميد ، ويقال إنهم عناقر من أهل ثرمداء . قلت وهذا هو المشهور عند قبيلة المراشدة والمعروف عندهم اليوم والله أعلم .

و — اللوابين من ذوي مطيع هم : ذوي سفر ، وذوي جداع . واللوابين هم : بنو لوابان بني ذيخان بن مطيع .

ويرى الأخ شاعي — عند قراءته اسم هوازن في صدر المقال — يرى أنه من الاحسن أن أوصل نسب هوازن إلى عدنان جد عرب الحجاز . ونسب هوازن كما هو معروف في كتب النسب :

هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهم من بني قَيْس من مضر من عدنان ويلتقي نسبهم مع النبي صلى الله عليه ←

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب إلا عن الكتب التي تصل إليها ، إذ الموضوع من السعة بحيث لا تتسع صفحات المجلة له] .

* الاجتهاد في طلب الجهاد :

العالم المفسر المؤرخ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ — من المكثرين في مجال التأليف وقد طلب منه نائب السلطنة في الشام في عهده أن يكتب له

← وسلم في مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من نسل اسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، والله أعلم .

الرياض عبد الرحمن بن زبن المرشدي العتيبي

حول «معجم المطبوعات السعودية»

ومن الأخ الأستاذ محمد بن علي عكور من بلدة الروشن — في بيشة :

اطلعت على مقال معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، الذي يوالي نشره د./ علي جواد الطاهر الحلقة ٥٠ الملاحظة هي على اسم كتاب ابن القيّم الذي أورده الدكتور في صفحة ٧٥١ ج ٩ و١٠ س ١٥ لعام ١٤٠١ هـ وهو : «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» وليس (والدليل) .

الملاحظة الثانية في صفحة ٧٥٤ سطر ٩ عند ذكر عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسّام «تيسير العلوم» ويضاف الى ط ٢ ضبطه ونسّقه وباشر تصحيحه محمد زهري التجاري والصواب محمد زهري النّجار وهذه الأخطاء يظهر أنها مطبعية .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب إلا عن الكتب التي تصل إليها ، إذ الموضوع من السعة بحيث لا تتسع صفحات المجلة له] .

* **الاجتهاد في طلب الجهاد :**

العالم المفسر المؤرخ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ — من المكثرين في مجال التأليف وقد طلب منه نائب السلطنة في الشام في عهده أن يكتب له

← وسلم في مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من نسل اسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، والله أعلم .

الرياض　　　عبد الرحمٰن بن زبن المرشدي العتيبي

حول «معجم المطبوعات السعودية»

ومن الأخ الأستاذ محمد بن علي عكور من بلدة الروشن — في بيشة :

اطلعت على مقال معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، الذي يوالي نشره د./ علي جواد الطاهر الحلقة ٥٠ الملاحظة هي على اسم كتاب ابن القيّم الذي أورده الدكتور في صفحة ٧٥١ ج ٩ و١٠ س ١٥ لعام ١٤٠١ هـ وهو : «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» وليس (والدليل) .

الملاحظة الثانية في صفحة ٧٥٤ سطر ٩ عند ذكر عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسّام «تيسير العلوم» ويضاف الى ط ٢ ضبطه ونسّقه وباشر تصحيحه محمد زهري التجاري والصواب محمد زهري النّجار وهذه الأخطاء يظهر أنها مطبعية .

(ما تيسر من الكتاب والسنّة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور الإسلامية ، ليرغب أهلها في ثواب ما أهّلهم الله له من الرباط في الثغور التي هي حفظ حوزة الإسلام) فاختصر من مجلد كان جمعه هذه الرسالة . التي قام الأستاذ الدكتور عبدالله عبد الرحيم عُسَيْلان — في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — بتحقيقها ونشرها نَشْراً عِلْمياً .

وقد قدم للرسالة بمقدمة ضافية عن حياة المؤلف ابن كثير ، وعما يتعلق بموضوع كتابه هذا ، وأَلْحَقَ به فهارس وافية .

فجاء كتاباً في ١٣٦ صفحة . والطباعة جيدة . وصدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت هذا العام — ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .

* **مواقف من السيرة النبوية :**

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ مصطفى حسين عطار ، من رجال التربية والتعليم في هذه البلاد المعروفين . وكان الأستاذ العطار يذيع بحوثه في السيرة من إذاعة مكة ، ثم جمعها في كتاب قدمه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله خيَّاط بمقدمة ضافية جاء فيها : (إن المؤلف جمع الكثير من فصول السيرة ، مما يجد فيه القارىء لذة ومتعة وانسجاماً مع المؤلف يدفعه إلى طلب المزيد ، وخاصة في المقدمات التي يقدم بها كل موضوع يتحدث عنه ، وفي النتائج التي يستوحيها من كل قصة) .

وَيتَّضِح الجهد الذي بذله المؤلف الفاضل في تأليف هذا الكتاب لكل من طالعه من محاولة الاستقصاء والتعمق في دراسة الموضوعات التي طرقها ، مع كثرة ما رجع إليه من المصادر .

والكتاب يقع في ٣٦٠ صفحة ، وليس فيه ذكر اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع ، ويظهر من مقدمته أنه صدر هذا العام .

* **صبوات وصلوات :**

هذا هو الديوان الثاني للشاعر الأستاذ عبد الملك عبد الرحيم ، المذيع المعرف ،

جاء في مقدمته للأستاذ العوضي الوكيل : (موزع على شعر الغزل والشعر الديني ، والشاعر من أبناء الرِّيف وفي أهل الرِّيف إيمانٌ بالله ، واستسلامٌ للقضاء والقدر ، وائتمار بأوامر الدين ، وانتهاء عن نواهيه) .

ويحوي الديوان ٣٨ مقطوعة من رقيق الشعر الموزون المقفّى سوى مقطوعة واحدة ص ٦٧ : (فوق الأزاهر والنجوم) متعددة القوافي ، وأبياتها مستقيمة الوزن .

وصفحات الديوان ١٢٠ — وتاريخ طبعه : ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م وطباعته حسنة بمطابع (وَجٍّ) والناشر (وكالة تبر للدعاية والنشر والإعلام) .

* **أضواء على الأدب في جازان :**

وصدر في منشورات (نادي مكة الثقافي) الجزء الأول من كتاب «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان» لمؤرخ المخلاف السليماني وباحثه وأديبه الأستاذ الشيخ محمد بن أحمد الْعَقِيْلِيّ . وقد تناول الحديث عن مشاهير شعراء المخلاف القدماء : عمارة الحكمي ومحمد بن عيسى الطفاري ، ومنصور بن سحبان الضمدي وابن هُتَيْمِلٍ والقاسم الذروي ، وخيري زمّار .

ومن العلماء : الحسن بن أحمد (عاكش) والوزير الحسن بن خالد الحازمي ، ومن الأسر العلمية : آل البهكلي ، وآل الحكمي وآل شافع ، وآل الأسدي .

والمؤلف يعرض تراجم موجزة . ثم نماذج من الشعر والنثر ، ويستطرد بذكر جوانب من التاريخ ذات صلة بلمحات أدبية موجزة .

ويقع الكتاب في ١٤٢ صفحة ، بطباعة حسنة ، بإشراف (دار مكة للطباعة والنشر) .

وقد صدر في العام الماضي — ولم يذكر تاريخ طبعه .

* **الموجز في تاريخ الطائف :**

يحوي هذا الكتاب لمحات تاريخية عامّة عن الطائف قديماً وحديثاً ، بطريقة موجزة .

ومؤلفه الأديب الأستاذ مناحي بن ضاوي القثامي ، من أنشط أعضاء نادي الطائف الأدبي في مجال النشر والتأليف .

ويقع الكتاب في ٨٤ صفحة ، بطباعة حسنة في (مطابع دار الحارثي للطباعة والنشر) .

وقد صدر هذا العام (١٤٠١هـ) .

* **الحضارة تَحَدٍّ** :

هذا الكتاب هو الحلقة الرابعة والعشرون من سلسلة (الكتاب العربي السعودي) التي تقوم مؤسسة (تهامة) بنشرها .

ومؤلفه الأستاذ الدكتور محمود محمد سفر — وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون الفنيَّة .

وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، وأهم مباحثه : التحدي الحضاري جوهره و(ديناميكيته) — عناصر التحدي — الفعالية الروحية — استيعاب حضارة العصر — تَبَنِّي أساليب الحضارة المعاصرة — حماية المنجزات الحضارية — فكرنا والحضارة المعاصرة — قيود البعث الحضاري — الكثافة السكانية شرط من شروط الحضارة — التباهي بين الأمم — تأثير المكان والبيئة على الإبداع الحضاري — للزمن تأثيره على نشوء الحضارة — أثر النموذج البشري في المسيرة الحضارية — سلمان الفارسي مشاهد ميلاد حضارة — مواقف ومشاهد حضارية من (بَدْر) .

وخاتمة ما أوجزه المؤلف : (فلنعلن للدنيا بَدْءَ فَجْرٍ جديدٍ لحَضارة القيم .. ولنُسمع الدنيا هَدِيْرَ مصانعنا ، ولتُبصر إشراقة فِكرنا ، ولتُشاهد أصالة فَنِّنا في نَغَمٍ مُتجانسٍ ، وإبداع متقن ، لنَنْفكَّ من التِّيْهِ المُقفر ، الذي يعيش العالَمُ المعاصِرُ أسيراً له . تُظَلِّلنا العقيدة الموحية ، ويغمرنا الإيمان الصادق) .

ومع إيجاز الكتاب (١٤٠ص) فإن المؤلفات التي رجع اليها المؤلف شغلت عشر صفحات ، وكثير منها غير عربي .

والطباعة حسنة بمطابع (دار البلاد) في جدة وصدر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .